الدكتور لويس كارديك
الأستاذ بجامعة مونبلييه

الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون

المجابهة الجدلية (1492 - 1640)

مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا

تعريب وتقديم
الدكتور عبد الجليل التميمي
الأستاذ بكلية الآداب - الجامعة التونسية

منشورات
المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر
تونس - 1983

الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون

المجابهة الجدلية (1492 - 1640)

مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا

● يشكل هذا الكتاب : رسالة المؤلف للاحراز على دكتورا الدولة من جامعة تـولـوز ـ فـرنسا .

—o—

● الطبعـة الأولى ، شهـر مـارس 1983 .

رقم الطبع : 81 - OA - 1202

انتهى مـن طبـع هـذا الكتـاب في :

مطبعـة الاتحـاد العـام التـونسي للشغـل

بتـاريخ 30 / 3 / 1983

الدكتور لوي كارداياك
الأستاذ بجامعة مونبلييه

الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون

المجابهة الجدلية (1492 - 1640)
مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا

تعريب وتقديم

الدكتور عبد الجليل التميمي
الأستاذ بكلية الآداب - الجامعة التونسية

منشورات

المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر

تونس، 1983

منشورات المجلة التاريخية المغربية

1 — د. عبد الجليل التميمى ، **بايلك قسنطينة والحاج احمد باى 1830 — 1837** ، 303 ص + 24 رسما ، تونس ، 1978 (بالفرنسية) .

2 — د. عبد الجليل التميمى ، **موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر** ، 116 ص، تونس ، 1979 (بالفرنسية) .

3 — د. عبد الجليل التميمى ، **بحوث ووثائق فى التاريخ المغربى ، الجزائر ، تونس وليبيا (1816—1871)** 208 ص ، الطبعة الثانية ، تونس ، 1980 ، (بالفرنسية) .

4 — دومينيك مونيى ، **القنصلية الانقليزية بتطوان اثناء تولى أوتونى هتفيلد (1717—1728)** 112 ص ، تونس ، 1980 ، (بالفرنسية) .

5 — د. عبد الجليل التميمى ، **وثيقة عن الاملاك المحبسة باسم الجامع الاعظم بمدينة الجزائر** ، 92 ص ، تونس ، 1980 .

6 — شانتال دو لافارون ، **مصادر فرنسية عن تاريخ المغرب الاقصى فى القرن الثامن عشر** . 118 ص ، 12 ، تونس ، 1980 .

7 — د. عبد الجليل التميمى ، **الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب افريقيا خلال العصر الحديث** ، 80 ص ، تونس ، 1981 .

8 — د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، **الجالية المغربية فى مصر فى العصر العثمانى** . ج 1 ، 208 ص ، تونس 1982 .

9 — د. لوى كارديال ، **الموريسكيون الاندلسيون . المجابهة الجدلية (1492 — 1640)** تعريب د. عبد الجليل التميمى ، 196 ص ، تونس 1983 .

10— شانتال دو لافارون ، **مصادر فرنسية عن تاريخ المغرب الاقصى فى القرن الثامن عشر** ، ج 2 ، 128 ص ، تونس ، 1983 .

11 — د. عبد الجليل التميمى ، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين** (تحت الطبع) .

تطلب من المجلة التاريخية المغربية

9 نهج الحكيم الحبيب ثامر

(2060) خير الدين — الجمهورية التونسية

الإهداء

إلى روح المناضل الوطني

يوسف الرويسي

الذي قدم من أجل استقلال المغرب العربي وعروبته

أروع الأمثلة في الكفاح والتضحية والإخلاص

فهـرس موضوعـات الكتـاب

الفهارس :

مقدمـــة المؤلــف للترجمـــة العربيـــة

لقد نشر كتابي « الموريسكيون والمسيحيون » بباريس لدى منشورات كلينسك (Klinsieck) سنة 1977 . وبعد سنتين من ذلك ، قامت دار النشر المكسيكية فوندو كلتورا اكونوميكا(Fondo de Cultura Economica) بنشره لدى فرعها بمدريد باللغة الاسبانية . وقـد انجزت هـذه الترجمـة مرسيداس قـارسيـا أرينــال (Mercedes Garcia Arenal) المتخصصـة الكبيـرة بالدراسات الموريسكية .

وهذا الاستاذ عبد الجليل التميمي يقوم بترجمة هذا الكتاب ونشره سنة 1982 . أي فخـر وأي سـرور للمؤلـف ! انه لفخـر ذلك أن الترجمـة كـانت رائعة ، خصوصا وانها قد تمت فياللغة العربية العزيزة جدا علىالموريسكيين والتي حرموا منها . وعليه فان هذه الترجمة ستسعى الى التعريف بهذه الفترة المؤلمة جدا لتاريخ الاسلام الغربي . فالسيد التميمي حريص على تطويـر الاهتمام بالتاريخ الموريسكي بالمغرب العربي ، والمجلة التاريخية المغربية منذ عدة سنوات قد اولت عناية لهذا الموضوع عندما نشرت عددا من الدراسات الجيدة لمؤرخين من جميع أنحاء العالم . وفضلا عن ذلك ، فقد نشر هو نفسه في المجلة بحوثا تعد بالفعل جديدة حول هذا الموضوع ، وقد ألح بالخصوص على علاقة الموريسكيين بالعالم التركي (العثماني) . وباختصار فان السيد التميمي ، رائد هذه المدرسة التاريخية التونسية الشابة والنشطة ، يمثل بالفعل أحد الجسور بين المغرب والمشرق من جهة واوروبا من جهة اخرى . وفي هذا الاطار الذي تجسمه المجلة التاريخية المغربية ، عرضت ونوقشت كل الآراء المختلفة ونتج عن ذلك اثراء متبادل بينهما . ولا شك أيضا ان المؤتمر المقبل الذي سينظم في تونس في شهر سبتمبر 1983 سيمثل تتويجا لكل هذه المبادرات * .

---

* سيتولى المعهد الاعلى للتوثيق تنظيم المؤتمر العالمي الثاني حول الدراسات الموريسكيـة بتونس من 19 الى 23 سبتمبر 1983 ، وستتمحور الدراسات حول الموضوعين التاليين :

اولا : الدين والهوية لدى الموريسكيين .

ثانيا : المصادر الوثائقية عن الموريسكيين .

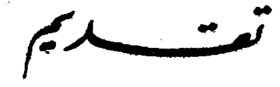
ومن جهة اخرى فان ترجمة كتابى الى اللغة العربية قد سرنى سرورا عميقا جدا ، وان نشره سيكون بتونس ، ارض الاستقبال الرائع لهؤلاء الموريسكيين لحظة طردهم النهائي . وانا انتظر من هذه النشرية ان تفتح آفاقا هامة ، كما اؤمل أن تكون نقطة انطلاق لمناقشات مفيدة وابحاث جديدة وأن تصبح بوتقة من شانها ان تيسر التبادل المفيد البناء .

ان هذا الكتاب ليس سوى شهادة باحث لفترة معينة من تاريخ الشعوب وهو تاريخ مجموعتين قد عملتا بالفعل على قطع الحوار بينهما . ومن خلال ذلك سوف نلمس فى نفس الوقت صيحة انتفاضة الموريسكيين ضد الاضطهاد ونداءهم للتسامح . هل باستطاعتنا جميعا سماع ذلك النداء دون أن نحرفه وأن يكون رائدنا هو البحث عن الحقيقة التى هى الاهتمام المشترك لكل الباحثين فى التاريخ ، بقطع النظر عن اختلافاتهم . اننا نعلم أن هذه الحقيقة هى المعرفة ، ولكننا نعلم أيضا أن الوان قوس قزح هى فى بعض الاحيان حية وفى احيان أخرى قاتمة جدا ، ومع ذلك ، فان كل هذه الفروق ، عندما تمتزج ، تنتهى بخلق صفاء اللون الابيض المشع . وفى عرضنا ، فان كل شىء لم يكن جميلا ، ولا هو مثيرا الا أنه سيساهم بالتضافر مع بقية المظاهر الأخرى على صنع الحقيقة التاريخية .

كل امتناننا وشكرنا الجزيل جدا لمترجمنا وناشرنا .

مونبلييى 1 نوفمبر 1982

د . لــوي كاردياك



تقديم

د . عبد الجليـل التميمـي

ترجع صلتي بهذه الرسالة الجامعية الى سنـوات خلت حين تفضـل الاستاذ لوى كارديـاك (Louis Cardaillac) باهدائها الينا ، وهى مرقونة ، اثر مناقشتها كرسالة دكتورا دولة قدمت الى جامعة مونبلييـي • وحين وفق الاستاذ كاردياك فى طبع رسالتـه سنة 1977 ، عزمنا يومئذ على نقلها الى اللغـة العربيـة ، وقد عبر الاستاذ كارديـاك على امتنانه وسروره باخذ هذه المبـادرة .

لقد كتبنا غيـر ما مرة ان تاريخ الموريسكيين لم يلق من لـدن الباحث والمؤرخ العربى الاسلامى اى اهتمام جدى يسمـو عن السرد العاطفى المثير ليتناول جوهر الوجود الحضارى الموريسكى ودراسة ابعاد اختناقه وذوبانه في صلب المجتمع الاسباني . ولقد نجحت الاساليب التعسفية التي مارستها محاكم دواوين التفتيش فى القضاء بصورة نهائية على هذا الوجود الموريسكى وطمس آثاره كلية ، متوجة عملها بقرار الطرد النهائى الفظيع سنة 1609 •

والذى يزيد قلقنا عمقا ، ان المؤرخين العـرب ما زالوا لم يكتشفوا بعد خطورة وعمق واهمية هذا الموضوع بالنسبة للتاريـخ العربى ـ الاسلامى ، اذ هم ، والحمد لله ، مشبعون بروح الاقليمية الضيقـة والجرى وراء السهل وعدم تكليف انفسهم مشقة دراسة اللغات الاجنبيـة ، والصبر على التحرى والبحث ومواكبة المدارس التاريخية والسعى الى ارضاء النزوات السياسية وتهميش انفسهـم فضلا عن تهميش القضايا التى يعالجونهـا ، وهذا ما جعل دور المؤرخ العربـى فى هذه البلورة التاريخية المرجـوة ، ضئيلا ان لم يكن مفقودا على الساحة العالميـة فضلا عن الساحة العربيـة •

وقد تاكد ذلك لدينا مرة اخـرى ، حين حضرنـا مؤتمرا عالميـا عن : الموريسكيين وزمانهم ، دعى اليه الاستاذ لوى كاردياك نفسه . وقد شارك

عدد من المؤرخين الفرنسيين والاسبان وبعض العــرب ، المتخصصيــن فى دراسة التاريخ الموريسكى . وكم وددنا أن يحضر أكثر من مؤرخ عربــى هذا المؤتمر الهام ، ليتحسس مدى شمولية القضايــا وجديتها وتنوعها . ذلك أن الابحاث عن تاريخ الموريسكيين قد خرجت عن الصــورة التقليدية التى عرفها العالم العربــى ــ الاسلامــى ، لتتناول ، على ضوء أحد ث المناهج العلمية والاحصائيــة منها على الخصوص ، مواضيع جديدة وطريفــة جدا ، بتناولها الاقليات الموريسكية المبثوثة فى الاندلس ، مع التركيز على مميزاتها الخاصة . وقد استعمل ، العقل الالكترونــى ، فى بعض الابحاث لكل ما يتعلق باعدادهم وأسمائهم الاسبانية التيتسموا بها وعدد منعذب أو أحرق من الرجال والنساء، واسباب محاكماتهــم ، وعدد من سجن ونسبهم على ممر السنيــن والاحداث ووفقا لمختلف المناطــق الاندلسية . وقد تشعب البحث الموريسكــى ليتناول عددا من القضايا لا تخطر الا لمن غاص بحثا فى الوثائق الاسبانية الثرية والغير خاضعــة للحصر ، وسبر خلفيتهــا الدينيــة والسياسيــة .

ورسالة لوى كارديــاك تعد نموذجــا لهذه الدراسات الغربية القيمــة والجديدة لتعميق البعد الاضطهادى والنفسى الذى عاشه الموريسكيون . ولا يسعنا كعرب ومسلميــن الا تهنئته على هذا التتبع الموضوعى المركــز للحياة اليومية الموريسكية ولارتجاجاتها النفسية ولظروفالقهر والمسخ التى مارستها اسبانيا القــرن السادس عشر تجاههــم .

على أن القارىء سوف يشعــر بان الاستاذ لوى كارديك ، من هؤلاء الباحثين والمؤرخيــن القلايل اليوم ، من يضــع الحقيقة التاريخيــة فوق كل الاعتبــارات ، ونشاطه وتعدد الرسائــل الجامعية التى يشرف عليهــا اليوم بجامعة مونبلييى ، واهمية المواضيع الجيدة التى وفق واشرف على اختيارها شخصيا ، تؤكد مدى انفتاحه المطلق وعدم مسايرته للاحتــرازات الاعتباطية التى يمارسها غيره فى الخفاء ويحاولون عبثا اقناع الاخرين بها . ونحن نضم صوتنا اليه لاننا نؤمن بان الحقيقة التاريخيــة الموريسكية فوق كل الاعتبارات وانه وجب تشجيــع المؤرخين ، كل المؤرخين دون استثنــاء ، على دراسة التاريخ الموريسكى ، هذا التاريخ الذى يحتاج الى عشرات المتخصصين عربا وأجانب، باعتبار اننا نعيش عصرا يحارب التقوقع أنى كان مأتاه، والاقليمية انى كان مصدرهــا ، ولا نرضى بغير البحث العلمى النزيــه الشامل بديلا .

وفى اعتقادى ان التاريخ الموريسكى يعتبر حلقة هامة وخطيرة بالنسبة للتاريخ العربى ــالاسلامــى على الاطلاق ، وان المؤرخين العــرب ومراكز البحث التاريخية والوثائقية في الوطن العربي، الذين صرفوا طاقاتهم وأموالهم الضخمة لكتابة تاريخية ، ارضاء لنزوة سياسية او المحافظة على مركز سلطة ، انما يتحملون مسؤولية تاريخية خطيرة بعدم صرف الاهتمام لمثل هذه المواضيع الجوهريــة بحجــة او باخــرى .

ولعل نقل هذه الرسالة الجامعيـــة الى اللغة العربية من شانه ان يعزز الاهتمام مستقبلا بدراسة التـــاريخ الموريسكي على مستوى الوطن العربي ، وان يتعدد المتخصصون العرب الذين سيسعون الى النبش ، من جهتهم ، فى الوثائق الاسبانيـــة والايطالية وتعزيز ذلك بما يتوفـــر لديهم من مخطوطـــات ووثائق عربية وعثمانية ، اذ هم وحدهم القـــادرون على ترويج تلك المعطيات بعضها مع بعض ليتوفر لدينا افضل شبكـــة من المعلومات الجيدة والسليمة لكتابة التاريخ الموريسكى ، هذا الموضوع الذى يعتبر موضوعا اسلاميا صرفا قبل أن يكون موضوعا اوروبيا مسيحيا، كما هو الحال بالنسبة لجل المؤرخين الغربييـــن اليـــوم .

وسيلاحظ القارىء وجود بعض الكلمات والاوصـــاف المتعلقة بالقـــرآن الكريـــم أو بالرسول محمد عليـــه السلام ، لا يستصيغها المنطـــق التـــاريخي اليوم . ولا شك أنها ستثير لدى المؤمنين، بعض الاشمئـــزاز في اثباتهـــا . غير أننا نذكر ان تلك الاوصاف والكلمات صدرت عن شخصيات أو مسؤولين يعتبرون خصوما الداء للاسلام وقتئذ . ومن هذه الزاوية فقد وجب المحافظة عليها لدلالتهـــا على مدى التعصب الذى مارســـه المجتمع الاسبانـــى تجـــاه الموريسكيين .

لا يسعني هنا الا ان اكرر من جديد شكرى للاستاذ لوى كارديـــاك على قبول نقل رسالته الجامعية الى لغة الضـــاد . وهو بالاضافة الى ذلك ، قام بترجمة كل الفقـــرات الاسبانية العديدة ، وهى المستمـــدة من دور الوثائق الاسبانية فى صلب رسالته من الاسبانيـــة الى الفرنسية . وقد طلبنا منه ذلك باعتبار انه افضل من سبـــر أبعادها وادركها وهذا ما يبرر اختيارها كشواهد مهمتـــه . ويتحمـــل الاستـــاذ كـــارديـــاك مسؤوليـــة اختيـــارات ترجمتـــه ، كهذه الشواهد من اللغة الاسبانية الى الفرنسية .

وقد بذلنا جهدا متواصلا في المقارنة والتثبت والتحرى، وقارنا في بعض الاحيان بين النص المرقون والمطبوع ، اذ هما يكمل احدهما الاخر . كما حاولنا تذليل كل الصعوبات التى اعترضت سبيلنـــا وسعينا لتقديم نص عربى سليم يأخذ بالاعتبار احترام المصطلحات التاريخية وكذلك الدقة والضبط المطلوبين فى هذه الاعمال الجامعية . ولا شك أن من خبر النقـــل عن لغة ثانية ، يدرك تماما أن التاليف اسهل وايسر من الترجمة ، ولا اشق علي شخصيا فى الترجمة من ضرورة احتـــرام نقل الاخرين لارائهم وافكـــارهم .

ومع هذا ، فقد وجـــب علينا فى هذه المرحلـــة الهامة من تاريخ الامـــة العربية أن نسعـــى الى نقل بعض الاعمال العلميـــة ، وان لا نكل ذلك الـــى دور النشر المتاجرة ، اذ اختياراتها الظرفية قد اساءت الى القارىء واضاعت عليه سمو المواكبة العالمية لتعمل على الحط من ذوقـــه واهتمامه وهذا بفضل تكالبها وراء السهل ووفقا لاختيارات سياسية أو وقائع مثيـــرة . اما الاعمال العلمية الهامة والتى تتطلب من مؤلفيها سنين عديدة فى البحـــث ، فقد عرض عـــن نقلهـــا عمومـــا .

ومن جهـة أخـرى فاننا نحيط القارىء علمـا أن رسالـة الاستاذ لـوى كاردياك هاته ، نتركب من قسمين اثنين ، أولهما هو هذا الجزء المترجم بين يدى القـارىء . اما الجزء الثاني فيتناول المخطوطات الجدليـة ومصادرها . وقد عرضنـا ، بالاتفاق مع المؤلف ، عن ترجمتـه لكثرة النصوص الاسبانية الاصل ، وحيث تعـذر على المـؤلف ترجمتهـا الى الفرنسية ، لنقـوم نحـن بدورنا بعد ذلك بنقلهـا الى العربية . غير اننا اضفنـا الى هاتـه الرسالة الجامعية بحثـا مطـولا وجديدا كـان قـد حـرره ونشره باللغـة الفرنسيـة والاسبانية ، وقد طلب منـا العمل على نقلـه الى العربية . ويتناول بحثـه هـذا ، قضيـة الموريسكييـن بأمريكـا في القـرن السـادس عشـر وهـو لعمرى مجال لم يتناوله احد بالبحث والدراسة الى يوم الناس هذا !

اضع فى الختـام هذه الترجمة بين يدى القـارىء العربى ، مؤمـلا ان يستفيد منها وان يولى مستقبـلا اهتماما لتاريخ الموريسكيين الاندلسيين وفاء منا لتضحياتهم وبطولاتهم ومحنهم التى تحملوهـا دفاعا عن هويتهم العربية — الاسلامية وتراثهـم ولغتهم ودينهم ، عسى أن يكون فى ذلك عبـرة لمن يعتبر ومـن اللـه التوفيـق .

عبـد الجليـل التميمـي

خير الدين في 20 / 2 / 1983 .

تقديـــم

د. فارنند برودال

تحبير هـذه الاسطر القليلة لتقديم كتاب لوى كاردياك هو شرف لى . ان الكتب الجيدة نادرة ، وهذا الكتاب ذو القيمـة الاستثنائية ياخذ مكانـه ضمن تأليف مرسال باتايون الرائع : Marcel Bataillon, Erasme et l'Espagne
وهو ما يترجم عن التقدير الذى أحمله لهذا الكتاب المباشر ذى الوضوح المطلق.

ان التاريخ الاسبانى العميق ، يصعب ادراكه ، شأنه فى ذلك شأن المياه الجوفية ، ومصيرها ممتزج بالديانـات المتقاتلـة التى تواجدت على أرضهـا : فالدين المسيحى قد غطى على الجميع بلمعانه وزهوه ولكن بشكل معقد جـدا . أما الدين اليهودى المتصلب فهو الاخر معقد أيضـا . وأخيرا الديـن الاسلامى وهو الاصعب للفهم ، الا أنه ما زال حيـا . وصعوبة فهمـه ترجع الى أن حركة الاسترداد الاسبانية سعت فى النهايـة الى تركـه فى حضيض مجتمـع اتسم بالظلـم باسبانيـا وأوروبـا ولسبب بسيط جـدا أن هـــذه الديانـــة ، لخروجها من الظل ، تبدو ، شأنهـا فى ذلك شأن بقية الديانات ، عالمـا متميزا أى طريقة للعيش والتفكير والامل مستقلة . وبكلمة أخرى تشكل قاعدة متكاملة لما نسميه اليوم **بالحضارة** وعلى الاقل جوهرها . وهذا ما يترجم على شبكة مـن العقائد والتقاليد والتملك وضعت تحت شعار المـد الزمنى . وعلى ضـوء ذلك لا يستطيع أحد أن يستغرب أن المجادلة بين المسيحيين والمسلمين فى اسبانيا قـد سبقت سقوط غرناطة وانها ترجع من تلقـاء نفسها الى ازمـة الاريوسية (منهب انكار ألوهية المسيح) وأن طـرد الموريسكيين سوف لن يضـع حـدا لذلـك .

اننا نعلم جيـدا أو بشكل أقل جهلا مجادلـة المسيحيين للمسلميـن (وهى التى تخضع للادب المطبوع أثناء زمن الخصام) وأن مجادلة الموريسكيين للمسيحيين بقيت مخطوطة وسريـة وأن الصدف وحدهـا هى التى عملت على الاحتفاظ بها .

ان جوهر هذا الكتاب هو السعى حتما الى دراسة منهجية لهذه المخطوطات العديدة والحاسمة ، وهى التى ستساعدنا كذلك على التعـرف ، من بين هـؤلاء المجادلين ، المقنعيـن فى الغـالب ، على شخصية غريبـة جـدا : جوان النصو اراقونـاس (Juan Alonso Aragones) « وهو اندلسى ، دكتور فى علـم اللاهوت الكاثوليكى ويمكن أن يكون قسا ... قد اعتنق الاسلام » والتجـأ الى تطوان قبل سنة 1610 ومنها تحول الى تونس . وبين الديانتين ، نتلمس هذه المغامرة الانسانية الغريبة ، ولا شك أن مثل هذه المغامرة قد تعددت .

ومن الواضح أنه فى هذه المجادلة التى لا نهاية لها والتى تتجدد دوما وتتعثر فى بعض الاحيان ، نلاحظ أن المهزوم كان يحسن اصابة المرمى وهو أكثر حيطة ، وهو بالتالى على علم أفضل من الرابح المزهو بنجاحاته وبأحقية أفكاره والذى هو فى الغالب لا يعير أهمية للحيطة والحذر . ان التهجمات ضد محمد أو ضد القرآن ، هى ولا شك أقل حجة واقناعا من الحاح المسلمين وتركيزهم على انسانية المسيح . وهى طريقة لانكار الاهيته ورفض التثليث والتى بمفردها تعد نفيا لوحدانية الله . وسوف يكون القديس بول هو الذى عمل على تغليط وتضليل تعاليم المسيح . وعلى ضوء ذلك فان المسيحيين الحقيقيين هم المسلمون !

غير أن فائدة هذا الكتاب لم تتأت فقط من اعادة تقييم المجادلة الطويلة بثقة وفقا لوجهتى النظر (المسيحية والاسلامية) وهو ما يعتبر احتياطا أساسيا وانتصارا صادقا للتاريخ ، بل تجسيدا له فى هذا المضمار للتأطير الاجتماعى لهذه المواجهة العريقة فى الزمن . وحتى وثائق ملفات محاكم دواوين التفتيش لم تفتأ تكشف عن الحياة الموريسكية كما كانت تتجلى يوما بعد يوم .

ان كلمات الحقيقة ، وغالبا هى الاسهل والابسط ، كانت تمر كالبرق . والحقيقة كما يقر بذلك المتهمون (بكسر الهاء) المسيحيون ، ان هؤلاء الموريسك ، ابناء الاسلام العنيدين ، قد انحدروا من أرض اسبانيا نفسها ، وأن جذورهم التاريخية ممتدة لتشملهم كفلاحين أو حضريين . والحقيقة أيضا ان اللغة الاسبانية التى انتصرت على المغلوبين لتغمرهم ، تعتبر هى الاخرى نجاحا رائعا للدمج الثقافى ! الا أن الحضارة الاجنبية لا يمكنها أن تحتفظ بهذه المقومات وتعمل على اثارة الاخرين وان تكون مخالفة لغيرها ، ذلك أن آلاف المظاهر تميزها : كاستعمال الحمامات والاكل واللباس وحتى أبسط هيئات الجلوس . ألم يذكر برناردو باريز دوشنشون (Bernardo Perez de Chinchon) فى مؤلفه ضد القرآن (1532) : « اننا نحن المسيحيين نجلس على كراسى عالية وليس على الارض كالسوائم ». والسوائم هنا ، هم ولا شك ، المورسكيون .

وهذا ما يدلنا بالتأكيد أن هذه المجادلة لم تكن فقط على صعيد الدين ، اذ هى علاوة على ذلك ، ثقافية . أن هذا الصراع الذى تجاوز العراقيل الاولى قد أثر أيضا على المعطيات الثانوية ، وهذا ما سيمنح المنتصر ثقة كاذبة فى نفسه . ثم الم يكن الانتصار المادى مرشدا سيئا بسبب الاحتقار الذى لازمه ؟ ومع هذا لا يمكن أن نقرأ هذا الكتاب المكثف دون أن نفكر . ومن خلال الشواهد العالمية ، فى قضايا أخرى مشابهة، وللغشاوات الكثيرة، فان التاريخ فى كثير من الاحيان ، يعيد نفسه .

أ . د فارنند برودال
(Prof. Fernand Braudel)

كلمـــة المؤلـــف

تعتبر اسبانيـا خلال القرن السادس عشر والتى كان فيهـا المسيحيون والمسلمون على اتصال مباشر، مناخا جيدا للقيام بمجادلة اسلامية ـ مسيحية . ومن كلا الجانبين تخلى علمـاء اللاهوت والكتاب عن دورهم التقريظى لعقيدتهم لينساقوا وراء أعنف نقد كلامى . وقد تبنى كل مـن الطرفين لهجة انتقـامية منكـرا على الخصم الدينى والسياسى أى ادراك سليـم . وعندما يذكـرون دين الخصم يقولون « كيف يمكن الاعتقاد فى هذه الحماقات ؟ » .

لقد كان المسيحيون والموريسكيون يردون على بعضهم البعض ليس فقط باسم العقل، ولكن أيضا تحت ضغط عوامل شعورية مرتبطة بالاحداث السياسية. ان الاهانات التى يلحقهـا المسيحيون بمحمد والقـرآن والاسلام متماشية فى نفس اتجاه الصراع ضد الاتراك ، وهى تعكس صورة من النزعـة الانتصارية الساذجة والمتولدة من الانتصارات الاخيرة لحركة الاسترداد . أما الموريسكيون فانهم قد ثاروا ضد وضعيتهم كاقلية وضد المضايقات الناتجة عن ذلك ، وازاء الضغط الذى تمـارسه تجاههم سياسة ملوك اسبانيـا الاندماجيـة ، فانهـم سيجبرون على التوارى والاعوجاج واخيرا سيسعون لتنظيم أنفسهم فى ظـل اسلام مخفى .

ان الافصاح عن حالة التوتـر الموجودة بين المجموعتين ، سنجـد من الطبيعى جدا التعبير عنها ضمن هذا الادب الجدلى ، والذى اذا تناول فى بعض الاحيان مواضيع لاهوتيـة ، فانه سيكون فى الغـالب من هذا النوع الهجـائى المتميز ببرهنة مدعومة وكذلك بفقدان مطلق لمراعاة ومجاملة الخصم ، ونظرا لعدم الوصول الى السيطرة أو دمج الطرف المقابل، فسيظهر كل منها عداوته . وقد بدا لنا اذن هذا الادب كتعبير على جدلية القطيعة : فكتاب برناردو باريز دوشنشـون (Bernardo Perez Chinchon) ضد القـرآن يقابلـه عـدد مـن الكتابات ضد الدين المسيحى .

ومما لا شك فيـه أن دراسة هذه النصوص الجدليـة فى القرن العشرين يمكن أن تؤدى بنا الى التهكم وهذا بسبب صيغـة المبالغة وفى بعض الاحيـان المضحكة ، ومع هذا فاننا نذهب الى الاعتقاد أن هذه الدراسة ذو فائدة كبيرة ، لانها تسمح بالخروج « من مفهوم السلطنة الملوكية » لدراسة التاريخ : وأنـه من خلال الاحداث تبرز البنية الكاملة التى تخفى وراءها كل البعد الانسانى ، وهذا على ضوء المظهر الثقافى أو الشعبى ، وهو الشىء الذى يهمنـا فى هـذه الدراسـة .

وقد تمكنا أيضا أن نكتشف عمق الهوة التى تفصل المجموعتين ، وهو ما سيساعدنا بصورة جيدة على فهم الافكار الاساسية التى راجت يومئذ باسبانيا ، الدينية منها والسياسية والاجتماعية ...

وعلى ضوء أبحاثنا فقد وجدنا أنفسنا منساقين الى التمييز بين مستويين: أحدهما هو دراسة المخطوطات ذات الطابع الجدلي والتي تأسس عليها عملنا. وثانيهما هو تحليل النتائج المتولدة عن هذه الموضوعات في الحياة اليومية. وبالفعل فان الحجج المعروضة في هذه الكتابات ليست على الاطلاق أصلية، وفي الغالب وصلتنا من أحسن التآليف الجدلية العربية وهذا مثل ابن حزم القرطبي وعبد الله الترجمان .... وفي الحقيقة فان ذلك يعني بالنسبة لاسبانيا احدى المظاهر الاخيرة لهذا النوع من الادب المتدهور تلك النصوص الجدلية الدينية (الردود) .

وعلى العكس من ذلك، فان هذه النصوص تتميز بانسجامها في الوسط الاجتماعي وتشكل، نتيجة لذلك، نموذجا حيا، ذا فائدة جمة. وبالاضافة الى هذا، فان هذه المجابهة الاسبانية ـ الموريسكية تتجاوز الاطار الضيق لهذه النصوص المعروفة بالجدلية، لنجدها في الحياة اليومية وبمييزات بارزة ومرتبطة بظرف زمني محدد. كما تكون هذه المجادلة خفية، الا أنها سوف لن تكون أقل هجاء وقذعا. اما دواوين محاكم التفتيش فسوف تطارد هذا الاسلام السري. وكم ظنت، مئات المرات، أنها استأصلته، الا أنه مئات المرات الاخرى يبرز من جديد. وعلى ضوء ذلك فان صراعا دون هوادة سوف يبدأ ليؤدي الى فشل محاكم دواوين التفتيش وهذا وفقا لعدم انتصار الاسلام. ان علاقات المجموعتين اليومية سوف تشوه بهذا الصراع وسوف تكون موضوعة تحت شعار الغموض : الصداقة أو الخيانة، الوفاء أو الزور، اعتناق دين الاخر بالقوة والحمية الدينية، اذ كلها تتقارب ويتجاور أحدهما الآخر. وفي هذه الشبكة التي تتداخل فيها المصالح كلها وكذلك أهم الاسباب الدينية والسياسية والاقتصادية، سوف لن نميز الحق من الباطل وان الله نفسه سوف لن يتعرف على ذاته .

ان مجابهة هاتين المجموعتين التي ترجمت على المستوى الثقافي بهذه الكتابات الجدلية والتي يمكننا أن نجد العديد من شواهدها في قضايا محاكم دواوين التفتيش أو في أعمال المعاصرين، هي بالتحديد موضوع هذا الكتاب.

الفصــل الاول

المجادلــة من خلال الحياة اليوميــة

1 ـ مصاعب الحيـاة الجماعية والاحكـام المسبقـة المتبادلـة :

ان قضايا دواوين التحقيق مـا زالت لحد الآن ترتجف بالحياة . اذ مـن خلال شهائد الشهود ومرافعة المتهمين أو اتهام الوكيل العام تنبثق أمام أعيننا الطائفة المسيحية وعلاقاتها مع الاقلية الموريسكية ، فطبيعة الحوادث اليوميـة التي تزعج بعضهم بعضا ، ثم اثارة هـذه الحساسية المفرطة تعد مـن نتائج ذلك . وهذه الظواهر تعتبر احدى البينات المثيرة جدا لاختلاف الطائفتين .

ذلك أنـه نتيجة استعراض الحـوادث أو تحت ضغـط المسيحيين تكـاد تكون الحيـاة مع بعضهم بعضا فعليـة ، اذ طبيعـة السكنى وحتـى شكـل المنازل القشتاليـة أو الاندلسية ذات الصحـن المركزى تجعـل كل مـا يحـدث لدى البعض يعلمه البعض الآخر ، وهذا ما يؤدى الى تكوين الاصدقاء والاعـداء بسرعة وفي نفس الوقت . وهذا ما حدث لدياقو هارنانداز (Diego Hernandez) حيث وصلت اليه أخبار ضده نتيجة سكنـاه بطليطلة في الطابق السفلي مـن بيت ذى صحن مركزى ، ويسكن في الطابق العلوى سيدة مسيحية مـن سلالة قديمة ، كانت تستمع وتسترق كل المحادثـات التي تتم أسفلهـا ، ثم تبلـغ بعضها الى دواوين التحقيق ، واذا صدقنا بعض ما جاء على لسانها ، فانها تبين تهمة البدعة التي الحقت بهارنناداز . وقد قـال هذا الاخير في الدفاع عـن نفسه : ان هذه السيدة « عدوتـه الشخصية » . على أن شهـود عيـان كثيرين أكدوا ذلك . الا أن المحكمة سوف تبرئه بسبب الشك الذى صاحب القضية ، ما عدا شهادة شخص واحد كانت ضده (1) .

انـه من الصعب على موريسكي وسيـدة مسيحيـة من سلالة عريقة أن يتعايشا معـا تحت سقف واحد ولو كانـا متحدين بربـاط الزواج ، ذلـك ان الجانب المسيحي يعرف جيدا المعتقدات السريـة لقرينه ، وسوف لن يتـردد ، تحت ضغط دواوين التحقيق الاخلاقي ، أن يكشف عن جريمة الكفر .

وعلى ضوء ذلك فان زوجة الموريسكي انيتو هـرارو (Inigo Hearraro) قد نقلت الى المحكمة أن زوجها « يعتبر اهانة لـه كونه ينام مع كلبة ، وأنـه يقول لها ذلك ، لانها مسيحية وولدت من سلالة مسيحية » . وقد أضافت الى

---

* الاصطلاحـات المستعملـة في النقـل :

الارشيف التاريخي الوطني A. H. N. = Archivo Historico Nacional

ارشيف محاكم دواوين التفتيش بكوانكا A. I. C. = Archivo Inquisitorial de Cuanca

التابع لمحاكم دواوين التفتيش Inq. = Inquisitorial

— الملـف = leg. = Legajo

— الصفحـة = P = page

(1) A. H. N., inq de Toledo, leg. 193, n° 17.

ذلك أن أى نشاط ديني من طرفها يثير غضب زوجها ، واذا أرادت وضع **تمثال مريم** على رأس سريرها ، فان زوجها يهددها بحرقه . أما النائب العام في محضر تقرير اتهامه ، فقد آخذ الزوج على عدم انجابه الاطفال ، وكان يرى في ذلك سببا اضافيا للتشديد على المتهم ، « ومما لا شك فيه أنه كان يستعمل أساليب مختلفة حتى لا ينجب اطفالا من هذه السيدة » (2) .

وتوجد ملابسات أخرى تجعل من الصعب عليهما التعايش معا ، ونعني بذلك محيط السجن . ذلك أن الاختلاط نفسه يعني أنه لا يمكن أن يمر شيء دون أن يشاهد من طرف الآخرين في السجن الجماعي وحيث يعتبر كل شيء سببا للاثارة . وهذا ما لوحظ بسجن كوانكا (Cuenca) حيث تكونت ، بصورة تلقائية ، مجموعتان متنافستان ، تبحثان دوما عن اثارة النزاعات . ألم يؤمر الموريسكيون بأن يسحبوا القش من فراشهم ويفتلوه على شكل صليب ويرموه فيما بعد تحت أقدامهم ؟ مظهرين الازدراء والاحتقار شأن الملحدين » . أما المسيحيون فانهم يجدون من ناحيتهم متعة ماكرة بقلي وأكل لحم الخنزير علانية . ونتيجة لذلك فان الطرف الموريسكي « ينشغل بالحديث فيما بينهم حتى لا يشاهد أكل الخنزير ، وانه كلما شوى هذا اللحم ، فانهم يسدون انوفهم حتى لا يستنشقوا رائحته » . وبالتأكيد تصل هذه الاخبار الى علم محاكم التفتيش لتزيد في تهمة الموقوفين الموريسكيين (3) .

ان الالتباس يكمن في كل العلاقات الاجتماعية بين الطائفتين : فعلاقات حسن الجوار يمكن أن تؤدى في بعض الاحيان الى اثارة ثقة متبادلة ، غير أن البوح فجأة بسر أو برأى تلقائي يقضي تماما على هذه الالفة وتؤدى بالموريسكي الى احالته على دواوين التحقيق . وبذلك تكون طبيعة الحياة اليومية التي قربتهم ، هي التي تفرقهم فيما بعد .

وهذا ما حدث لمغامرة جوانا دو طوراس (Juana de Torres) التى طلبت اليها احدى جاراتها هل ذهبت لاستماع القس الراهب الذى كان يعظ فى الساحة القريبة ، وقد ردت عليها بسرعة : « ماذا حدث ليعظنا فى كل زوايا الشارع ، واني سوف أرجمه حجارة لو يقترب مني » (4) كذلك جيرونيمو كاريون (Geronimo Carion) **من مدينة** برغش (Burgos) الذى تحول خلال بضعة أشهر ، ليمارس مهنة النجارة ببلنسية (Valence) . وأثناء رجوعه ، طلب اليه أحد رفاقه من « سلالة مسيحية » أن يسلم رسالة الى شخص ببرغش ، وحتى ينفذ هذه المهمة ، فقد دعاه لتناول الغداء ، مقدما له على المائدة فطيرتين محشوتين لحما ، غير انه لم يأكلهما متعللا أن ذلك يعتبر بالنسبة اليه اثما كبيرا » (5) . ويمكننا أن نفترض أن الفطيرتين كانتا ولا شك محشوتين بلحم الخنزير .

---

(2) A. I. C., leg. 261, n° 3371.

(3) A. I. C., leg. 369, n° 5216. انظر ايضا leg. 377, n° 5342.

(4) A. H. N., Inq., leg. 198, n° 6.

(5) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 31.

على أن التفوه بجملة عفوية وبصورة هزلية ، تعد علامة على المعتقدات الملحدة . من ذلك أن احدى الموريسكيات قد وشى بها لانها عندما أبصرت في الشارع أحد الرهبان يحمل القربان المقدس ، صاحت : « ليعط ذلك الى حماري المريض » .. وقد أوخذت على هذا المزاح ، غير أنها أنكرت أنها « ملحدة في دين محمد (كذا) ، وأن الله موجود من خلال المظاهر المقدسة » (6) . وفي غرناطة أيضا كان أحد صيادي مالقة (Malaga) جيناس دياز (Ginés Diez) الذى ضرب مائة جلدة من طرف ديوان التفتيش سنة 1567 بسبب قوله : ان تسديد ريال للقداس ، هو شيء باهظ في حين أن ذلك لا يكلف سابقا الا نصف ريال . وقد أضاف قائلا : ان الرهبان يكسبون المال بسهولة « بمكثهم واقفين وبتناولهم شيئا قليلا من الخبز والخمر » (7) . وفي نفس هذه الفترة عوقبت جوانا (Juana) وهي أمة بمالقة ، عندما تسلقت مصعدا حاملة قدرا مملوءة ماء ساخنا ، وعندما أوشكت على السقوط والانزلاق وكادت أن تسقط صاحت « يا محمد » مستنجدة بالرسول « (8) وحادثة أخرى ، في سنة 1570 بدازا (Deza) كانت موريسكية أخرى أنا دو المورافي (Ana de Almoravi) قد صاحت بدهشة عندما رأت أمامها موكب قداس يحمل على رأسه صليبا كبيرا : « يا الاهي ما أكبر هذا المسيح ! كيف يستطيعون حمله ؟ » وقد مثلت أمام دواوين التحقيق بتهمة : « إثارة السخرية من الاشياء المتعلقة بالكنيسة والتماثيل » (9) .

ومثل هذه الملابسات أيضا قد جعلت جوان بوتستا (Juan Bautista) جريئا وهو العبد المقيم بمدريد ، عندما قرر أن يتحول الى فرنسا ، بلد الحرية : « وقد وصل الى علمه أن كل العبيد وعلى الخصوص المنحدرين من أصله ، هم أحرار هنالك » ، وهناك سوف ينتظر رسو « زورق للاتراك ليتحول بعد ذلك الى بلادهم » . ونظرا الى أن قلبه مملوء غيظا ، فانه قبل أن يجتاز الحدود ، أراد أن يقوم بفضيحة ، ليعلن للمسيحيين رأيه فيهم . وبمدينة فيتوريا (Vitoria) دخل الى كنيسة أثناء اقامة القداس « ليواجه بظهره القربان المقدس » ثم في الحين أطلق ساقيه للريح ، الا أنه في الحال مسك به واقتيد الى السجن (10) .

وفي حالات أخرى ، كانت وضعية أغلبية السكان في أى قرية يعطي شعورا خاطئا بالامن . ففي أراقون (Aragon) على الخصوص ، حيث كان السكان الموريسك ذوى كثافة كبيرة ، يوجد في بعض الاحيان عدد ضئيل من العائلات المسيحية تجد نفسها معزولة في وسط موريسكي . فالقس كلود دوبرنسفال (Claude de Bronseval) الذى قام بزيارة اسبانيا خلال السنوات التالية 1531 ـ 1533 ، قد لاحظ أيضا حالة قرية في هذه الولاية ، لا يوجد فيها سوى

---

(6) A. I. C., leg 378, n° 5356.
(7) A. H. N., Inq., leg. 2603.
(8) A. H. N., Inq., leg. 2603
(9) A. H. N., Inq., leg. 3352.
(10) A. H. N., Inq., leg. 194, n° 16.

رجل واحد من نافاريا من أصل مسيحي عريق » (11) أما بقية الاهالي فكانت مؤلفة من العرب أى « من الافارقة الذين اعتنقوا الديـن المسيحي مؤخـرا » . واثناء الطـرد ، كـانت نسبة المـوريسك لهـذه الولايـة 20 % مـن مجمـوع السكـان (12) .

على أن البوح بسر ودى سرعان ما يستغل : ومن من المقـاتلين القدمـاء الذى بمقدوره أن يقـاوم نشوة اثـارة بعض ذكريـات سنـي الانتصارات أو الخيبات التي عاشها ، خاصة إذا كان المناخ متوفـرا لـه ؟ وهذا ما قام به اندرس لوباز (Andrés Lopez) أحد موريسكي يابس (Yepes) والذى أثار أثناء استراحة في الحقل : حوادث بلاده غرناطة والسنوات التي قضاها بهـا وحرب البشرات الاخيرة ، وقد ختم كلامه « معبرا عن أمله في استرجاع هويته العربية قبل أن يموت » (13) .

وهناك حالات أخرى كان فيها الصمت مستحيـلا ، وحيث لا يمكن معهـا السيطرة على النفس ، ففي حـالات الغضب على الخصوص ، يستشف كـثيرا من الاشياء التي حرص على كتمانها طويلا ، ومثل هذه الحالات تؤدى بصاحبها حتما الى المثول أمام دواوين التحقيق .

فايزابـال (Isabel) أمـة دونا جوانـا (Dona Juana) من طليطلـة صرحت عندما « استشاطت غضبا » من أن : « عقيدة العرب أفضل من عقيدة المسيحيين » (14) . كذلك ايزابـال مـن مدريد ، أمة دونيـا انـا دوفيغـوروا (Ana de Figueroa) لم تتماسك عـن القول عندمـا شتمها أحـد الافـراد بقوله « كلبـة العـرب » وقد ردت عليه : « نعم أنا عربيـة ، ذلك أن أبـي وأمي كانا وماتا عربيين ، وأنا أيضا عربية وسأموت عربية » (15) .

وفي كثير من الاحيان ، كـان الموريسك لا يتحملون مـن يسب أو يشتـم **الرسول** . من ذلك أن أحد الموريسك عندما « وصل ليقتني خمرا من الحانة » قد استقبل عند مدخل الحانة بهذه الالفاظ : « لتحرق النـار الخالدة محمـدا » غير أنه لم يتماسك عن الرد : « ان محمدا يعد رجلا خيرا وطيبا » (16) .

---

(11) Le Frère Claude de Bronseval, **Peregrinatio Hispanica (1531-1533),** Paris - P.U.F., 1970, p. 701.

ان عزلة « المسيحيين الجـدد » وسط الموريسكيين ، قد اثارت دهشة الرحالـة الاجانب الذين مروا باراقون ، وقد ذكرت ماريا صولوداد اورقواتى (Maria Soledad Urgoiti) فى كتابهـا :

El problema morisco en Aragon al comienzo del reinado de Felipe II, Madrid, Caslalia 1969, p. 37.

شهادة اندريـا نافاقـارو (Andrea Navagaro) الذى سجل فى كتاب رحلته سنة 1525 ان اوسيرا (Ossera) « لا يقطنها الا الموريسكيون ما عدا منزلين » .

(12) Juan Regla, **Estudios sobre los Moriscos, Valencia,** Arts Graficas Soler, 1964, pp. 14 et 49-54.

(13) **A. H. N.,** Inq., leg. 194, n° 24.

(14) **A. H. N.,** Inq., leg. 194, n° 10.

(15) **A. H. N.,** Inq., leg. 194, n° 9.

(16) **A. I. C.,** leg. 255, n° 3455.

لقد كان الغضب دوما الدليل السيىء للموريسكيين خاصة اذا علمنا أنه في بعض الاحيان ، كان المسيحيون يطبقون المثل القديم الذى ينصح باثارة الصديق ودفعه الى الغضب قصد ادراك أفضل لافكاره الحقيقية . وبعض الحوادث المذكورة في قضايا دواوين التحقيق تؤكد بوضوح نها وليدة التحريض والاثارة .

ويحدث أيضا أن هؤلاء الموريسك الغاضبين يلعبون بشكل بسيط ورقة سوء الحظ عندما يسترق احد سمعهم . وهذا ما حدث للويزا هارننداز أثناء نزولها الشارع الرئيسي لقرية طيناجاس ، (Tinajas) التابعة لأسقفية كوانكا (Cuenca) وحيث كانت ماسكة ابنها من يدها ، أخذت تصيح قائلة : « ان العربي أفضل من المسيحي » وكان مأتى هيجانها الشديد نتيجة سوء معاملة اهالي القرية لابنها واصفين اياه بالعربي . وكانت الفضيحة عمومية في مثل هذه المناسبات . وبالاضافة الى ذلك ، كان أحد مفتشي دواوين التحقيق ، الذى كان موجودا إذ ذاك « في زيارة تفتيشية » بالمنطقة ، شاهد عيان لهذه الحادثة . وفي الحال وضع هذه السيدة في السجن بعد أن « كبل رجليها بالحديد » وصادر كل أملاكها . وقد كتب هذا المفتش الى كوانكا مقترحا ما يلي : « انزال عقاب بها بالقرية ليكون ذلك درسا في نفس المكان الذى وقعت فيه الجريمة ، وهذا كما يبدو لي أمر ضروري اذا أخذ بالاعتبار عدد الموريسكيين الهام بالمنطقة » الا أن مفتشي دواوين التحقيق كانوا يفضلون تسليمها اليهم (17) .

على انه يوجد موريسكيون آخرون لم يتعلموا كيف يكتمون أسرارهم : اذ عدم حيطة الاطفال كانت سببا لبعض قضايا دواوين التحقيق . من ذلك : طفلان حديثا عهد بالمسيحية » باغتا امرأة راكعة على قدميها أمام صليب في منعرج أحد الشوارع حيث كانا يلعبان ، وقد استفهما بهذه العبارات : « ماذا تفعل هذه المرأة المسكينة اذا اعتقدت أن ذلك سوف يجلب لها شيئا ما ؟ » (18) .

ولتجنب مثل هذه المشاكل المزعجة ، سعى الموريسكيون الى تأخير تلقين أبنائهم التربية الدينية ، حتى يتمكنوا من احتمال مواجهة دواوين التحقيق : فجرونيمو دو روجاس (Geronimo de Rojas) قد قال : « انه يحس بغم كبير في قلبه عندما يلاحظ أبناءه الصغار يعيشون في الخطا وسط المسيحيين ، وانه حتى الان لم يلقنهم شيئا بسبب سنهم المبكر ، وهذا خشية أن يعتبر دواوين التحقيق ذلك سببا في سوقهم الى المحاكمة ، وان الاطفال اذا ما قدمت لهم قطع من الحلوى ، فانهم سوف يعترفون بكل شيء . وعلى الرغم من ذلك ، فانه لا يبقى أبناءه يعيشون في الخطا ، وعلى العكس من ذلك ، سوف يلقنهم الحقيقة » (19) .

---

(17) A. I. C., leg. 257, n° 3496.
(18) A. I. C., leg. 369, n° 5200.
(19) A. I. N., Inq., leg. 197, n° 5.

وهناك بعض الموريسكيين قد حاولوا تغليط دواوين التحقيق ، اذ ببساطة فضلوا البقاء في منازلهم بدل الذهاب الى الكنيسة : وقد اعتبر ذلك علامة على اتباع الدين الاسلامي، وهذا ما حدث بالفعل لشخصين من بلنسية كانا يفكران في العثور ، في روكينا (Roquena) من أسقفية كوانكا التي وصلاها للاستقرار بها ، على نفس الملابسات المؤيدة لمعارضتهم الضمنية للمذهب الكاثوليكي أفضل من الملابسات المتوفرة عندهم ببلنسية : « انه نظرا لأصلهما العربي لم يتحولا الى القداس ولم يعترفا ويناولا القربان ولا احترما الاعياد والالتزامات ولا طبقا التقاليد المسيحية ، ولم يعرفا الصلاة التى لقنتها اياهما أمناء الكنيسة ولم يأتيا بعلامة الصليب عندما يدق القديس النواقيس » (20) .

اما دعوة الجيران لبعضهم بعضا فكانت مثالا نموذجيا للغموض الذى ساد العلاقات الاجتماعية : اذ يعتبر هذا الامر ، علامة صداقة وحسن جوار ، غير أنه في نفس الوقت ، كان ذلك وسيلة لمعرفة أفضل لبعضهم البعض . وانه على ضوء ذلك ، نستطيع أن نلاحظ العناصر التي تفرق بين المجموعتين . وكم هى الوشايات التي أبلغت الى دواوين محاكم التفتيش بعد الاجتماع على عشاء ودى ! ومن خلال هذه الاجتماعات يظهر بشكل جلي رفض الموريسكيين تذوق كل الاطعمة الخنزيرية، وهذا ما اعتبر علامة على المعتقدات الحقيقية المخفية، وحجة على اتباع الدين الاسلامي ، ومثل هذه الظواهر من شأنها أن تبلور مضمون الاعترافات لتكون وراء انطلاق القضايا ، وهذا ما حدث لجوان قرانده (Juan Grande) باركش (Arcos) في سنة 1569 ، الذى رفض أكل البيض مقلية بشحم الخنزير » (21) .

وتوجد دعوات اخرى كانت سببا لعدد كبير من القضايا خاصة في شهر رمضان ، من ذلك ان فرنسيسكو القرطبي (Francisco Cordoba) الذى كان يصوم رمضان من طلوع الفجر الى غروب الشمس خلال شهر كامل ، لم تعرض له دعوات كثيرة من جيرانه مثل تلك التي جاءت خلال شهر رمضان ، وقد كان حريصا على احترام الصيام ، وانه اذا دعى للغداء فانه كان يرفض بحجة أنه فاقد للشهية ، واذا دعى اثناء الاكل ، فانه كان يرد انه اكل قبل ذلك في مكان آخر ، الا أن صيغ الهروب هذه لا يمكنها أن تستمر طويلا (22) .

الا ان الموريسكيين كانوا في بعض الاحيان ضحايا الثرثرة ذات النتائج السيئة فاعترافات الشهود كانت تعكس دوما انشغال « الاهتمام بالآخرين » وجملة من هذا القبيل كانت كفيلة أن تدرج في منتخبات ذات أسلوب ثرثار ، وكمثل على ذلك : « احد هؤلاء الاشخاص قد طلب الى شخص آخر ما اذا انجز شيئا ما ؟ وقد رد الاخر بلا، وهذا ما جعل الشخص السائل يقول بانه...» (23).

---

(20) A. I. C., leg. 255, n° 3447.
(21) A. I. C., leg. 245, n° 3270 A.
(22) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 4.
(23) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 17.

ان الثرثارات من النساء كن سببا لعديد الاتهامات : دخلت احدى الموريسكيات على احدى جاراتها وقالت لها ، عندما كانت هذه الاخيرة تقلي شحم الخنزير : « ان الخنزير يعد حيوانا نجسا » وكان هذا كافيا لاثارة الشك والحث على اجراء تحقيق معها (24) . وهناك موريسكية أخرى في الغرفة التي كانت تنام فيها ، لم تعلق الصليب ولا اى صورة دينية : وعندما اخبر ديوان التحقيق ، لاحظ بالفعل ان هذه السيدة لا « تعرف جيدا صيغ الصلاة ، ولا شواهد السبحة ولا السلام الملائكي ولا مبدا الايمان ولا ..... » وانطلاقا من هذه الظواهر السلبية ، فقد اتهمت بممارسة التقاليد الاسلامية « التي أخفتها عن وعي كامل وبتضليل بين » (25) .

ان اقل الحوادث والحركات التي لا تمت بصلة الى تقاليد وعادات المجموعة المسيحية قد فسرت كعلامة على اتباع الدين الاسلامى ومن شانها ان تكون سببا لمزيد من التحريات وهذا كالجلوس على الارض بدل الكرسي . ومن هنا كان قرار اتهام جوان دو فلوراس (Juan de Flores) بطليطلة الذى اشار الى أنه متبع لدين محمد بسبب الايمان الذى أظهره وعادته لا يجلس على كرسى ولا يتناول اكلاته على مائدة وهو بهذا يحافظ على تقاليد دين محمد » (26) .

أما ازنار كردونا (Aznar Cardona) فقد عكس رد فعله على أنه « مسيحي عريق » عندما لاحظ : « ان طريقة تناولهم الاكل تترجم عن همجيتهم فهم يأكلون على الارض (وهذا يدل على طبيعتهم) دون مائدة ولا أى شيء اخر يشبههم للناس ، وبنفس هذه الطريقة ينامون على الارض ، على زرابي أو ما يسمونها « المضربة (Almadrabas) » وعلى مقاعد مطابخهم او في خلوات قريبة منها ، ليكونوا مستعدين للقيام بالحفلات او لقضاء وقت طيب كلما سهروا » (27). ومن جهة اخرى كانت ظاهرة اكل الكسكسي وحدها قد فسرت هى الاخرى على انها علامة على اتباع الدين الاسلامى :« وجيرونيما لا فرانكا (Geronima la Franca) وكذلك اعضاء عائلته مع أشخاص موريسكيين اخرين تجدهم متربعين وواضعين الكسكسى في اناء ، وسطهم ، ليأكلوه بايديهم على شكل كرات حسب عادة العرب ، وهم بهذا يداومون على اتباع حفلات دين محمد (28) .

---

(24) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 5.

(25) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 22.

(26) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 22.

(27) Pedro Aznar Cardona, **Expulsion justificada de los Moriscos espanoles** Huesca, Pedro Cabarte, 1612, 2e partie, f° 33, r°.
وقد استعمل جوليو كارو بروجيا (Julio Caro Baroja) نص ازنار كاردونا فى فصل كتابه :
« Razas, pueblos y linajes », in, **Revista de Occidente**, Madrid, 1957,
وهو الفصل المعنون : « Los Moriscos espanoles, segun un autor del siglo XVII ».
وقد اقتبسنا من جهتنا نحن بعض الفقرات التى استعملها المؤرخ المشهور .

(28) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 23. ذلك : Aznar Cardona, **op.cit.**, II f° 33, r°.
ذكر أنهم : « كانوا يأكلون اشياء حقيرة وانهم حتى من اجل ذلك ، تألموا فى هذه الحياة ، وفقا لامر السماء ، واكلهم عبارة عن كريات العجين المختلفة ، والخضر والعدس والفول والفيصوليا الخضراء وأيضا الخبز . »

ان شكل هذه المعارضة سوف يبرز للعيان وعلى جميع المستويات : وحتى الخرافية منها ، ليشعر كل منهما انه يختلف عن الاخر ، وظاهرة التقديس لا تشمل كل الاشياء .

من ذلك ان ماريا لوباز (Maria Lopez) التى كانت لها مناقشة حية مع احدى المسيحيات اللاتى انجبت لتوها مولودا ، فانها حتى تقى المولود من العين ، قامت بوضع مكنسة على باب النفساء كانت قد غطتها ومشطتها ووضعت اوسخة وحبالا صغيرة وقلنسوة نسائية » . الا ان جارتها قد قامت بتلقينها درسا عندما قالت لها : انه لاتقاء المولود شر العين ، فانه يحسن وضع انجيل سان جان او صليب او تمثال مريم العذراء امام الباب ، الا ان عناد ماريا لوباز بوضع المكنسة قد قادها امام الحكام (29) .

وعليه فان ما كان مقدسا للبعض هو موضوع وشاية بالنسبة للاخرين . واسم « محمد » يظهر دوما على لسان المسيحيين عندما يحلفون ، وفي احد الايام بطليطلة كان مسيحيان في نقاش كبير عندما قال احدهما :« انى احلف باسم الله » وقد اخذ عليه رفيقه ان يستعمل مثل هذه العبارات قائلا له :« احلف باسم من لا تؤمن به » . وقد رد عليه المسيحى قائلا :« انى احلف باسم محمد ، البغى ، الشرير » الا ان احد الموريسك كان حاضرا هذه المجادلة ، سرعان ما استولى على هراوة « وكله يرتجف » قد هدد الشاتم قائلا له :« ماذا فعل لك محمد ؟ » وبالطبع فان الموريسكى هو الذى سيدفع الثمن بسوقه الى دواوين التحقيق نتيجة شكاية المسيحى (30) .

وفي سنة 1614 ، لنفس هذا السبب ، تمثلت بياتريس هارننداز امام المحكمة ، وعلى الرغم من صفتها الموريسكية ، فانها استطاعت ان تبقى باسبانيا بعد عملية الطرد النهائية : الا ان عددا من جيرانها كانوا يرتابون في ابتداعها ، وفي احدى الامسيات ، قضت سهرتها عند احد افراد جيرانها ، وبينما كان رب البيت يشعل النار في المدفئة ، اصابه حرق وصاح :« بغى انت يا محمد » وقد ردت عليه « لم يكن بغيا ، ولكنه رسول » ولم تطرد بعد ذلك نتيجة شهادة مضادة من جارة اخرى ، كانت قد ذكرت انه خلال سهرة اخرى عندما كانت تستمع الى اغنية عاطفية جديدة عن طرد الموريسكيين ، قد ذكرت مع الآخرين : « ملعون انت يا محمد » وهذا ما أمكنها من اصلاح وضعيتها ، بعدما شاركت في مشهد اعدام بالحرق سنة 1615 وقد البست لذلك قماشا اصفر » (31) .

وبالنسبة للموريسكيين، فإن أول قاعدة لحياتهم الجماعية مع المسيحيين هي اذن قانون الصمت : فالكثيرون امتثلوا امام دواوين التحقيق لانهم كثيرا ما تكلموا أو اظهروا تعلقهم بالاسلام او انتقادهم للمسيحيين ، ومع هذا ففي الحياة اليومية ، توجد الف ملابسة حيث يصعب معها الصمت ، ولكن في

---

(29) A. H. N., Inq., leg. 195, n° 8.
(30) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 17.
(31) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 16.

بعض الاحيان كان صمتهم يخونهم ايضا : كان جماعة الموريسك في الغابات يحصدون ، وفي منتصف النهار جلب اليهم الحساء ، غير انهم لم يمسوه لانه « مطبوخ بشحم الخنزير » وقد قال أحد المسيحيين العريقين « ان ذلك ممنوع في دين محمد » وهم قد سكتوا واتهموا وسيقوا الى دواوين التحقيق » (32) .

غير انه بعد اعلان قانون الطرد النهائى ، كان بعض الموريسك يفكرون انه باستطاعتهم اخيرا ان يتكلموا وان ليس لهم اى عذر للصمت ونتيجة لذلك انطلقت الالسن ، وهذا من سوء حظهم . ففرنسسكو دو طالافيرا (Francisco de Talavera) لم يأخذ طريق النفى ولكن طريق سجون دواوين التحقيق بسبب تصريحه ان :« المسيحيين كانوا همجا لانهم يعبدون قطعا من الخشب » (33) وقد حوكم اولا سنة 1611 بالسجن المؤبد واخيرا اطلق سراحه بعد ثلاث سنين لينفذ أمر جلالته بطرده » .

نلاحظ اذن على ضوء هذه المعطيات كيف ان حدة المجادلة الناتجة عن المجموعتين مع بعضهما البعض لم تكن عمل المثقفين وأصحاب القلم ، بل تبرز في ابسط ردود فعل المواطنين ، وهذه المجادلة من خلال الحياة اليومية هى على اية حال ذات اهمية لكليهما ، والاثنان مرتبطان ارتباطا شديدا .

ان تصادم هاتين المجموعتين سوف يظهر بشكل واضح من خلال الاحكام التى يملكها كل منهما على الاخر : حيث الاتهام متبادل بينهما بان كلا منهما يسعى للقضاء على الآخر وبذلك تولد الرعب الجماعي الذى ساهم في فقدان الثقة بينهما ، وموجات الرعب هي انعكاس لكل التخوفات الشخصية التي تظهر من خلال العلاقات اليومية ومؤلف مخطوطنا يقدم صورة لهذا الخوف الذى يشعر به الموريسكيون عندما أوضح كيف ان المسيحيين لديهم نوايا انتقامية وهذا : « نظرا لعدم استطاعتهم جلب قلوب الموريسكيين القاسية من عقيدتهم الى دينهم الشيطاني (المسيحية) . فان البعض كان يقترح ابادتنا جماعيا والبعض الاخر يريد خصينا بواسطة قضيب حديد احمر فى مكان من الجسم حتى لا ننسل ونفنى وكأنما لهم القدرة على تغيير ما حددته عناية ربنا ازليا » (34) .

وكانت الاشاعات المخيفة تنتشر من حين لاخر لدى المسيحيين أيضا ففى بلنسية خلال السنين الاولى من القرن السابع عشر ، بدأ الناس يخشون على ابنائهم وقد اشيع ان الموريسكيين يسرقون الاطفال الصغار للعائلات المسيحية ثم يرسلونهم بعد ذلك « الى العرب هناك لتتم تربيتهم على دينهم المزعوم » . وقد جسم الموريسكيون « الغول » واصبح كل واحد يخاف على ابنائه ويقيهم من الموريسكيين خاصة اذ عرضوا عليهم الهدايا او الحلوى « وهم بذلك

---

(32) A. H. N., Inq., leg. 4393.
(33) A. H. N., Inq., leg. 198, n° 1.
(34) Real Academia de la Historia, S 2, f° 11 r° مخطوط رقم S 2

يخدعونهم بواسطة هذه الهدايا »: وعندما ياتي الليل يبحرون الاطفال الذين خدعوهم ، بعد ان يكونوا قد كموا افواههم حتى لا يصيحوا : « وكانوا يضعون في افواههم صمامة من الشحم ، ويضغطون بشدة على اسنانهم حتى لا يتمكنوا من الصياح » (35) .

وبالاضافة الى ذلك ، كان المسيحيون وخاصة بعد ثورة البشرات ، يعيشون تحت خوف انتفاضة عامة للموريسكيين ، وقد تناقل الناس ، انهم لا ينتظرون لهذا الامر الا وقته المناسب ، وانهم ساعون لجمع الاسلحة ، ومن حين يولد لهم طفل فانهم يبدؤون ، ابتداء من ذلك اليوم ، في جمع الاموال ، حتى يتمكنوا عندما يبلغ الطفل سن العاشرة ، من شراء سلاحه » (36) . وفي مثل هذا اليوم ، كم هو سعيد ذلك المسيحى الذى اتخذ من الموريسكى صديقا ! وقد ارتاعت الاقليات المسيحية باراقون عندما وصلتها هذه الشائعات وقد ابلغوا في الحال دواوين التحقيق التى قامت بتدوين ذلك وأمرت بالاستيلاء على الاسلحة (37) .

وقد يصل هذا الخوف ذروته في أوقات الازمات ويكون له نتائج مأسوية : ففى غرناطة مثلا ، وجد المسيحيون والموريسكيون في نفس السجن وقد عم المسلمون حالة عميقة من الهيجان ، وخشي المسيحيون القيام بانتفاضة وكانوا قلقين على حياتهم وهذا ما دفع الى اخذ المبادرة بالسبق وقتلهم مائة واحد عشر موريسكيا :« في هذه الايام الاخيرة وبسجن دواوين التحقيق قتل رئيس البلدية والسجناء المسيحيون مائة واحد عشر موريسكيا كانوا مساجين بحجة ان هؤلاء سوف يقومون بانتفاضة ، داعين محمدا (انجدتهم) » ذلك هو موجز تلخيص هذا الحدث المتنوع الذى ارسلته محكمة غرناطة الى المجلس الاعلى . ومن جهة أخرى أثارت تقارير جواسيس « البشرات » قرب القيام بانتفاضة موريسكية ، وهذا أمر صحيح اذ قد تم ذلك ، بتاريخ 2 أفريل 1569 ! (38) .

وعندما استتب الهدوء سوف يوزع الاسرى في ولايات أخرى وعلى الخصوص بقشتالة (39) ، اين ستفرض عليهم الاقامة الجبرية وهؤلاء الناس الذين اجتثوا من اصولهم ، سيصبحون منبوذين من طرف الموريسكيين واذا كان المدجنون القدامى قد اندمجوا في السكان ، فان هؤلاء على العكس منهم سيكونون هدفا لاضطهاد المسيحيين اليومى لهم ، وعلى الرغم من

---

(35) Fray Marcos de Guadalajara y Xavier, **Memorable expulsion y justisimo destierro de los Moriscos de Espana,** Pamplona, Nicolas de Assiayn, 1613, f° 69 r°.

(36) A. H. N., Inq., leg. 4529 II.

(37) ان الملف رقم 4529 من الارشيف التاريخى الوطنى هو فى جزء منه بالذات ، ملخص تصريحات هؤلاء الاراقونيين .

(38) A. H. N., Inq., leg. 2603 II.

(39) راجع بخصوص هذا الموضوع المقال التالى :
Bernard Vincent, « L'expulsion des Morisques du royaume de Grenade et leur répartition en Castille (1570 - 1571) » in, **Mélanges de las Casa de Velazquez,** Madrid, VI, 1979, pp. 211 - 247.

محافظتهم الشديدة على الاسلام ، فقد كانوا يستعملون اللغة العربية ولا يتكلمون اللغــة الاسبانيــة جيــدا وحيث كانت بالنسبة اليهم لغة اجنبية وفقا للمعنى الاشتقــاقى للكلمــة .

وهذا ما حدث للورنــزو لوبــاز (Loranzo Lopez) الذى كان في سنة 1573 عبدا لهارنندو كاريــون (Hernando Carrion) بطليطلة :« نظرا لصفته العربيــة ، ثــار ضد المسيحيين الكــاثوليكيين ، بالتعــاون مع عدد كبير من الموريسكيين وقد بقــى مع هــؤلاء في الجبــال اين نفتــرض ممارستــه لعديــد التقاليد والحفــلات الاسلاميــة مع بقية العــرب » وقد تعــرض نتيجــة لذلــك للاضطهاد المستمــر من كلتا المجموعتيــن :« وقد اطلــق عليــه بعض المسيحيين عربي وعليه وجب حرقه ... وعندما أراد أن يشرب في أحد الفنادق ، منــع من ذلك بحجة انه عربى » . وقد انتهى امره ان يتذكر ذلك ، وعندما رجمه جلادوه حجارة ، صاح من الألم الشديد، قائلا : « اني فعلا عربي حتى نخاع العظام ». واثناء محاكمتــه ، استنجد بمترجــم :« لان لديه كلمتين يريــد اضافتهما باللغة العربية ، وانه لا يقدر على التعبير عنهما باللغة الاجنبية » (40) .

غير ان الاشكال اللغوى سوف يصبح بينــا وهذا وفقــا لشرح الكلمــة الدقيق : لا يفهــم احدهمــا الاخر وهذا بسبب انهمــا لا يتكلمــان نفس اللغة ، وكل كلمة تاتى على لسان موريسكى تكون سببا للشك، وقد اوخذ جوان قراندة (Juan Grande) على استعماله لصيغ من لغته : « ذلك انه عندما يبــدأ عملــه والمسيحيون هنا ايضا يقولون « باسم الله يتفوه ببعض الكلمات وفقا للعادات العربيــة » . ومع هذا بماذا يتفــوه ؟ انها ولا شك كلمــة .. باسم الله » (41)

ان هؤلاء الغرناطيين من قشتالــة كانوا يعربون عن قلقهم المستمر لنواب الكورتس (Cortes) فأثناء الاجتماعــات التى تتــم في مدريــد تحــت اشراف فيليب الثانى سنــة 1592 وفي السنوات التى تليهــا ، كان هناك عــدد كبيــر من النواب قــد عرضوا على الملــك الاخطار التي يمثلها الموريسكيون للمملكــة ويتأسفون انه خلال عشرين سنة لم نقدر على حل هذا المشكل : « ففي أثنــاء الاجتماعات الاخيــرة ، رجونــا من سموكــم السعى للعثــور على عــلاج شامــل للمــرض الحالى والمستقبلى الذى يمثلــه هذا العــدد الكبيــر من موريسكيــى مملكة غرناطة ، وانه حتى يومنا هذا لم نعالج الموضــوع وان الوضعية ما فتئت تستفحل » (42) . غير انه هذه المــرة ايضا بقى التدخــل بدون نتيجــة مثــل غيرها من المحــاولات التى اتخذت بعد ذلــك .

2 ـ وضعيــة المــوريسكيين .

أ) الدفاع عن التقاليد والعادات الاسلامية :

وحتى لحظة الطرد النهائى ، احتفظت المجموعــة الموريسكية بتقاليدهــا الدينية محافظة حية ، وفقا لامكانياتها ، استمــرت تمــارس الاســلام ســرا .

(40) A. H. N., Inq., leg. 195, n° 12.
(41) A. I. C., leg. 245, n° 3270 A.
(42) Guadalajara y Xavier, **Prodicion y destierro de los Moriscos de Castilla**, Pamplona, Nicolas de Assiayn, 1614, f° 3 r°.

والتقاليد التي كان ينص عليها باستمرار ، هي تلك التي تتعلق بالمنوعات الغذائية اذ الامتناع عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير يعتبر واجبا دينيا ، خاصة وقد نص على ذلك الرسول . وحول أسباب المنع ، توجد عدة شروح كانت شائعة لدى الموريسكيين واشهرها هي التي تقول ان خنزيرا قد لمس يوما ما لباس الرسول الجديد ولوثه وان محمدا نتيجة لذلك ، قد لعنه في الحال (43) . ومرة أخرى لعن الخمر عندما لاحظ تأثيراته المهلكة على مجموعة من الشباب (44) وقد اعتبر الموريسكيون احترام هذا المبدا ، شرطا لانقاذهم وعلامة على اتحادهم مع المجموعة الاسلامية .

ان حالة فالا نوناز (Vala Nunez) هامة جدا لانها سمحت لنا بشرح هذين المظهرين ، كان هذا الشخص يعيش في هوركاجو (Horcajo) سنة 1550 ، عندما اوقف من طرف دواوين التحقيق. ففي شبابه الذى قضاه بأفيلا (Avila) علموه أنه وجب عليه أن يمتنع عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير : « وانه سيذهب الى جهنم ، وهذا ما اعتقده وأنه بسبب ذلك قد امتنع منذ ذلك اليوم، عن أكل للحم الخنزير وقد صرح الآن بنذر ذلك الى الشيطان ، وهو يجد طعم الخمر مرا ، شأنها شأن المرارة » . اما الآن فقد أنجب أطفالا وسوف يحترم نتيجة لذلك التقاليد : « كان يشم فم أبنائه ليعرف هل أكلوا لحم الخنزير وشربوا الخمر ، واذا ما أحس بشيء من ذلك كان ينهر أبناءه ويستفسرهم عن سبب أكلهم لحم الخنزير ويخبرهم أن أجدادهم لم يأكلوه على الاطلاق » (45) .

وقد ذهب بهم هذا الحرص الديني بعيدا : فايزابال لا قوردا (Isabel la Gorda) قد دعيت من طرف مسيحية لتناول طعام معها ، وقد قدمت لها أكلا التهمته بشهية ، الا « أنه بعد أن تناولنا الغداء ، وجاء الحديث بأن المشوى الذى قدم لها ، كان لحم خنزير ، وضعت ايزابال لاقوردا أصابعها في فمها وتقيأت كل ما أكلته » (46) .

هذا الالتزام كان يشعر به على أنه أمر وهذا الى درجة اثارة اشمئزاز وتقزز جسمي : فجوان هرادو (Juan Herrador) بالقالة (Alcala) قد رفض الاكل في صحون بها لحم الخنزير وامتنع أن يستعمل سكينا بحجة انه استعمل لذبح الخنزير . ولهذا السبب كان يقطع كل ما وجب أكله

---

(43) يمكن ان يكون ذلك تحت تاثير هذا العرف وحيث كان الموريسكيون حسب المؤلف فى كتابه Memorable ... ... نفس المصدر ، fo 158 r° et v° ، يرفضون حتى ارتداء لباس كان قد مسه خنزير « وكانوا يحتاطون كثيرا لذلك واذا مس احدهم الخنزير بلباسه او بتبعته ، فانه لا يلبسها بعد ذلك على الاطلاق طوال حياته » .

(44) نجد تفصيلات اخرى فى كتابه :
Fray Diego Haedo, **Topografia e Historia general de Argel,**
Valladolid, 1612, t. I, p. 153. édition Sociedad de Bibliofilos Espanoles,
Madrid, 1928.
نذكر هنا ان ايزابال دو القزار : A. H. N., leg. 191, n° 5 ذكرت ان « الخنزير يعتبر حيوانا تبيحا وانه لم يرفع البتة نظره الى السماء » .

(45) A. H. N., Inq., leg. 198, n° 15.

(46) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 4.

بأصابعــه » (47) . ونفس هذا الامــر لموريسكية من كاتالانيــا التي حضرت ذبح احــد الخنازير عند جزار القريــة ، فقد صاحت : « انهــا لا تأكل لحــم الخنزير حتى ولو توجوها ملكة » (48) .

ان عدم أكل لحم الخنزير أصبح اذن علامــة على عقيدة الاسلام ، وجوان المــاريك (Juan Almerique) كان لا يأكل شحم الخنزير ولا لحمه ولا المآكل التي تستعمل به ، وهذا احتراما لاوامر دين محمد » . وبعد اجراء تحقيق ، سوف يكتشف انه مارس « كثيرا من مظاهر دين محمد » (49) . كذلك هناك عدد من الشخصيات تتظاهر بشراء لحم الخنزير لاكله ، في حين أنها تكتفي باعطائــه لكلابها : « كثيرا منهــم يتظاهرون بشرائــه ، الا أنهــم لا يأكاونــه ، وعلــى الخصوص كانت النســاء الموريسكيــات ، لا يرغبــن بأى حال من الاحوال اقتنــاءه » (50) .

أما الامتناع عن شرب الخمر فيبدو انه كان عامــا ، خاصة لدى الرجال ، وكثيرا من الوقائع التى سردت في قضايا دواوين التحقيق ، كان مجال تأطيرها الحانة ، حيث كان الموريسك يترددون لشراء الخمر او شربه . وفي الواقع كان أقل التزاما من النساء وهن أكثر ارتباطا بالتقاليد ، وسيدات المطبخ ، خاصة كن يحترمن منع اكل لحم الخنزير بشكل صــارم . امــا مناسبات الشراب ، فقد كانت ، والحق يقــال ، أكثر ترددا من أكل لحم الخنزير ، والرغبــة ولا شك اكثر واقعية وبالتالي كان الاغراء شديدا .

وقد ذكر احدهم في احدى الحانات : « ان محمدا كان طيبــا » وقد ادعــى أثناء دفاعــه عدم مسؤوليته لأنه في حالــة سكر . وكانت الحجة ماكــرة حيث ساعده على ذلك، وفي الحال ، الوقوف بجانب المسيحيين ! وقد صرح واعترف انه في يوم من الايام عندما أخذ يشرب ، ضغط عليه أن يرد هل ان محمدا كان طيبا ، وقد رد بنعم ، وانه قال ذلك في حالة سكر » (51) .

وكانت هذه الحجة مقنعة جــدا ، لان الموريسكيين كــانوا يملكون العنب ويزرعونه ليظهروا انهم مسيحيون طيبون . غير أن دواوين التحقيق لم تكن دوما مغفلة ، وقد آخــذت دواوين التحقيق بطليطلة جوان هــرادو لأنه يملــك العنب ويصنع منه الخمر قصد « اخفاء نيته السيئــة ، اذ هو في الواقــع ، لا يشرب الخمر » (52) .

كذلك حافظ الموريسكيون على الممارسات الدينيــة الاخرى والمنسجمة مــع وضعيتهم ، واذا كان القيــام بالوضوء أمرا صعبــا ، فان أداء الصــلاة ، على العكس من ذلك ، كان سهلا ، وقد شاع خلال القرن السادس عشر عدد كبير

---

(47) A. H. N., Inq., leg. 194, nº 2.

(48) Ignacio Bauer y Landauer, **Relaciones y manuscritos** (Moriscos), Madrid, editorial Ibero-Africano-American S.d., p. 60.

(49) A. H. N., Inq., leg. 191, nº 7.

(50) Bauer y Landouer, **op.cit.,** p. 60.

(51) A. H. N., Inq., leg. 197, nº 9.

(52) A. H. N., Inq., leg. 194, nº 2.

من صيغ الصلاة ، وكانوا يقرأون الفاتحة وحيث نصت بعض آياتها « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » . واذا كان المفسرون غير متفقين جميعهم على شرح هذه الآية ، بالنسبة للموريسكيين ، فمما لا شك فيه ، ان الضالين والذين يثيرون الغضب الالاهي هم اليهود والمسيحيون . ومحمد القاصر ، أحد الموريسكيين المتغيبين والمستقرين بتونس قد قدم تفسيرا شخصيا للفاتحة ، شارحا رأيه كما يلي : « يا الاهي ، انقذنا من طريق الملعونين اليهود والمسيحيين الضالين » (53) . وبهذه الطريقة يؤكد الموريسكيون أكثر من مرة في اليوم ، انتماءهم الى طائفة متميزة عن المسيحيين .

أما الحج الى مكة ، فقد تأكدت مناسكه من خلال شهادة فريدة هي : المقاطع (Alhichante) الشعرية المنسوبة لبواى مونسون (Puey Moncon) والتي تعكس في الواقع قصة حج أحد الموريسكيين من أراقون في أواخر القرن السادس عشر أو أوائل سني القرن السابع عشر (54) ، ذلك أن ممارسة فريضة الحج ، من شأنها أن تغسل كل ذنوب المؤمن :

لقد سافرت بفرح
بعيدا عن كل اقاربي
للتحول الى ارض العرب
لاتمام فريضة الحج
وللقيام بهذا الحج
الذى هو فريضة هامة
من شانها ان تغسل كل الآم
من يقوم بمثل هذه الرحلة » (55)

ولا بد أن نعتقد ان صعوبة هذا الواجب، قد منعت الكثير من الموريسكيين القيام به ، ولم نعثر الا على القليل من الشواهد التي تبين قيام الموريسكيين بهذه الفريضة . ومؤلفات الموريسكيين التي تعدد فرائض المسلمين الدينية ، قد ذكرت وشرحت مع هذا فريضة الحج بنفس الطريقة التي شرحت بها الصلاة والصوم والزكاة (56) .

---

(53) المكتبة الوطنية بمدريد (B. N. M.) مخطوط رقم : 9074, f° 62 V°

(54) ان مخطوط الالخميادو لهذه الاغنيات ، قد عبر عليها باراقون : Almonocid de la Sierra :
وقد نشر من طرف : Mariano de Pano y Ruata بسرقسطة سنة 1897 كجزء أول من مجموعه :
Colleccion de Estudios Arabes : Las coplas del peregrino de Puey Moncon, Viaje a la Meca en El siglo XVI.
وهو المخطوط رقم XIII من مجموعة دولا جونتا (Junta) والموجود بـ :
(Instituto Miguel Asin, Madrid) رقم fo° 179 - 220 وقد درسه :
Henri Bigot, « Les strophes du pelerin de Puey Moncon » in,
Revue Tunisienne, XXIII, 1916, pp. 87 - 124.

(55) Pano y Ruata, op.cit., p. 36.

(56) صحيح ان معاهدات الممارسة هاته هي في بعض الاحيان عبارة عن ترجمة بسيطة من العربية ولا تهتم دوما بتماشيها مع الملابسات الخاصة لحياة الموريسكيين كما نلاحظ هنا ان جيبونيو دو ووجاس كان يخطط للقيام بالحج .

انما نعلم ، بفضل ما ذكره ازنار كوردونا (Aznar Cardona) ان موريسكيي أراقون ، قد مارسوا وحافظوا ، بالاضافة الى ذلك، حتى لحظة الطرد النهائي على أكبر الاعياد الاسلامية الاربع « وهذا حسب أمر الانبياء » (57) .

وأول هذه الاعياد : العيد الصغير ويدوم ثلاثة أيام وهو عيد الرحمة : ذلك أنه في مثل هذا اليوم تعطى الزكاة للفقراء . ويقع هذا العيد بعد انتهاء شهر رمضان ويطلق عليه أيضا عيد الفطر .

أما العيد الثاني فهو العيد الكبير ، وهو عيد الاضحى ، وهذا العيد الذى يطلق عليه الموريسكيون بعيد الفصح ، يخلد تضحية سيدنا ابراهيم ، وأصل هذا العيد مأتاه القرآن : « وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين ، سلام على ابراهيم » (58) . ان تضحية عيد الفصح تتم وفقا لطقوس دقيقة جدا ، كان الموريسك قد ذكروها في عديد من مؤلفاتهم الدينية (59) .

أما العيد الثالث فهو عاشوراء ويحتفل به بعد ثلاثين يوما من الاحتفال الثاني . وهو اليوم العاشر من شهر محرم ، وهم يؤمنون بالانبياء ومن ضمنهم المسيح . ومن الواجب في مثل هذه الحالات أن يصوم ويتجنب ، على الخصوص ، ارتكاب أى اثم . وكان يحتفل في مثل هذا الوقت بنعم الخالق ، التي منحها الى عديد أنبيائه : « يطلق على هذا اليوم عاشوراء التى تعنى عشرة ، اى اليوم العاشر من محرم ولانه أيضا ، فى مثل هذا اليوم ، خص الله عشرة أنبياء : فآدم قد تلقى في هذا اليوم التوبة وسفينة نوح قد اصطدمت في مثل هذا اليوم ، بجبل شوتى (Chuti) ، كما أنه في مثل هذا اليوم قد حمل سيدنا ادريس الى أعلى قمة انتصاره وحيث ما زال حيا ، وفي مثل هذا اليوم أيضا وهب النصر لسيدنا موسى على فرعون الذى أغرق هو وذووه في البحر ، وفي مثل هذا اليوم أيضا خلص سيدنا ابراهيم من نار النمرود (Nembrut) ، وأخرج سيدنا يونس من بطن الحوت وسيدنا يوسف من البئر ، وقبل الله توبة الملك النبي داوود ، كما خلص أيوب من آلامه ، وفي مثل هذا اليوم ولد القديس الرسول عيسى (المسيح) من بطن سيدتنا مريم العذراء ، وفي مثل هذا اليوم رفعه الى السماء حيث ما زال حيا وسوف يبقى كذلك الى يوم رجوعه الى هذا العالم ليحكمه بالقانون الذى سوف يحكم به سيدنا محمد ، وأنه خلال اربعين سنة سيكون حدث سعيد حيث يصل الذئب والاسد والنعجة أن ترعى معا . ويعد هذا اليوم، يوم صوم، اذ في

---

(57) Aznar Cardona, op.cit., II, f° 49 V°.

(58) اعتمدنا فى ترجمة القران على : Denise Masson, le Coran, Paris, Sourate XXXVII, pp. 107 - 109, Paris, 1967.

(59) ومثلا على ذلك الفصل رقم XIII من المخطوط رقم 397 من المكتبة الوطنية بباريس له العنوان التالى : « من تقاليد عيد الفصح وكيف يمكن اداؤها ، والحيوانات الصالحة للذبح والتى لا تصلح كذلك واصول واسباب هذه التقاليد » . وقد نقل هذا الفصل سلفستر دو ساسى (Silvestre de Sacy) فى فهرسه : Notice et extraits des manuscrits de la Bibliothèque du Roi et autres bibliothèques, pp. 320 - 322.

مثل هذا اليوم يمتنع المسلم عن اقتراف أي اثم وارتكاب جريمة قتل أو زنا وغيرها ... » (60) .

وأخيرا ، بعد ثلاث أشهر ، يأتي العيد الرابع الذى أطلق عليه (Atheuia) والذى لم نتمكن من معرفته .

تلك هي اللحظات السعيدة بالنسبة للمجموعة الموريسكية التي شعرت بوجودها كوحدة وبمعارضتها للمسيحيين . وقد لاحظ ذلك أزنار كاردونا : « أولئك هم الفاسدون وطقوسهم ملعونة ، وكانوا يجتمعون ليلعنوا المسيحيين ويسبوا حتى كتابهم الانجيل المقدس خلال اقامتهم لأعيادهم الفصحى الاربعة التي يحتفلون بها خلال السنة » (61) .

ان قضايا دواوين التحقيق تدلنا أيضا على أن الموريسكيين كانوا يحتفلون بيوم الجمعة . ففي مثل هذا اليوم ، اعتادوا تغيير ملابسهم حيث يلبسون الجديد منها. وخلال الليل كانوا يجتمعون دوريا عند ذويهم وأصدقائهم ليغنوا ويرقصوا ويأكلوا ما طاب لهم واشتهوه من المآكل ، وفي سنة 1538 مثل جوان دوبرقوس (Juan de Burgos) أمام محكمة طليطلة لانه نظم في بيته اجتماعات حيث أتوا اليه : « في الليل يعزفون على الآلات ويرتبون حفلة رقص ويأكلون الكسكسي » . وقد أوخذ عليه وعلى مدعويه العيش وكأنهم على أرض اسلامية ، والغناء بألحان عربية وباستعمال الاسماء الاسلامية : « كانوا يقومون بحفلات رقص وحيث كانوا يرقصون ويغنون أغاني عربية ويتكلمون العربية ، وكانوا ينادون على بعضهم البعض بأسمائهم التي أعطيت اليهم عندما كانوا مسلمين، وكانوا يفتخرون بتلك الاسماء اكثر من افتخارهم بتلك التي أعطيت لهم من طرف المسيحيين ، ويستنتج من هذا أنهم يقومون بكل ذلك ليحتفظوا بدين محمد » (62) .

ب) رفض الموريسكيين للتقاليد والعادات المسيحية :

ان معارضة الموريسكيين للمسيحيين سوف تترجم عادة برفض الممارسات الدينية المفروضة عليهم . وقد ظهر ذلك بأشكال عديدة ، سواء بموقف معاد في

---

(60) Memorial Historico Espanol, Madrid, Imprenta Real Academia, 1853, t. V, p. 130.

(61) Aznar de Cardona, op.cit., II, f° 49, V° 50 r°.

Guadalajara, op.cit., f° 159, r°.

قد ذكر لنا هذه الشهادة الاضافية :« بعد ان اتموا صومهم ، كانوا يحتفلون بعيد الفصح الذى يطلقون عليه : Alaghet Aszagheo اى العيد الصغير ، اما العيد الثانى فهو : العيد الكبير ، وهذا يتم الاحتفال به خلال اربعة ايام ويذبح فيه الخرفان الصغيرة والمعز او الكبش ، ويقومون بـ : la Zala : (لعلها الزكاة) وكذلك حق الذهب : El-Zancarron : والتى هى عبارة عن تجسيد لليد المحلاة بالاحجار الثمينة والمجوهرات والذهب : وانه فى مثل هذا الظرف تتم عملية ختان الاطفال الذين بلغوا الثمانية اعوام ، اما اليوم الخامس فيطلقون عليه « العاشوراء » وفيه يتصدقون ، وهناك اعياد أخرى لا اذكرها ، وفى كل هذه الحفلات يذكرون محمدا لفائدة سلطان المسلمين ويطلبون منه ان يقهر المسيحيين ، كما انهم يشتكون من الامهم على هذه الارض ، وهذا للمضرة الكبيرة التى تلحق دينهم ، وبعد البكاء والعويل الذى يصيبهم يقوم الفقيه بمواساتهم مخاطبا اياهم :« خففوا منكم يا اصدقائى ان هيئتكم هاته تخصكم وفى يوم من الايام سوف تكون من جديد لكم وعلى اثرها يمسحون دموعهم » .

(62) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 24.

راجع ايضا : leg. 195, n° 26 :

بعض الحالات أو غالبا تحت شكل المخادعات التي تهدف الى الغاء تلك الاحتفالات ، أو بشكل أبسط مرده عدم الرغبة في القيام بتلك الطقوس، .

وقد ظهر ذلك جليا في أكبر ملابسات الحياة التي يحتفل بها دينيا كالولادات أو الزواج أو الدفن . ونظرا الى أن الآباء الموريسك لا يقدرون على رفض تعميد طفلهم، فانهم يسارعون، أثناء رجوعهم من الحفل الى غسل راس الطفل ، غسلا دقيقا وفركه بعد ذلك بلباب الخبز، محاولة منهم لالغاء تاثيرات التعميد (63) . وفي سنة 1573 ببلمنتاجو (Belmontejo) غسل جوان سيارا بماء ساخن رأس ابنه ليفسخ ، كل الآثار المائية والزيوت المقدسة للتعميد (64) . كذلك وقبيل الطرد النهائي بدازا (Deza) كانت ماريا جاركينا (Maria Jarquina) بعد حفلة الكنيسة ورجوعها الى بيتها : « وبحضور شخصيات أخرى من أمتها ، قد نزعت ادباش طفلها وغسلته بالماء الساخن وأعطت له اسما عربيا هذه المرة » (65) .

ويبدو أن هذا الامر ، كان بالفعل عادة عامة اذ ينظم ، في مساء يوم التعميد ، جلسة ودية بين المسلمين كتعبير للوقاية ضد القربان المقدس . ففي الى بيتهدازا مثلا ، سنة 1570 لما رجع لوب قاراريرو (Lope Guerrero) في الحال من حفلة الكنيسة دعا كل أصدقائه لحفلة صغيرة ، ولم يكن الامر على الاطلاق الاحتفال بالتعميد ، بل بتنظيم حفلة اسلامية تتلى خلالها آيات من القرآن . وقد أعطي الرضيع اسما اسلاميا ، يعتبر بالنسبة للعائلة تعويضا للاسم الذى تلقاه يوم التعميد ، والفستان الابيض سوف يعوض بلباس موريسكي صميم : « تقام حفلة ما ، يتم خلالها اعطاؤه اسما عربيا . ثم يقع إكساؤه ملابس أنيقة وتجميله بالعنبر والمرجان في العنق وخواتم من فضة ، ثم يقوم أحد الشخصيات الحاضرة بقراءة بعض الصيغ بالعربية ويعطيه اسما عربيا » (66) .

وهناك موريسكيون آخرون ، لتجنب تعميد أبنائهم ، يستعملون في بعض الاحيان الحيلة : فعوضا عن تقديم مولود العائلة الجديد ، يعمدون أحد أطفالهم الذى تلقى القربان المقدس من قبل ، وسيستمر في تلقيه كلما حدثت ولادات جديدة بالقرية (67) .

---

(63) A. I. C., leg. 378, n° 5356.

(64) A. I. C., leg. 256, n° 3478.

(65) Boronat y Barrachina, Los Moriscos espanoles y su expulsion, Valencia, Imprenta de Francisco Vives y Mora, 1901, t. II, p. 252.
راجع ايضا : Guadalajara, op. cit., f° 158, r°.

(66) A. I. C., leg. 250, n° 3370.

(67) Boronat y Barrachina, op.cit., يذكر نصوصا عديدة تبين رفض الموريسكيين للتعميد : وقد ذكر مثلا فى الجزء الاول ص 226 تصريحات الشهود امام محاكم دواوين تفتيش فالانس : « اننا بالاضافة الي ذلك نعلم وبصورة اكيدة ، انه كلما كان ممكنا لهم اخفاء اطفالهم ، ليجنبوهم التعميد : اما اذا تعذر عليهم ذلك وبعد تعميدهم يغسلون رؤوسهم ويلقبونهم باسماء عربية » .

كذلك العيش كزوجين دون تلقي البركة أثناء موكب الزفاف يعد من طرف الموريسكي علامة على الهرطقة ، وهذا ما جاء في لائحة اتهام الفيرا (Alvira) زوجة مانوال دونايرى (Manuel Donayre) وجاء فيها بالتحديد : « ان هذه المرأة قد تزوجت كعربية وانها مع مانوال دونايرى ، وهو موريسكي ، قد زفت اليه حسب قانون العرب، دون أن تتلقى بركة الزفاف الكنيسية ، وقد استمرا على العيش معا كزوجين عربيين » (68) . ولا شك أيضا أن البعض كانوا يكتفون بممارسة شعيرة اسلامية : وقد جلب لوى دو سباها (Luis de Cebeha) سنة 1569 موريسكيا من بريا (Brea) بدازا ليقوم له بدور القاضي ويتقبل رضاء ابنه وخطيبته : « بأمر من لوى دو سباها المذكور ، وهو أحد أجداده الذين تزوجوا ، وجلب موريسكي من بريا ليقوم بدور مدير الشعائر الدينية وفقا لتقاليد الدين المحمدى ، وهذا دون ان يلتزم بأوامر وتقاليد أمناء الكنيسة المقدسة ، وهما يعتبران زواجهما تاما وكاملا » (69) .

كما نلاحظ من جهة أخرى ، ان رفض القانون الرباني للقربان المقدس ، يعتبر بالنسبة لمفتشي دواوين التحقيق ، رفضا لسلطة الكنيسة ، وهي التي تقنن هذا القربان ، بجعله نظاما مقبولا . وقد أوخذ على الموريسكيين أيضا أنهم لا يحترمون القواعد التي حددتها الكنيسة وعلى الخصوص كل ما يتعلق بالزواج بين الأقرباء من الاهل . وماريا فينانا (Maria Finana) مثلا ، كانت تعيش مع أحد أبناء عمومتها « بدون أى مانع ودون أن تحصل على بركات الكنيسة لزواجها ، وكانت تعتقد أن ذلك غير ضرورى وانه مسموح الزواج من الاقرباء دون أى مانع كشأن الدين المحمدى » (70) واذن فان ما أوخذت عليه أساسا ، هو عدم طاعتها لطقوس الكنيسة التي تنظم بعض أشكال المجتمع الاسباني . واثناء دفن أحدهم ، يسعى الموريسكيون الى تقريب تقاليدهم من الطقوس الدينية المسيحية . وقبل أن تتم دعوة القس ، يقوم الموريسكيون بممارسة تقاليدهم ، بغسلهم الميت بماء عطر مثل ماء الرند والاكليل وماء الزهر . وقد ذكر قوادالاجارا اى زافيي (Guadalayara y Xavier) ان السلطان قد اقتحم بيته على حين غرة في قرية من بلنسية اثناء احدى هاته السهرات . وقد اكتشفوا « كمية من الاواني مملوءة بماء الرند والاكليل والزهر من أجل اغتسالهم ، مع وجود كتاب باللغة العربية لقرآنهم الملعون » (71) .

وبعد غسل الميت، يلبسونه اجمل لباسه، وهذا ما فعلته ايزابال باريز (Isabel Pérez) : « اذ انها بعد أن غسلت الميت ، غطته بكفن حسب التقاليد والعادات العربية والبسته وفقا للدين الاسلامي ، ثلاث اقمشة كتانية قميصا وسراويل نظيفة ، وستارا على الوجه وفوق الكل كفن أبيض » (72)

(68) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 16.
(69) A. I. C., leg. 249, n° 3369.
(70) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 21.
(71) Guadalajara y Xavier, op.cit., f° 2 V°.
(72) A. H. N., Inq., leg. 194, n° 26.

وفي المقبرة ، خلال هذا الوقت ، عندما يكون ذلك ممكنا ، يتـم اعـداد القبر وفقا للتقاليد العربية : « لقد أحضرت وغطت بأوراق العنبر وآنية بها ماء وكمية من الخبـز والزبيب » (73) . ان عـادة وضـع المـآكل التي يفضلهـا الموريسكيون في القبر ، قد ذكرها أزنار كاردونا الذى وصف دفـن أحد الموتى في بارباستــرو (Barbastro) : « لا توجد مقبرة ولا كنيسة لائقة لدفن أبيه ، وقد دفنه في المقبرة الخاصة للموريسكيين بمدينة نابال (Nabal) حيث تـم دفنه ضمن الملعـونين المحكوم عليهم بالاعـدام ، وفي مدخل وجوف الكفـن ، وضعوا شيئا من الذهب والتين والزبيب ، للطريق .. » (74)

ولتجنب الاستمرار في ممارسة هـذه الطقوس الاجنبية بالنسبة للمذهب الكاثوليكي ، وللسير قدمـا في تطبيق سياسة الاندماج ، قـرر مجلس مدريـد سنة 1587 تحت اشراف فيليب الثاني ، ان كل الموريسكيين ، دون استثناء ، يجب عليهم تلقي دفن كنسي ، وأنه يتحتم عليهم دفن موتاهم في نفس مقابر المسيحيين . ومثل هذا الاجراء ، كان يهدف علـى الخصوص مملكـة بلنسيـة وأراقون وهي الممالك الاكثر اسلاما من غيرها ، وكان تاثير هذا القرار ، في هذه المنـاطق ، قـد اثـار غضب المـوريسكيين والمسيحيين العـريقين : « ان المسيحيين العريقين قد حزنوا لذلك ، والموريسكيون قد حزنوا أكثر لهذا الامر، شانهم فيذلك شأن المحكوم عليهم بخيانة شائنة » (75) ان مجلـس بلنسيـة الذى احتفل بعد عدة شهور تحت اشراف القس ، قـد أعاد للاذهان دفاعـه عن هذا القرار وأعطى تعليماته الدقيقة ليتم تنفيـذه وتطبيقـه وهذا ما يبين أن مذين المجموعتين تشمئز أن تتعايشا حتى بعد الدفن .

ومنذ زمن ، بقشتالـة ، كان الموريسك يدفنون في أرض مقدسـة ، في حين كانوا يفضلون ، والحق يقال ، « أرضا بكرا » وعلى ضوء ذلـك طلبوا مـن الحفار ، وخاصة اذا كان موريسكيا ، ان يحفر على عمق كبير حتى لا يتم لف الجثة في أرض غير مقدسة : وهذا ما فعله دياقو دولاس كازاس(DiegoLas Casas) بطليطلة سنـة 1555 :« للحفاظ على احتفالات الديانـة الاسلامية ، وكلما كان الحفار يحفر القبور ، فان دياقـو هذا كان يقـول للشخص المكلـف بذلـك ، ان يحفر عميقا حتى يصل الى الارض البكر ، وانه اذا لم يسدد له ثمن ذلك ، فانه مستعد أن يدفع كل التكاليف ، والدين الاسلامي يفرض أن يكون الدفـن في الارض البكـر » (76) وقـد لاحـظ أيضـا ، قوادالاجـارا اى زافييـي ان الموريسكيين « كثيرا ما دفنوا في الارض البكر ووضعوا على القبر حجرين قد بوركا من طرف فقهائهم » (77) .

---

(73) Guadalajara y Xavier, **Prodicion... op.cit.,** f° 2 V°.

(74) Aznar Cardona, **op.cit.,** II, f° 43 V° 44 r°.

(75) Guadalajara y Xavier, **Prodicion... op.cit.,** f° 2 r°.

(76) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 32.

(77) Guadalajara y Xavier, **Memorable... op.cit.,** f° 158, V°.

ومن جهة اخرى كان الموريسك يتأقون، على الرغم منهم، مختلف اسرار القربان المقدس : « ان هؤلاء الكلاب يستهزئون ويسخرون من كل الطقوس المقدسة عندما يتلقونها ... انهم لا يبدون أى حالة نحو تأكيد الطقوس المقدسة ! وكانوا يؤخرون حفلات اعراسهم الى نهاية شهر رمضان ، ولا يطلبون اطلاقا تأكيد ذلك عن طريق بركة القس » (78) .

ان ازنار كاردونا الذى مارس طويلا مهنته الكهنوتية لدى الموريسكيين ، قد ذكر عددا من القصص حول مواقفهم وخطبهم الجدلية ، وبالنسبة الى طقوس التوبة فقد كتب : « ان الكفار المحمديين ، للتعبير عن معارضتهم لهذه الطقوس ، قد اظهروا دوما ازدراءهم وحقدهم هذا فضلا عن الموريسكيين العنيدين في اسبانيا بلادنا ، وهذا ما يؤدى الى امكانية وضع كتاب مطنب حول الكلمات الفظة او الاقتراحات الملحدة التى عرفناها عنهم ، غير انه وجب اعتبارهم اشخاصا ضائعين ووحوشا اغبياء » (79) .

ففى طرطوشة (Tortosa) مثلا ادى المعرفون و'جبهم بسرعة كبيرة : « ذلك انه بفضل اعترافاتهم لا نعثر على اى اثم ارتكبوه ، وهذا بسبب أنهم لا يقرون بشىء » (80) وبميرافات (Miravete) القريبة نسبيا من طرطوشة وبسبب ان رئيس الدير كان اطرش ، كان جميعهم يعترفون له ؛ وكان الموريسكيون يجدون متعة في الرد على كل الاسئلة بـ :« لا . لا » وكان ذلك مرفوقا بصياحهم وبالفرحة الكبيرة للاشخاص الذين حضروا هذه المسرحية غير بعيدين عنهم (81) .

أما لكل ما يتعلق بالقربان المقدس والاحتفاء به ، فان ازنار كاردونا يرى ان تهكماتهم الملحدة ضد « قداسنا الاعظم » ، تعد خطيرة جدا ، وانه وجب الاعتماد الآن أننا نرتكب اثما اذا أقمنا أمامهم قداسا ، وقد ذكر أيضا عددا مختلفا من « وقاحتهم المشينة وتهجماتهم الخطيرة جدا ، ضد القربان المقدس (82) . ولهذا السبب عندما كان القديس يرفع القربان المقدس ، كان الموريسكيون يديرون ظهورهم و « يقومون بحركات مخلة بالحياء » . وفي بعض الحالات الاخرى يتحلون بوقار الكنيسة اذا كان معهم « مسيحيون عريقون » غير انه لدى رجوعهم الى بيوتهم ، ينظمون على سبيل السخرية بمحاكاة الطقوس الدينية : ومثلا ، في احدى المرات في بيوتهم، وضع احدهم فوق رأسه قطعة ذهبية وقال : « هل تحبونها او تعبدونها ؟ » . وفي بلاسنسيا (Plasencia) ايضا تجرأ « احد الكلاب الملعونين لهؤلاء الكفار » اثناء قداس ان يرمى على القربان المقدس ، قطعة من القماش القديمة لف فيها فواضل بشرية » (83) .

---

(78) المصدر نفسه ، f° 158, r°

(79) Aznar Cardona, op.cit., I, f° 50 V°.

(80) Bauer y Landouer, op.cit., p. 73.

(81) المصدر نفسه ، ص 45 .

(82) Aznar Cardona, op.cit., I, f° 63 r°.

(83) المصدر نفسه ، I, f° 63 V°

ويبدو ان هذه المواقف الوقحة ، دون ان نصل دوما للحالات القصوى ، كان حدوثها عاما . ففى تلخيص لاحدى الزيارات التى تمت في قرى احدى الولايات ، من طرف مبعوث « مجلس جلالته المقدسة والعامة والتابعة لدواوين محاكم التفتيش » سنة 1562 ، نص على أن كل الكهان كانوا يشتكون من سوء أدب الموريسكيين اثناء إقامة القداس وعلى الخصوص النساء منهم : « انه اثناء اقامة الطقوس الربانية ، كانت النساء محجبات ويتكلمن بصوت جهورى جدا الى درجة أن مثل هذا الهرج هو تعبير عن أن مسيحيتهن كانت ناقصة » . ان الأساقفة قد قاموا بكل ما فى وسعهم لعلاج مثل هذه الامور ، غير أن هؤلاء المسيحيين الجدد لا يلتزمون بالتعليمات الكنيسية : « لأنه لا فائدة ترجى من اصلاحهم » . أما في سنة 1566 ، فان مطران بلنسية دون مارتين دو ايالا (Don Martin de Ayala) الذى أظهر قلقا من سيرة الموريسكيين اثناء اقامة القداس ، قد أوصى رجال الدين بعلاج هذا الامر : « ان مسؤولى الدوائر ونواب الأساقفة سوف يسعون بكل عناية على ان يحترم المواطنون ويستمعوا الى اقامة القداس بكل احترام وان يتمتعوا بسلوك مثالى » (84) .

وقد وصلت وقاحة الموريسكيين درجتها القصوى ، قبل عملية الطرد النهائية ، عندما أصدر البطريك ريبارا (Ribera) أمرا الى أساقفة مطرانيته بمنع تناول القربان للموريسكيين (85) . وفي نفس هذه الفترة بكاتالونيا (Catalogne) . « كان يوجد عدد كبير من الموريسكيين فى الكنيسة اثناء لحظات القيام بالقربان المقدس ، يضحكون ولم يظهروا أى ورع ولا أى احترام للقربان المقدس وعلى الخصوص النساء منهم ، كن يتميزن بجلستهن الغير المؤدبة » (86) .

وعندما يطلب منهم الاسقف ان يقفوا لقراءة الانجيل ، فانهم يقومون بذلك محتجين . كما أن الموريسكيين يختصرون الى درجة كبيرة ، حضورهم ، باذلين براعتهم ليصلوا رأسا الى الانجيل ويخرجوا مباشرة بعد اقامة القربان المقدس (87) . غير أنه فى بقية كل القرى ، كلف مامورو القضاء بالتثبت ، يومي الاحد والاعياد ، ما اذا كان الموريسكيون يحضرون اقامة القداس أما الاشخاص الذين يقاطعونه ، وجب عليهم أن يدفعوا ضريبة بقيمة

---

(84) المصدر نفسه ، I, f° 63 V° . واجع Guadalajara, **Memorable... op.cit.,** f°159 r°.
يؤكد قلة اخلاص الموريسكيين بهذه الكلمات : « اذا دخلوا الكنيسة ، لا يأخذون الماء المقدس ، ولا يقومون باشارة الصليب ، لقد كانوا مثل الشيطان واشد اعداء المسيح ، وعندما يستمعون الى القربان المقدس فان عدم احترام هيئتهم كان سببا لكثير من الفضائح وكنا قد فرضنا عليهم الخوف . الا اننا نلاحظ قلة ايمانهم لحظة رفع القربان المقدس ، وكانوا يقومون بتقطيب جباههم وخفض رؤوسهم وتحويل وجوههم ودفع أبنائهم الى البكاء ليزيدوا القامة ضوضاء ، وهناك حادث خارق للعادة وتمثل ذلك فى حمل احدهم السبحة وانطلاقا من احترام القديسيين ، يطلق اسم السيد المسيح » .

(85) Antonio del Corral y Rojas, **Relacion del rebelion y expulsion de los Moriscos del reyno de Valencia,** Valladolid, Imprenta de Diego Fernandez de Cordoba y Oviedo, 1613, f° 4 V° et 5 r°.

(86) Bauery Landauer, **op.cit.,** p. 65.

(87) المصدر نفسه ، ص 37 .

« خمس صول » (88) . اما مأمور بنيسانات (Banisanate) فيشتكى من العمل الذى لحقه من جراء ذلك « اننا نسمعهم اقامة القداس بعد اجبارهم على ذلك والتهديد بعقابهم ، وكل هذا يتطلب تاثيرا كبيرا » (89)

وهذا الرأى يشاركه فيه أحد المأمورين الآخرين حين يقول : « انهم لا يتحولون الى الكنيسة ويحضرون القداس ، الا بعد جبرهم على ذلك » (90).

وكان الموريسك كثيرا ما يتلقون ببرودة تعاليم الأساقفة : وبعضهم يتمسكون بدرجة الشرف برفضهم تعلم الصلوات : وقد كان هذا صحيحا جدا منذ بداية استجوابات المشبوه فيهم ، وقد قام المحققون بالتثبت ما اذا كانوا يعرفون الصلوات المسيحية والتي كان يعتبر عدم معرفتها عن ظهر قلب ، علامة على الممارسة السيئة او ايضا على التبعية للدين الاسلامى .

وكمثال على ذلك كان اندريس دو مندوزا (Andrés de Mendoza) « لا يعرف كيف يؤدي علامة الصليب ولا عقيدة الايمان ولا صلاة التأبين وحيث كان المفروض على كل مسيحي معرفتها » (91) . أما جوانا هارننـدا (Juana Hernandez) من دايميال (Daimiel) والتى تعرضت لنفس المأخذ ، فقد أوضحت ، بالاضافة الى ذلك ، ان المسالة لا تتعلق هنا بعدم اظهار الاهتمام ، ولكن بالاعلان عن معارضة للمسيحيين : وأضافت أنها وأمثالها « يرجعون من الكنيسة بعد اقامة القداس ، وهم يحسون بشعور الانتماء الى العرب ، اكثر مما كانوا قبل أن يدخلوا » (92) .

وفى حالات أخرى ، كان الموريسكيون يحتفلون بالاعياد المسيحية ، على « الطريقة العربية » . ويبدو انه كانت توجد طريقة للاحتفال بعيد القديس بطرس بأخذ حمام طقوسي : استحمت « وايزابال دو القزار (Isabel de Alcazar) صبيحة عيد القديس بطرس ، واغتسلت عارية ، في دلو مملوء ماء » . وقد دافعت ،والحق يقال ، انها كانت تهدف ان تجعل ذلك عادة طقوسية ، ذلك ان النظافة بالنسبة لها ضرورة حتمية وليس ذلك احتفالا عربيا ، خاصة وأنها مصابة بمرض « الجرب » (93) . والواقع أن ايزابال دو القزار كانت تداوم بهذا الشكل ، وبطريقتها على ممارسة التقاليد القديمة للاحتفال بعيد القديس بطرس أو « أنصار » الاندلس (94) .

---

(88) المصدر نفسه ، ص 40 .

(89) المصدر نفسه ، ص 45 .

(90) المصدر نفسه ، ص 37 .

(91) A. H. N., Inq., leg. 195, n° 23.

(92) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 19.

(93) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 5.

(94) راجع بخصوص هذا الموضوع ، المقالين التاليين :

Fernando de la Granja, « Fiestas cristianas en al-Andalous (Materiales para su estudio) » in, **Al-Andalus, XXXIV,** fasc. I, 1969, pp. 1 - 53, XXXV, fasc. I, 1970, pp. 119 - 142.

وقد ذكر ازنــار كاردونــا حول هذه النقطــة ، ما يلــي : ان موريسكيي أراقون ، كانوا يحتفلون بفرح ، بمولد الرسول القديس جان بابتست ، وهو الذى ذكر الرسول محمدا وحيث « كانوا يحتفلون بعيد القديس جان بابتست بفرح كبير ، وليس ذلك للتعبير عن احترامهم له ، بل للتذكير بهذه الشهادة المشهورة التى أعلنها سيدنا المسيح عندما قال : « ان الذى سيأتى بعدى ، كان قد خلــق قبلــى » وهذه الشهادة ، قد نسبها الى نفسه الرسول الكاذب محمــد » (95) .

ومــن الغريــب ، ان البعــض كــان لهــم تعلــق خــاص بســان جــاك (Saint-Jacques) لقــد كانوا يعــدون قديسيــن بعض من نعتبرهــم ، نحــن المسيحــيين كــذلك ونحتــرمهــم وعلــى الخصــوص الدعــــاة الذيــــن أطلقوا عليهم اولياء ، وانهم متشبثون بالقول أنهم من أصل عربى ، ويذهبون حتى الى القول بان الداعية سان جاك كان يسمى عليا » (96) . وعلى ضوء ذلك انتشر أدب فروسى الخميادو - موريسكى ، كان قد جمع كل النصوص ذات الطابع الاخلاقى والتى اتخذت من أصحاب الرسول الاول ، ابطالا ومن بينهم على . وهذا كما بينه الفارو قالماس دو فوانتا (Alvaro Galmés de Fuentes) فى طبعة مؤلفة : **كتاب المعارك** . (Libro de las Batallos)
« ان الزعماء أو أبطال أساطير الخميادو الجهاد ، أصبحوا مغامرين على شاكلة رولان (Roland) أو الاثنا عشر **سارقا** Paires كاورلندو (Orlando) وتيران لو بلانش (Tirant la Blanche) أو دو اماديس D'Amadis وان حيــاتهم ومغــامراتهم اصبحت بالفعل تترجم بحــق عن مميــزات كتب الفروسيــة » (97) . وبالنسبة للموريسكييــن تلتقي كلمــة حــرب صليبيــة و « جهاد » في نفس المستوى ، وبالنتيجة فان سان جان (قاتل العرب) الذى يعتبر بطلا للمسيحية ، قادر على أن يتقمص مميزات علــي ، بطل الاسلام .

سوف يؤاخذ كذلك على جيرونيمو دو روجاس (Geronimo de Rajas) الذى امتثل أمام محكمة تفتيش طليطلة انه توجد في حوزته قائمــة خاصــة بالاولياء : « لا يوجد الا سان جــان واحد وحيث أعطــاه الله رمحا وهبه فيــه

(95) Aznar Cardona, op.cit., II, f° 51, r°.

(96) Haedo, op.cit., t. I, p. 152.

ان موقف الموريسكيين هذا تجاه سان جاك ، لم يكن فى الواقع ، عاما ، وفى مناسبات اخرى كانوا يحطمون تمثالهــا شأنها شأن بقية التماثيل ، اما المؤلــف الثانى فقد ذكــر فى الملاحظة رقم 31 لمقاله التالى :

J. M. Pelorson, « Recherches sur la « Comedia » Los Moriscos de Hornachos » in, Bulletin Hispanique, LXXIV, n°s 1 - 2, p. 31.

حول هذه النقطة بالذات عدة شهود ، كان أحدهم من بليدا (Bleda) والاخر من ماديرا (Madera) وقد استخرج ذلك من :

Execelencias de la Monarquia y Reino de Espana, Madrid, Luis Sanchez, ed. de 1625, f° 48 V°, Col. a.

(97) Alvaro Galmés de Fuentes, El libro de las batallas (Narraciones Caballerescas aljamiado - moriscas), Universidad de Oviedo, 1967, p. 10.

سلطة ، تمكن بفضلها أن يسيطر على كل الاشخاص الذين يرغب فيهم : ان الاسم العربي لسان جاك « **هذا ، هو موسى ، أخو عيسى** » (98) .

وفى حالات أخرى وبنفس الجهل للتسلسل الزمنى ، أكد الموريسكيون ان « المسيح ومحمدا كانا من عائلة نسبية واحدة » ، وان الاب فرنسسكو ابن عمر هو الذى ادعى أنه قرأ ذلك في كتاب (99) . وفي سنة 1573 كان **ميكال موزا** (Miguel Muza) الذى يسكن بشيفا (Chiva) قد امتثل أمام محكمة دواوين التفتيش لاسباب مختلفة ، ومن بينها تنظيمه مى بيته اجتماعات غريبة جدا : « كان يقوم على تنظيم اجتماع ببيته للرجال وللشباب ليقرأ عليهم كتابا يملكه باللغة العربية وكان موضوعه مجادلة بين المسيح ومحمد ، وحيث خرج هذا الاخير منتصرا » (100) . وعلى ضوء ذلك نرى اذن ، ان الذى يهم الموريسكيين هو بالاضافة الى الدقة التاريخية ، معارضتهم للمسيحيين على الرغم من أن التعبير عنها كان من خلال التصورات أو الرسوم التى اقتبست من العدو نفسه .

وبالنسبة للملوك الكاثوليكيين ، فان على الدولة التي تعتبر تجسيدا سياسيا وقضائيا للامة الاسبانية ، ان تأخذ الاجراءات الكفيلة للحفاظ على وحدة البلاد الدينية : وهذا ما يفسر طرد المجموعة اليهودية واجبار الموريسكيين على اتباع الدين المسيحي . لقد كان الملوك ، يهدفون من وراء البحث على الوحدة الدينية الى جعل البلاد حقيقة اجتماعية وسياسية متوجة بروح وجسد ، متحدين في هذه المجموعة ذات المصير التاريخي الموحد .

وقد عبر فيليب الثاني بدقة عن هاته السياسة فى حيثيات العفو سنة 1571، الذى منحه لموريسكيي اراقون وبلنسية وكاتالونيا : وقد أكد انه سوف يحترم تقليد والده الامبراطور شارل الخامس : « ان ما حاوله وركز عليه كل جهوده ، هو العمل على المحافظة على ممالكه ومناطق نفوذه من كل خيانة أو ضلال البدع . ومن أجل ذلك ، قلد الملوك الكاثوليكيين ذوى السيرة الموقرة » (101) . وسوف تصبح دواوين التحقيق رمزا وتعبيرا عن ضمان المعتقد السليم ، كما انها سوف تترجم عن الصرامة التي مارستها الكنيسة والدولة لاحترام وحدتها الدينية ، والتي تعتبر ركيزة المجتمع الاسبانى خلال القرن السادس عشر . وعلى ضوء ذلك ، فانه لا توجد ، بالنسبة للموريسكيين الا سياسة واحدة : هى سياسة الاندماج ، وهذا بعد التسامح التكتيكي الذى مارسته اسبانيا خلال السنوات الاولى . وللوصول الى الهدف اتخذ الملوك والكنيسة أو دواوين التحقيق دوريا أو تباعا ، اجراءات متنوعة .

ومن هذه الاجراءات كان التعليم الدينى للموريسكيين الذى أصبح احد الاهتمامات الرئيسية للحكام ورجال الدين . وقد كان الحكام يفكرون بان

(98) A.H.N., Inq., leg. 197, n°5.
(99) A. H. N., Inq., leg. 2603 I.
(100) Boronat y Barrachina, op.cit., t. I, p. 263.
(101) A. H. N., Inq., leg. 4671 I.

الامر يتعلق بمشروع طويل المدى وعلى ضوء ذلك ، فقد منحوا بسهولة ، خلال النصف الاول من القرن السادس عشر ، آجالا للمعتنقين الجدد وعلى الخصوص في المناطق الاكثر محافظة على الاسلام مثل أراقون وبلنسية أو غرناطة . ففي سنة 1562 حرر المجلس الاعلى لدواوين التحقيق الى دواوين تحقيق غرناطة أن يبدى بعض المرونة تجاه الموريسكيين حول عدد من المسائل كأكلهم اللحم يوم الجمعة : « هي علامة اضافية على عدم وجود تعليم مسيحي أكثر منه علامة على البدعة والانحراف » . وقد ختم كلامه بضرورة مضاعفة الحماس لتعليمهم .

ففي أراقون وبلنسية ، كان النبلاء لا يساعدون قطعا ، رجال الدين ودواوين التحقيق على القيام بمهمتهم . وحالة دون سيانشو دو قاردونا « أميرال أراقون » لم تكن شاذة : فهو حسب دواوين التحقيق ، يمثل جانبا من النبالة التى تستخدم الموريسكيين ومظهرا تجاههم تسامحا مذنبا . ونقرأ في تقرير قضيته هذه الاسطر التي حررت خلال شهر ماى 1568 : « لقد فهم هنا ، لدى محكمة دواوين التفتيش ومن خلال المصادر العديدة ، ان الاسياد الذين يقطعون الموريسكيين ييسرون اعتناقهم للدين المسيحي » وهذا ضد تعليماتهم (102) .

وقد أخذوا عليه أساسا أن يسر « دين محمد المنبوذ » بالسماح الى الموريسكيين ان يعيشوا فوق الاراضي البلنسية وأن يرمموا جامعا قديما جدا ليتمكنوا من اقامة شعائرهم فيه . ثم الم يقل لهم ، بالاضافة الى ذلك ، أن تعميدهم يعتبر لاغيا لانه فرض عليهم ، وذهب حتى الى نصيحتهم بالتظاهر شكليا بالمسيحية وبالبقاء فى الواقع عربا » (103) .

أما فراى طوماس دو فالانوفا (Fray Tomas de Villanueva) اسقف بلنسية، فقد اشتكى، من قبل، من التاثير السيء الذى يحدثه حسب رأيه : « اسياد الموريسكيين ، على رعاياه ، وأضاف قائلا : ان هؤلاء الاسياد هم الذين يحتاجون بالفعل أن يعتنقوا الدين (المسيحي) قبل غيرهم » (104) .

وانه على ضوء ذلك ، وجب اعتبار موقف دون مارتين دو اراقون (Don Martin d'Aragon) دوك فلا هرموسا (Villa hermosa) شاذا عندما اهتم بهذا المشكل وأرسل تعليماته الى القساوسة المكلفين بقرى الموريسكيين (105). أما نشاط الدوك دو قاندى (Duc de Gandie) فكان هو الآخر رائعا ، عندما تعهد بالاشراف على تعليم الدين المسيحي لرعاياه الموريسكيين وقد كتب بـ. سيو

---

(102) Baronat y Barrachina, op.cit., t. I, pp. 443 - 469.

(103) المصدر نفسه ، ص 454 .

(104) مذكور في : Baronat y Barrachina, El beato Juan de Ribera y el Real Colegio de Corpus christi, Valencia, Vives y Mora, 1904, p. 110.

(105) راجع بهذا الخصوص المعلومات التي وفرتها : Maria Soledad Carrasco Urgoiti, op.cit., p. 15, et pp. 19 - 20.

في كتابه تاريخ القديس فرنسوا دو بورجيا (P. Suau) (Histoire de Saint François de Borgia) : « انه منشغل كثيرا بالتربية الدينية والاخلاقية لرعاياه الموريسك .. زيادة على وعظه الجماهير ، ذلك أن الدوك يعول على تربيـة الاطفـال لجلب الموريسكيين الى الحياة المسيحية الحقيقية . ولهذا ، فقـد رغب في قـاندى (Gandie) نفسها ، ان يفتح لهم مدرسـة يعهـد بهـا الى ابـــاء رفـاق المسيـح (Pères de la Compagnie de Jésus) شأنها ، شان مدرسة برشلونة التي كان معجبا بها وبنتائجها : وانه خلال رمضان سنة 1544 ، فاتح بهذه الرغبة الاب أراؤوز (P. Araoz) الذي رفعها الى سان اينياس (Saint Ignace) (106) . الا ان هذا الاخير نصحه أن يفتح مدرسته ، ليس فقط للموريسكيين ، بل لكل رعايـاه ، وهذا ما قبله الدوك .

وقد فشلت مدرسة اطفال الموريسك هاته ، وحيث كان يتردد عليها 18 طفـلا يتمتعـون بمنحـة : « 12 لاطفـال الولايـات و 6 لمـركيـزا دونيـا (Marquisat Donia) ... وبتاريخ 31 أوت 1548 أعفى المدرسة من 12 طفلا موريسكيا ، أما التابعون لدونيا فقد استمروا حتى سنة 1551 » (107) .

وفي نفس هاته الفترة اهتم فـراى طومـاس دو فالانوفـا ، هو الآخر ، بتعليـم الموريسكيين . وقـد احتفظنا منـه « بقائمـة الخورنيـات الجـديدة وبمعهد المعتنقين الجدد التابعين لادينة وأسقفية بلنسية » وكذلك : « حول مـا وجب القيام به للاشراف جيدا على هؤلاء المعتنقين الجدد » (108) .

ويبدو واضحا ان هذه الاهتمامات قد عمـت في الغـالب وتـم التعبيـر عنها من خـلال احـداث النصف الثاني من القرن السادس عشر . وبالتحديد لغرض تعليم المـوريسك ، نشر ببلنسية سنـة 1566 ما أطلق عليـه : تعليم العقيـدة المسيحيـة باللغـة العربيـة والاسبانية (109) . ويرجع الفضل في تحريرها الى حماس أسقف بلنسية دون مارتان دو ايـالا (Don Martin de Ayala) . وقد نشرها باللغة الاسبانية بحروف لاتينيـة كبيـرة ومصحوبة بترجمة عربية بين السطور . ومقدمة الاسقف ذات أهمية من حيث أنها تقدمه للموريسكيين كابيهم الروحي . « وانه من اعماقه يأمل انقاذهم

---

(106) Pierre Suau, **Histoire de Saint François de Borgia, troisième général de la Compagnie de Jésus, 1510 - 1572,** Paris, Beauchesne, 1910, pp. 172 - 173.

(107) المصـدر نفسـه ، ص 192 — 193 ، ولمزيـد من المعلومـات حول هذا الموضـوع ، راجـع ايضـا :

Antoni Borras y Feliu, « El bandeig. dels Moriscs i el Collegi de Sant Sebastia de Gandia. Répercussions économiques, in, **Homenatge a Jaume Vicens i Vives,** Vol. II, Barcelona, 1967, pp. 67 - 74.

(108) Baronat y Barrachina, **Los Moriscos ... op.cit.,** t. I, p. 203.

(109) نشـر كتـاب : **Doctrina christiana en lengua araviga y Castellana.** لاول مرة ببلنسية سنة 1566 من طرف جون ماي (Jean Mey) وقد أعيد طبعه من طـرف روك شابـاس (Roque Chabbas) سنـة 1911 مع مقدمة من طـرف جوليـان ريبـارا (Julian Ribera)

ونجاتهم » : وتماشيا مع هذه الرغبة فقد قام بترجمة العقيدة المسيحية فى اللهجة العربية العامية المستعملة فى المملكة : « وحتى لا يحرم البعض منكم ممن لا يفهم اللغة الاسبانية ، تعليم العقيدة والدين المسيحيين » (110) .

وقد قدم بالاضافة الى ذلك ، بعض النصائح للموريسكيين : وجب عليهم تعليم الدين المسيحي « بهمة وبخشوع » واظهار ايمانهم بالله : « تواضعوا أمامه وثقوا فى كلمته ، لانه لا يكذب ما أوحى له به ، واعترفوا ان سلطة الله لا متناهية ولا يمكن ادراكها وأن ذكاءنا محدود وقصير ، ولا تعجبوا اذن اذا لم تقدروا على ان تفهموا جيدا أسرار الله » (111) .

ان المطالبة بمثل هذا الموقف لا يساعد البتة على اقامة الحوار ، بل يهدف ولا شك الى إلقاء كل مجادلة . وقد حدد الاسقف جيدا أن الشك لا يمكن ان يأتى الا من الشيطان . ومع هذا اذا كان الماكر (العدو) ، ذا طبع ملح ، فانه يمكن ان نفاتح القس أو معلمى الدين المسيحي . ولممارساتهم ، سوف يرسل لاسقف كتابا دينيا مستوفى وكاملا ، وبالاضافة الى ذلك ، فان المعلمين الجدد الذين سيوجهون الى الموريسكيين ، سوف يتعلمون اللغة العربية : « حتى يعالج كل أمر وتتناولوا تعليما كاملا » (112) .

ومن خلال توصيات مارتين دوايالا يمكننا أن نتنبأ ماذا سيكون موقف الموريسكيين خلال حصص التعليم الدينى ، والذى سيكون غير طيع . وقد تأكد لنا ذلك من خلال احد القساوسة الذين أسروا بتونس سنة 1630 عندما رد على الاتهامات التي قرأها في احدى مخطوطات هذه المجادلة حيث أكد أن القساوسة المكلفين بتلقين الموريسكيين التعليم الدينى خلال وجودهم فى اسبانيا ، كانوا يرغبون بشدة المجادلة : « ان حجة ذلك تجدها عند موريسكيي اسبانيا واسألهم ما اذا كانوا لا يرغبون ، دون انقطاع ، في المناقشة مع القساوسة ، وسوف يقولون لك كل الحقيقة حول هذه المسألة » (113) .

ويبدو ان هذه المناقشات لا تذهب بعيدا وتنتهي بشرح حجة الاثبات الدامغة : وقد ذكر ازنار كاردونا ان احد الموريسكيين قد القى عليه سؤال بعد احدى الخطب : « كان ذلك أثناء احدى الخطب التي أبشر فيها ، وألقى علي سؤال ، هو ولا شك بخلفية ونية سيئة ، والسؤال لماذا سيدنا المسيح يأمرنا في قانونه أن نقوم باعترافاتنا لرجل آخر يشبهنا ؟ » . ان الجواب عن هذا السؤال، الذى ثبتت ، بادىء الامر ، خدعته ، سيكون مختصرا : « وجب على الانسان الذى هو خليفة الله أن لا يكون مغترا ومتطفلا وباحثا دوما عن اسباب أوامر واحكام المطلق وعدم ادراك القدرة الالاهية » . ويكفي أن نتذكر ان الكنيسة تعتبر الضامن للحقيقة وانها على ضوء ذلك : « ستتقدم لنا ،

---

(110) المصدر نفسه ، f° 2 et r° et V°
(111) المصدر نفسه ، f° 2 V° et 3 r°
(112) المصدر نفسه ، f° 3 V°
(113) المكتبة الوطنية بباريس ، مخطوط رقم : esp. n° 49, f° 159 r°

بكامل الضمانات وبعيدا عن أي شك ، ووفقا لتمثيلها مبدأ الاهيا ، لاعتراف القدسي » (114) .

ومما لا شك فيه ان الثلث الاخير من القرن السادس عشر ، سوف يرى ازدهار عدد كبير من المبادرات الرامية الى تقديم تعليم أفضل للموريسكيين : أما الاشخاص الذين كلفوا بذلك ، فقد استمروا والحالة هذه يشتكون من ضعف الامكانيات التي وضعت تحت تصرفهم (115) . ولهذا السبب تم في بلنسية سنة 1587 : « اجتماع خصص لتعليم المعتنقين الجدد » وحضره كل اساقفة المطرانية وممثلو مختلف مجالس الكهنة . وقد تقرر منح 5000 دوكا كل سنة لتغطية تكاليف التبشير والوعظ (116) . ونتيجة لذلك ، أنشئت في بلنسية « حلقة دراسية عن الموريسكيين » . غير أن كل هذا باء ، هو الآخر بالفشل ، وهذا كما كتبه فراي جيم بلادا (Fray Jaime Bleda) ، من جماعة الوعاظ وأحد مستشاري دواوين التحقيق : « ان حلقات دراسة الموريسكيين ببلنسية كانت بدون فائدة ، وقد صرفنا كثيرا من الاموال في اطعام أطفال الموريسكيين ، وهذا حتى بعد الطرد النهائي العام » (117) وبعد الطرد ، طلبت دواوين التحقيق ان تستفيد ، ضمن اشياء أخرى ، « من الايراد المخصص للموريسكيين ، والذى بلغ 6000 دوكا سنويا ، وهذا كتعويض للخسائر التى لحقتها من جراء الطرد (118) .

وكلما مرت السنون ، الح الاساقفة أكثر على وجوب اعطاء تعليم جيد للموريسكيين . وفي سنة 1593 ، كان المفتش دون بدرو باشيكو (Don Pedro Pachevo) من سرقسطة ، والذى أوصى بالحاح أساقفة اراقون أن لا يهملوا هذا الامر : « سيكون من العدل ان ياخذ أساقفة اراقون ، على عاتقهم هذا الامر ولتأمر رعايتكم بإلحاح ان يكلفوا بتعليم من أطلق عليهم بالمعتنقين الجدد ، بعد أن توفروا لهم ما سيكون ضروريا لهذا الغرض ، وأخيرا فهم يعدون من رعيتهم » (119) .

أما جوان دو ريبارا (Juan de Ribera) ، أسقف بلنسية ، فقد صرف من أجل تعليم الموريسكيين كثيرا (120) وكان يقوم شخصيا بزيارة

---

(114) Aznar Cardona, **op.cit.**, I, f° 50 V° 51 r°.
الواقع ان المجاز أزنار كاردونا ــ حدثنا هنا من فراى جرونيمو ازنار (Fray Geronimo Aznar) خاله الذى كان احد المصلين فى دير سان أوغستان دو هواسكا (Huesca) ، والمجاز كما يذكر هو نفسه فى المقدمة ليس سوى « مؤلف وسط » اكتفى بوضع أفكار خاله فى شكلها النهائى .

(115) انظر بهذا الخصوص الرسالة الحزينة التى حررها الحكيم جوان دياقو منسيون (Juan Diego Mancibon) والموجودة فى : **A. H. N.**, leg. 1791, II,

(116) **المصدر نفسه .**

(117) Fray Jaime Bleda, **Cronica de los Moros de Espana**, Valencia, Felipe Mey, 1618, p. 841.

(118) **A. H. N.**, Inq., leg. 1791, II.

(119) **A. H. N.**, Inq., leg. 1791, II.
رسالة بتاريخ 1 أوت 1593 .

(120) Baronat y Barrachina, **El beato ... op.cit.**, p. 114.
Les Moriscos... **op. cit.**, t. I, chap. XII, t. I, pp. 656-671.

القرى التي يسكنها الموريسكيون داعيا ومبشرا فيهم . وقد حدد بفضل أوامر المجمع الكنيسي ، طرق وأنماط التبشير ، وعلى ضوء ذلك أرسل قسسا ومبشرين مشهورين من اليسوعيين والاخوة الدعاة . وفي سنة 1599 نشر بمطبعة بدرو باتريسيو ماى (Pedro Patricio Mey) البلنسية :

تعليم الدين المسيحي للمعتنقين الجدد من العرب : (121) .

(Catecismo para instruccion de los nuevamente convertidos de Moros)

وهذا الكتاب الديني هو في الواقع طبعة جديدة منقحة ومزيدة من طرف ريبارا لخلفه ايالا (Ayala)

وعلى أية حال وخلال السنين التى تلت الطرد ، ارتفعت الاصوات بتحميل فشل سياسة الاندماج الى ضآلة الامكانيات التي سخرت لمهمة تعليم الموريسكيين أو لاهمال الاساقفة ! وقد صرح عميد الكهنة الموريسكيين في طرطوشة (Tortosa) بأن كل ذلك قد حدث « نتيجة خطأ الاساقفة الذين لم يولوا الاهمية اللازمة لتعليمهم ، وهذا ما كان واجبا عليهم القيام به » (122) .

وعلى العكس من ذلك وغداة الطرد ، كان البطريك ريبارا نفسه قد اثنى على كل المجهودات التى قام بها فيليب الثالث من أجل تعليم الموريسكيين الدين واعتناقهم الدين المسيحي : « ان الموريسكيين عندما تم تعميدهم ، استمروا دائما يعيشون وفقا لدين محمد الذى علموه لابنائهم وقد بقوا يمارسون تعاليم القرآن علانية مظهرين احتقارهم لطقوس الدين المسيحي وساخرين بالقربان المقدس وبالتماثيل وبالاشياء المقدسة الاخرى . وقد اتخذ جلالته كل الاجراءات لاصلاح هذه الاوضاع برفق وبكل رعاية الى درجة أن المرء يخيل له ان جلالته ليس له الا هذا الموضوع لمعالجته ، وقد اجتهدت للحصول على أوامر العفو من قداسة البابا . وقد حرر لاساقفة المملكة حول هذا الموضوع مبديا لهم مدى اهتمامه العميق والشخصى لاعتناق الموريسكيين الدين المسيحي ، اعتناقا صادقا ، وقد انشأ مدارس للاطفال الصغار ذكورا واناثا ولتتويج ذلك دعا الى اجتماع بالاساقفة فى مدينتنا لدراسة افضل السبل لتعليم الموريسكيين ، مما تم انجازه قبل الآن » (123) .

وهناك وسيلة أخرى تؤدي الى هذا الاندماج وتقضى بتطوير الزواج المختلط . ويبدو أن عدم الرغبة ، في هذه الحالة ، وعلى الاقل في منطقة بلد الوليد (Valladolid) فى نفس الفترة التى تهمنا (1545) ، متأتية من « مسيحيي الامة » . ولتشجيع هؤلاء على القبول بطواعية مثل هذا الزواج ،

---

(121) المصدر نفسه ، ج2 ، ص14 . لم نتمكن من الاطلاع على كتاب تعليم الدين المسيحى هذا ، ذلك ان النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم R 8647 قد سحبت من التداول بحجة سوء حالتها .

(122) Bauer y Landauer, **op. cit.**, p. 105.

(123) P. Damian de Fonseca, **Relacion de lo que paso en la expulsion de los Moriscos del Reyno de Valencia**, ed. de la Sociedad Valenciana de Bibliofilos, Valencia, 1878, pp. 68 - 69.

فقد منحوا امتيازات خاصة : فالمهر الذى تجلبه الفتاة الآنسة يبقى غير قابل للحجز وكذلك املاك الموريسكي التى يجلبها لدى زواجه من مسيحية : يسعى الموريسكيون الى تزويج أبنائهم وبناتهم مع المسيحيين الاصلاء وهذا وفقا للوائح التي حرروها وطالبوا فيها بذلك ، وحتى يقبل بطواعية هؤلاء المسيحيون ذلك ، فقد منحوهم ان المهر الذى يقدمه الموريسكيون لابنائهم او لآبائهم ، لا يمكن بحال من الاحوال أن يقع الاستيلاء عليه مهما كان الاثم الذى اوخذوا عليه .. » (124) .

وعليه فان فراى النسو شاكون (Fray Alonso Chacon) قد كتب رسالة الى الملك سنة 1598 ، يعرض عليه فيها انه اذا قبل مثل هذا الزواج ، فان مشكل الموريسكي سوف يحل بصورة نهائية، ذلك ان الزوجة الكاثوليكية، كما كان يفكر، سوف تنتهي باقناع شريكها الموريسكي، ان الاطفال المولودين من هذا الزواج لا يمكنهم ان يكونوا الا مسيحيين : « غير أنه من الآن فصاعدا ، سوف يرضعون حليب الخطيئة من ثدى أمهم وسوف يقتدون بمثال أبيهم ، فانه من الصعب جدا أن يتمكن من وضعهم فى الطريق المستقيم » (125) .

وهناك اجراءات أخرى ترمي الى منع تجمعهم ضد المسيحيين : ففى كثير من الحالات ، تظهر الاوامر التى تجبرهم على اختلاطهم بالمسيحيين . من ذلك انه أثناء فترة الامتياز البابوى ، قرر نقل الموريسكيين الذين اعترفوا بارتكابهم الاخطاء وجعلهم يعيشون قرب « المسيحيين الاصليين » : « ان الموريسكيين الذين يقومون بهذا النوع من الاعترافات يجب أن لا يعيشوا مع بعضهم البعض ، بل متفرقين وفى الاحياء التى يسكنها المسيحيون الاصلاء بحيث يجب أن يتخلل بين منزلين موريسكيين ، منزل مسيحي على الاقل ، يسكنه مسيحيون من أصل عربى » (126) . وقد أعطيت لهم مهلة خمسة عشر يوما ، غير أن مراقب دواوين محاكم التفتيش الذى كلف بالتحول الى عين المكان ومراقبة ما اذا طبقت الاوامر، لاحظ، ان تلك الاوامر، في أغلب الحالات، لا يمكن انجازها : « وهذا على الرغم من ان الاوامر كانت عادلة جدا » . وبالفعل فاكثرهم كان من الفقراء « ويعيشون فى الحي الاكثر فقرا من المدينة » ! ومقابل البيت الذى يهجرونه ، فان أحدا لا يرغب في التخلي عن بيته والعيش بينهم (المسيحيين) .

ويبدو أن الموريسكيين قد أجبروا على الاقامة في الاحياء القديمة الخاصة بالعرب وهذا كما جرى في منطقة اراقون (127) . وفي طرطوشة أيضا وأثناء

---

(124) A. H. N., Inq., leg. 4603 I.

(125) A. H. N., Inq., leg. 1791, II.

(126) A. H. N., Inq., leg. 4603 I.

(127) فى كالاتايود (Calatayud) وسر قسطه مثلا كانوا يعيشون فى احياء بعيدة راجع بخصوص هذا :

Francisco Fernandez y Gonzalez, **Estado social y politico** de los Mudejares de Castilla, considerados en si mismos y respecto de la civilizacion espagnola, Madrid, Joaquin Munoz, 1866. p. 436.

وقد ذكر بخصوص موريسكيي اراقون : Aznar Cardona, **op.cit.**, f° 62 r° et V°.

« توجد قرى للمسيحيين ذوى النسب العريق وقد كان الموريسكيون يعيشون فى حى خاص بهم وحيث كانت بيوتهم متلاصقة بعضها البعض » .

عمليــة الطــرد ، كـــان الموريسكيــون يقيمــون دومـــا : « في أحيـــاء المدينــة الجديــدة ، بعيديــن وقلقيــن علــى أنفسهــم وبعيديــن عــن المسيحييـــن ، العريقيــن » (128) . وهم بهذا يشكلــون وحدهم رعيـــة ملتفة حول كنيســة سان جيم دو لا بوينت (San Jayme de la Puente) . واثناء صدور قرار الطرد ، وعدوا في الحال للحصول بسهولة على شهادات بكونهم : « مسيحيين عريقين » ليعيشوا وسط المسيحيين وقبولهم مبدا الزواج المختلط ، وقد تحصلوا على هذا النوع من شهادات « الترضية » ولكنهم بقوا يعيشون كما هو الحال في السابق (129) ففي سيقورب (Segorb) كما هو الحال فى قالاطايـــود (Calatayud) أو في سرقسطـــة (Soragosse) لا يسكـــن « الضاحية » الا الموريسكيون : « ان كل ساكني ضاحيـة سيقورب هم من العرب الذين أخفوا ذلك عنا ، وعلنيـــا يخفون ذلك بالقدر الذى يستطيعونه » . وفى مثل هذه الحالات ، فانه من السهل عليهم ممارسة الاسلام (130) .

ففي احدى المخطوطات التي عثــر عليهـــا في المونـــاصيد دو لاسيـــرا (Almonacid de la Sierra) باراقون ، نقرأ هذا التهديد بجهنم للموريسكيين الذين يعاشـــرون كثيرا المسيحيين : « ان المسلـــم الذى يعاشر المسيحـــي خلال أربعين يوما ، ومات اثناء تلك المدة ، فهو كافر ومآله جهنم » (131) .

وازاء مقاومة الموريسكيين لسياسة الاندماج ولاخفـــاء خيباته الجلية فان « قوانين العفو » ستنتشر دوريا من طرف البابا والملك والاسقف المحلى أو من طرف دواوين محاكم التفتيش . الا ان الموريسكيين سوف لن يخدعوا بذلك ، وفســـروا محاولـــة جلبهـــم واحتضانهـــم مـــن طـــرف الكنيســـة والمجتمـــع الاسبانى ، كاعتراف بعدم نجاح المسيحيين بتحويل الموريسكيين عن دينهم واعتناقهم الدين المسيحي. وقد اقترح عليهم بفضل تلك القوانين، طلب العفو من البدع التى مارسوهـــا ، وهذا بشرط واحد يتمثل في الاعتـــراف بأخطائهم . وفى أكثر الحالات فان الموريسكيين لا يقومون بهذه الاعترافـــات ما عدا حالـــة الشـــك فيهم : وهذه بالنسبـــة اليهم طريقـــة لتجنب غضـــب محاكم دواويـــن التفتيـــش ولو بصورة مؤقتـــة .

وأول قوانيـــن العفـــو هذه ، كان ولا شك الذى منحـــه فارننـــدو اراقـــون (Fernando Aragon) بتاريخ 26 فيفرى 1500 الى الموريسكيين « الذين اعتنقوا حديثا المسيحية ، بالمرية التابعة لتلك المدينة الكبيرة والمشهورة غرناطـــة » وقد اقترح العفو العام لكل الاخطاء التى اقترفها الموريسكيون حتى ميعاد طردهم . وقد كتب الملك : « انى اكرر واعفو عن كل اخطائكم وتجاوزاتكم

---

(128) Bauer y Landauer, **Relacions... op.cit.**, pp. 104 - 105.

(129) المصـــدر نفسـه ، ص 106 .

(130) مذكـــور فـــى : Pedro Longas, **Vida Religiosa de los Moriscos**, Madrid, Imprenta Iberica, 1915, p. 64.

(131) : Ms. III. Institut Miguel Asin, Madrid, f° 134 V°.
راجع ايضا فهرس مخطوطات : Junta de Ribeca y Asin, p. 11.

التى ارتكبتموها حتى اليوم الذى اعتنقتم فيه ديانتنا المقدسة وأنه وفقا لكل الحقوق التى أملكها على أشخاصكم وأملاككم نتيجة هذه الاخطاء والتجاوزات فانى أعطيكم حريتكم وأغفر عن زلاتكم جميعها : انى أعطى أوامرى اذن الى كل أعضاء مجمعى ومراقبى المجالس والديوان الاستشارى وكذلك الى رئيس حرسى وكل الاشخاص المكلفين بتطبيق العدالة والموجودين أو الذين سيوجدون في هذه المدينة الكبيرة والمشهورة : غرناطة ، انه بعد الاخطاء والتجاوزات المذكورة التى اقترفت حتى ساعة اعتناقكم عقيدتنا الكاثوليكية ، فانه سوف لن يباشر ضدكم ولا ضد أملاككم أى شىء ، وانه على العكس من ذلك سوف يمارسون ويطبقون أمر العفو والمغفرة الذى منحته اياكم وفقا لفقرات الرسالة المرفقة طى هذا » (132) .

كذلك ، في سنة 1543 تصالح سرا موريسكيو المادو Olmedo واريفالو (Arévalo) : ونتيجة لذلك سوف لن يحاكموا ولن تصادر املاكهم (133) .

وبتاريخ 11 جانفى 1545 ، صدر أمر بالعفو من طرف الملك وصاحب الرفعة الكاردينال دون جوان تافيرا (Don Juan Tavera) ، أسقف طليطلة . وقد أعطى للموريسكيين مهلة خمسين يوما « حدا للعفو » وللقيام باعترافاتهم للاخطاء والبدع التى ارتكبوها . وان الذين سوف يعترفون بأخطائهم يجب عليهم التكفير عن ذنوبهم : « بطريقة غير مشينة ولا مدينة بارتدائهم لباس الفضيحة » . أما محاكم تفتيش بلد الوليد فقد تحصلت على أمر باجبار الموريسكيين على دفع ضريبة مالية : وهذا تماشيا للحاجة الماسة التى تعيشها محاكم تفتيش بلد الوليد » . وقد وجب الظن ان الحاجة كانت كبيرة جدا ، ذلك أن العقوبات المسلطة ، حسب رأى الموريسكيين ، كانت مرتفعة جدا . ان الملف رقم 1 4603 بالارشيف التاريخى الوطنى بمدريد يحتوى ، بالفعل ، على : « لوائح الموريسكيين الذين اعتنقوا حديثا المسيحية بمنطقة اريفالو ومدينا دلكمبر (Medina Del Campo) وافيلا (Avila) وقد طالبوا فيها بتخفيف العقوبات المالية المسلطة عليهم لحظة اعتناقهم الدين المسيحى » . كما ان الموريسكيين ، كتبوا شخصيا أيضا يطلبون التخفيف من العقوبات من 5000 الى 4000 مارافيدس (Maravedis) ومن 2000 الى 1000 .

أما فى شهر جويلية 1545 ، فقد صدر أمر بالعفو لفائدة الموريسكيين الذين التجأوا الى فاس أو أى مكان آخر من المغرب الاقصى ، وهذا قصد حثهم

---

(132) ارشيف سيمانكس : Patronato Real, Inq., leg. unico, f° 126 :
وقد أعاد لى نشره فى كتابه : The Moriscos of Spain.
الطبعة الثانية ، 1968 ، الوثيقة رقم 2 ، ص406 — 407 .

(133) لقد ذكرنا امر هذا العفو وكذلك الاوامر الصادرة عن آمر محاكم دواوين التفتيش فرننـدو فالـداس (Fernando Valdés) وهذا انطلاقا من تأليف لورانت Lorente, **Historica Critica de la Inquisicion en Espana,** t. II, pp. 284 - 285.

على الرجوع الى اسبانيا . وفي شهر أوت 1546 نشر بول الثالث رسالة بابوية يعفو فيها عن الموريسكيين حتى ولو كانوا مرتدين أكثر من مرة .

كما وجد أيضا أمر بالعفو لموريسكيي أراقون بتاريخ 13 ماى 1555 من طرف فارنندو دو فالدس (Fernando de Valdès) ، أسقف اشبيلية ، والمفتش العام : وقد منحهم ستة أشهر للاعلان عن أخطائهم وأخطاء غيرهم . وقد سلطت عليهم فقط عقوبات روحانية (134) .

وأثناء حكم فيليب الثانى عندما كان فارنندو دو فالدس المفتش العام ، قرر البابا بول الرابع أولا بتاريخ 23 جوان 1556 ثم في الرابع بعد ذلك بتاريخ 6 نوفمبر 1561 ، عن طريق نشريتين أن القائمين على الاعترافات باستطاعتهم أن يعفوا على الموريسكيين دون الرجوع الى محاكم دواوين التفتيش، اذا كان هؤلاء قد اتهموا بصورة تلقائية بالبدع حتى ولو كانوا مرتدين كثيرا . وهذه الاوامر سوف تبقى صالحة للمدة الزمنية التي يبقى دون فارنندو فالدس المفتش العام (135) .

خلال هذه الفترة الزمنية منح الملك فيليب الثانى بتاريخ 10 أفريل 1558 بفضل « وثيقة حقيقية » عفوا واسعا لموريسكيي سيقوفا (Ségovie) وافيلا وبالنمسيا وبلد الوليد ومادينا دلكامبو واريفالو وبيدرا هيتا (Piedra hita) شريطة أن يقوموا بالاعتراف بأخطائهم فى وقت محدد .

وفى سنة 1566 منح اسقف اشبيلية « الامر بالعفو للموريسكيين من أجل انقاذ أرواحهم » . وقد قام البعض منهم بذلك ، « اننا لا يمكننا أن نثق بهم : فانهم لا يأتون للقيام بذلك برغبة وتوبة صادقة ولا بحماس تجاه الديانة المسيحية » . وقد حرر المفتشون الى المحكمة العليا ان الموريسكيين يخشون مختلف المضار التى يمكن ان تلحق بهم » كما لاحظوا أيضا ان عددا كبيرا منهم كان قد هرب الى فاس وان عددا آخر منهم سوف يرجعون اذا منحهم الملك العفو الشامل : « باصدار عفو عام لهؤلاء المرتدين » (136) .

وفي سنة 1567 ظهر منشور آخر لفائدة سكان بلنسية هذه المرة : وقد تحصلوا أيضا على أمرى عفو ، أمضى أحدهما من طرف الملك بتاريخ 6 أكتوبر 1571 والثانى من طرف المفتش العام بتاريخ 12 اكتوبر من نفس السنة . وبتاريخ 22 نوفمبر قام « المسيحيون الجدد من العرب الممثلين عن المجموعات الموريسكية بمملكة بلنسية » بتقديمهم الى المفتشين : وقد عرضت نسخة من طرف سكريتيرية دواوين محاكم التفتيش ، واحتفظ الموريسكيون بالاصل على ورق البردى ، ممضاة من طرف الملك والمفتش العام (137) .

---

(134) A. H. N., Inq., leg. 1791 II.

(135) Baronat y Barrachina, **Los Moriscos ... op.cit.,** t. I, p. 122.

(136) A. H. N., Inq., leg. 1791 II.

(137) A. H. N., Inq., leg. 4671 I.

كما وجد أيضا ، اثر حرب البشرات ، أمر لفائدة الغرناطيين : وقد سمح المفتش العام الى القائمين على الاعترافات بمنح عفو قدسى خلال كامل سنة 1571 : وقد طبق هذا الامر ابتداء من 30 جانفى من نفس السنة (138) .

وفي سنة 1593 ، منح أمر آخر بالعفو بأراقون وبلنسية ، غير أنه حسب رأى المفتشين اعتبر ذلك خيبة (139) وحيث لم يأت للاعتراف بأخطائهم الا الذين وصل الى علمهم انه وشى بهم وكانوا يخشون ان يتم سجنهم من طرف محاكم دواوين التفتيش : ونفس هذا الامر بسرقسطة وترويال (Teruel) والبرازين (Albarracin) : « وأماكن أخرى من المنطقة وعلى الرغم من قدومهم من مملكة أراقون ، فانهم يرجعون بالنظر الى دائرة محاكم دواوين مفتشي بلنسية وحيث كان المجاز فيليب دو أسيس (Philippe de Asis) مفتش مملكة بلنسية قد قدم لنا نفس المعلومات والارشادات » وقد نصح المفتشون اذن ، بعدم منح أوامر العفو : وان أمر الملك لم يكن أكثر حظا من امر البابا كليمون الثامن (Clémont VIII) وحيث نص على الصفح عن كل الذنوب . والحقيقة كما نص عليها المسؤولون لفيليب الثامن من أن الموريسكيين ليس لهم أى رغبة أن يصبحوا مسيحيين : وكل ما يتمنونه ، هو النجاة من محاكم دواوين التفتيش (140) .

واثناء ذلك ، منح البابا كليمون الثامن ، نتيجة تدخل فيليب الثانى ، أمرا جديدا يخول لاسقف بلنسية ولاساقفة طرطوشة وسيقورب واوريهوالا (Orihuela) ، تسهيلات كبيرة جدا للسعى فى العفو عن الموريسكيين في اسقفياتهم (من كل البدع والاخطاء والردة من العقيدة المسيحية ، وهذا على الرغم من سقوطهم عديد المرات في الخطأ . وتراجعهم خلال محاكمة سابقة أو ارتكابهم ذنوبا أخرى أو تجاوزات أو جرائم شبيهة أو اقترفت مع المتواطئين منهم » . وقد أعلن عن هذا الامر بروما بتاريخ 28 فيفرى 1597 (141) .

وبعد ذلك بقليل توفى الملك ، وبالتالى فان فيليب الثالث هو الذى سيتخذ الاجراءات العملية لتطبيق هذا الامر : وبتاريخ 22 جوان 1597 نشر دون بيدرو بورتوكاراريرو (Portocarrero) المفتش العام وأسقف كوانكا ، الامر الملكى ، بعد أن ضم اليه عفوه الشخصى : « انه يمنح العفو العام لكل الموريسكيين ، الذين وجب عليهم ان يعتنقوا ، من تلقاء أنفسهم ، الدين المسيحى خلال مدة سنة ، وأن يرتدوا عن أخطاء دين محمد وان يطلبوا العفو بخشوع » (142) .

---

(138) وهذا حسب : Llorente, op.cit., t. II, p. 285.

(139) A. H. N., Inq., leg. 1791 II.

(140) كانت مدة البابوية كليمون الثالث من 1592 الى 1605 .

(141) Baronat y Barrachina, Los Moriscos ... op.cit., t. I, p. 381.
وقد أفاد لى نشر النص اللاتينى لامر كليمون الثالث من المخطوط المحفوظ بسيمانكس ، الوثيقة الملحقة رقم 9 ، ص421 — 424 . Lea, The Moriscos ... op.cit.,

(142) Fonsica, op.cit., p. 48.

وقد تم نشر أمر العفو ، باحتفال ، فى مختلف الولايات ، غير أنه سوف يتبين في الحال الامر التالي : ان الموريسكيين ، هذه المرة ، سوف لن يسارعوا لقبول العفو » وهذا على الرغم انه كان يخيل منذ البداية، الاستفادة من ذلك ، وبعض الافراد الذين كانوا يخشون محاكم دواوين التفتيش ، امتثلوا طالبين الصفح عن اخطائهم ، الا اننا سرعان ما نلاحظ أن اعتناقهم الدين المسيحي لم يكن حقيقيا . وبالفعل فانهم لا يسعون الا لانتقاء اتهامات البدع المكنة في صورة انتهاء مهلة الامر بالعفو » (143) .

ان كل المجهودات التي صرفت لجذبهم بفضل أوامر العفو المتكررة ، بقيت اذن بدون نتيجة . وقد عم السأم شيئا فشيئا المسؤولين عن تعليم الموريسكيين . وازاء هذه الوضعية العامة عبر راهب بندكتى فى مونسارات (Monserrat) من ديره فى رسالة كان قد وجهها الى الدوك دو لارم (Duc de Lerme) بتاريخ 15 سبتمبر 1602 ، يرجوه فيها ان يفض بسرعة وبصورة نهائية مشكل الموريسكيين « والذين على الرغم من العفو الذى منح لهم والتصالح الذى تم لهم معنا ، فهم يضمرون نحونا حقدا قاتلا ابديا أظهروه فى عديد المناسبات التى أعطيت لهم » (144) .

الا أن ارادة الاندماج لها حدودها : ان الموريسكيين سوف يعتبرون دوما كشعب متميز ولا يتمتعون بصفاء دم المسيحيين العريقين .

وقد وجد هذا الحكم المسبق على كل المستويات ، ان اختلاف التقييم حول صفات البعض تبرز فى كثير من الاحيان ، خلال المجادلات التى سجلت اثناء قضايا دواوين التحقيق من ذلك فان الموريسكية ايزابال دو القازار (Isabel de Alcazar) قد تلقت يوما شكايات احدى المسيحيات العريقات والمتزوجة من موريسكي ، وقد خاطبتها قائلة : « ان المسيحيين العريقين لا يحبون بنتي ولا انا وهذا بسبب ان ابنتي انجبتها من مسيحي حديث عهد بالمسيحية » . وقد ارتكبت ايزابال دو القازار خطأ بتشجيعها بهذه الكلمات : « ان أفضل ما تملكينه هو ابنتك » . اما محاكم دواوين التفتيش التي وصل الى علمها تلك الاقوال فقد استاءت منها وسوف يؤثر ذلك في عملية الاتهام ، وقد نصبت نفسها لسان دفاع المسيحيين العريقين . اما ايزابال فقد تراجعت شفاهيا وصرحت كعلامة على ارتدادها : « انها

---

(143) **المصدر نفسه** ، ص 48 — 49 . راجع أيضا :
Iacobo Bleda, **Defensio fidei in Causa Neophytorum,, Sive Morischorum** Regni Valentiae, totiusque Hispaniae Valentiae, apud Ioannem Chrysostorum **Garriz,** anno 1610, p. 3.
وقد ذكر ايضا فى : Baronat y Barrachina, **op.cit.,** t. II, p. 12.
وقد تأكد لدينا ذلك بفضل تقرير كان قد وجهته محكمة بلنسية الى الملك بخصوص نتيجة امر هذا العفو وقد جاء فيه : « منذ سنة ونصف لاعلان أمر العفو والدعاية له ، فان ثلاثة عشر شخصا فقط قد استفادوا من ذلك ، وقاموا باعترافات مصطنعة وصورية ورفضوا الابلاغ عن شركائهم ، وهذا ما يستحقون الحكم عليهم بدل العفو عنهم ». راجع: A. H. N., Inq. de Valence, leg. 5. وقد أعاد لى نشر هذا النص ، لى ، **نفس المصدر** ، الوثيقة ملحق رقم 10 ، ص. 424 — 426 .

(144) **Baronat y Barrachina, Los Moriscos ... op.cit.,** t. II, p. 25.

كلمـات خطـرت تلقـائيـا علـى لسانهـا ، لانهـا شخصيـا حديثـة عهـد بالمسيحية ومن نسـل عربـى ، وهذا على الرغم من اعتبارها أن "المسيحيين العريقين أفضل وانهم يتمتعون بحريات أحسن » (145) .

ومن جهة أخرى كان فراى ألنسو شاكون (Fray Alonso Chacon) الذى عرض فى رسالة وجهها الى الملك سياسته تجاه الزواج المختلط وقد صرح بانه يدرك جيدا مصاعب المشروع : وانه يجب التغلب على نفـور المسيحيين لاجتياز « خط الشرف » . وقد كان ذلك الامر صعبا ولكن فراى ألونسو شاكون لا ييأس للوصول الى نتيجة : « على الرغم من أن زواج المسيحيين العريقين بالموريسكيات يبدو صعبا تحقيقه ، فانه بفضل المجازفة بشرفه ، على هلاك كثير من الاشخاص » (146) . وقد كذبتـه الاحـداث ، وأظـهرت له ان الامر لا يتعلق الا « بمشروع » ضمن مشاريع أخرى كثيرة ، وطيبة هاته السياسة بينت بجلاء كيف ان الاحكام المسبقة ما زالت متجذرة وعميقة .

اما المجتمع فما زال من جهته ، يحـافظ علـى تلـك الاحكـام ، بواسطة اجـراءات متعـددة : فالموريسكيون لا يستطيعـون أن يتحصلـوا علـى بعض الوظائف التي تعتبر فخرية ، ولا ممارسة المسؤوليـات العموميـة والتي تقر قبل كل شيء « بشهادة صفـاء الدم » (147) . كما وجب أن نلاحظ أيضا أن هؤلاء الذين ينادون بسياسة الاندماج هم الذين يطالبون باتخاذ اجراءات لتمييز الموريسكيين عن غيرهم تمييزا واضحـا . ونفس فراى ألنسو شاكون هـذا ، هو الذى اقترح أن يفرض عليهم : « بعض العلامات على العمامة والقبة وعلى طريقة حلاقة النسـاء شأنهم في ذلك شأن اليهود في رومة » (148) .

ومع هذا ، لا بد ان نشرح أنه بالنظر الى الادارة الرسمية المسؤولة عن تنفيذ سياسة الاندماج ، فان محاكم دواوين التفتيش تعترف من جهتها بحق الموريسكيين وبالسماح لهم أن يشغلوا مسؤوليات في نفس ادارتها. وقد كتب لي (Lea) أنه فى سنة 1547 ان المحكمة العليا رفضت احدى الشكايات ضد قبـول الموريسكيين فى مثل هذه الوظـائف وصرحت بأن كل المسيحيين الاوفياء لتعميدهم يستطيعون أن يقوموا بذلك » (149) .

---

(145) A. H. N., Inq., leg. 191, nº 5.

(146) A. H. N., Inq., leg. 1791 II.

(147) نجد معلومات مهمة حول قوانين صفاء الدم فى كتاب :
A. Sicroff, **Les controverses des statuts de «pureté de sang» en Espagne du XVe au XVIIe**, Paris, Didier, 1960.
وحيث مولج هذا الموضوع على ضوء العلاقات اليهودية المسيحية . كما نستفيد أيضا من هذا المقال الاخير :
I. S. Revah, « La controverse sur les statuts de pureté de song. Un document inédit : Relacion y Consulta del Cardenal Guevara Sobre el Negocio de Fray Augustin Saluzio (Madrid, 13 août 1600) » in, **Bulletin Hispanique**, LXXIII, 1971, nº 3-4, pp. 263-306.

(148) A. H. N., Inq., leg. 1791 III. يبين هذا النص انـه لا توجـد ظاهريـا ، اى فروق فيزيائية بين الموريسكيين والمسيحيين .

(149) Henri Charles Lea, **A history of the Inquisition of Spain**, 2e edition, New York, American Scholar Publications, 1966, t. II, pp. 294-295.

وفى نصوص ادبية كثيرة ، يمكن ان نعثر على اشارات « لقانون صفاء الدم » والتى تحرم الموريسكيين من الوظائف الفخرية . وعليه ففى ماركوس دو اوبروقون (Marcos de Obregon) عندما كان بطل هذه القصة المشرد وقع سجينا بأيدى الاتراك في جزيرة كابريرا (Cabrera) فان رئيس البحـارة كان موريسكيا مرتدا من بلنسيـة : وقد شرح هذا الاخير لماذا ترك اسبانيا لاسباب غير دينية ، لانه كما قال : « لم يقدر على احتمال الاهانات التى يتلقاها يوميا من طرف اشخاص أقل منه بكثير » . وقد اشتكى انه لم يقلد ولم يصل الى شرف وظيفة القاضـى وان هذه الوظـائف « تقلـد للاشخاص الذين يتمتعون بأكثر شـرف » (150) . وبسبب هذه القوانين فان الاستحقاق الشخصى لم يعد ذا قيمة بل ان الانتصار هو حليف امتيازات طبقة معينة . وقد انتقد أيضا المسيحيين القدماء : « كيف أنهم استطاعوا أن يصلوا الى الوظائف التى تتطلب اهلية كبيرة ، وقد نجحوا فى مخالفة تلك القوانين بسـوء قصـد وليس ذلك لجعلها أكثر التزامـا ، لا ولا أيضا لخدمـة للـه أو الكنيسة ، ولكن لاستعمال صفة « العراقة » التى يدعونها » (151) .

ولتأييد هذا اللوم ، يمكن أن نتحدث عن « مذكرة » كانت قد وجهت من طرف قوماز دفيلا (Gomez Davila) الطليطلى ، الى الملك فيليب الثالث في أول حكمه ، وفيها ينبه الملك ضد حسد الموريسكيين تجاه المسيحيين العريقين وضد ادعائهم امكانية تقليد نفس المسؤوليات : « غير أنه في نفس الوقت الذى يزداد عددهم فان غموضهـم وحسـدهم ، هو الآخـر ، يـزداد : الا يرغب الموريسكيون وضعهم على قدم المساواة مع بقية المسيحيين وهذا لكل ما يتعلق بجميع المهن؟ ويعد هذا الامر ثغرة يمكن من خلالها أن يحدث الشقاق والغموض والذى باستطاعته أن يضع اسبانيا فى وضعية جد قلقة أكثر من ذى قبل » (152) .

أما محاكم دواوين التفتيش ، فانها عن طريق العقوبات التي تسلطها ، تكون قد ساعدت على اسقاط الحقوق المدنية، اذ طبيعة فضيحة العقوبات هي ولا شك جلية جدا بحيث لا تحتاج أن نلح عليهـا . كفرض لبـاس خاص أو التجول في أحياء المدينة أو منع حمل الاشياء الثمينة طول الحيـاة أو ارتداء نسيج كتان رقيق وهذا هو محتوى ادانة أنا دولينان (Ana de Linan) : « اننا نعلن أن أنا دواينان التي حرمت من حقوقها المدنيـة وقد فعلنـا ذلك حتى لا تستطيع أن تحمل الذهب ولا الفضـة ولا الجواهر ولا الحجارة الثمينـة ولا الحرير ولا الشملة ولا القماش الرقيق أو أى شيء آخر كـانت قوانين وأوامر المملكة وتعايمات دواوين محكمة التفتيش قد منعته على هؤلاء الاشخاص الذين أسقطت حقوقهم المدنية » (153). وليس فقط هؤلاء الاشخاص الذين أسقطت حقوقهم المدنية فقط ، بل أيضا أبناؤهم وأحفادهم ، ومعنى هذا عدم أهليتهم

(150) Vicente Espinel, **Marcos de Obregon, Clasicas Castellanos,** t. 51, p. 63.

(151) المصـدر نفسـه ، ص65 .

(152) Guadalajara y Xavier, **Memorable** ... **op. cit.**, f° 70 r°.

(153) A. I. C., leg. 250, n° 3376

لمارسة الوظائف العمومية وبالاحرى الشرفية منها ، كما أنهم لا يستطيعون ركوب الحصان ولا حمل الاسلحة أو أيضا ارتداء الالبسة الحريرية أو الرقيقة .

وبعد عملية الطرد ، عزا عدد كبير من الكتاب الاسبانيين فشل السياسة الاسبانية تجاه الموريسكيين للرفض الذى منعهم من التمتع بالصفة الشرفية ، وعلى ضوء ذلك فان المجاز بجرو فارننداز نافارات (Pedro Fernandez Navarrete) قد كتب في كتابه : **Conservacion de Monarguias y discuros politicos** (المحافظة على الملكيات والخطب السياسية) : « على الرغم من كل شيء ، فاني ما زلت مقتنعا انه عوضا عن دفع الموريسكيين الى اليأس ، منبع أفكارهم السيئة ، فقد وجب العثور على الطريقة التي نمكنهم من تقليدهم الوظائف الشرفية ونكون بذلك قد رفعنا صفة الفضيحة التي تثقلهم وانه كان بالامكان ضمهم الى معبد الفضيلة والطاعة الذى هو علامة لاعضاء الكنيسة الكاثوليكية، ان ابقاءهم في هذه الوضعية السيئة سوف لن يدفعهم أن يكونوا مسيئين » (154) .

واذا أردنا أن نفتش عن أسباب هذه الكراهية ، وجب عدم اهمال رؤية التاريخ الديني التي تشكل أساس وجوهر اسبانيا خلال القرن السادس عشر: ان المسيحيين والمسلمين يدعون جميعا أنهم من سلالة ابراهيم ، الا أن المسيحيين يقولون أنهم منحدرون من فرع شريف بالتدرج المباشر لاسحاق ، بينما المسلمون يعدون من أبناء اسماعيل الغير شرعيين وقد كان الموريسكيون أكثر حساسية لرؤية تاريخ شعب الله حيث عبروا بتأثر عميق عن صدمتهم لذلك . فالشاعر محمد ربضان ، أحد موريسكيي أراقون قد كتب قبل عدة سنوات من الطرد ، قصيدة طويلة حول : « شهرة نسب » الرسول محمد والشعب العربي . وفي المقدمة النثرية للقصيدة ، شرح الاسباب التى دفعته ليكتب مثل هذا العمل : « انه فوق كل ذلك ، نلاحظ شيوع الراى لدى المسيحيين الكفار وحيث يمنحون ، بثقة كاملة واصرار ، صفة اللقيط لاسماعيل ولكل سلالته وينزعون عنه مجد التضحية ويمنحونها لاسحاق (Hizaq) . كما أن المسيحيين ينسبون اليهم ابراهيم الطيب عليه السلام.

وكانوا يقولون انه نظرا لنسبه اللقيط ، فانه لا يمكن أن يكون نبيا ، وعلى الرغم من أن الايمان متمكن جدا في كل المملكة ، بفضل عناية الله تعالى (؟) ، فان هؤلاء الناس يولدون دوما لدى الاشخاص الضعفاء الفتور والعار ، فقلبهم ضعيف وتربيتهم الدينية مخزية ، وبالاضافة الى ذلك قد حثوا وتحت تهديد هؤلاء الكفار Alquefniros (؟) الذين وضعوا

---

(154) Pedro Fernandez Navarrete, **Conservacion de Monarquias, y discursos politicos**, Madrid, 1625, p. 51.

وقد اثير هذا الموضوع كذلك من طرف :

Miguel Herrero Garcia, **Ideas de los espanoles del siglo XVII**, Madrid, Gredos, 1966, (2e édition), pp. 574 - 574.

وقد ذكر نافارات ونهسانت اسبينال ، معتمدا على شهادة فراى بالتسار باشيكو (Fray Baltasar Pacheco).

من أجل ذلـك كل سعادتهم وغبطتهم » (155) ان رد الاعتبار هـذا لاسماعيل عوض اسحاق سوف يتم انطلاقا من تفسير السورة رقم 37 من القرآن وحيث يظهر أن الابن الذى قبل ابراهيم التضحية بـه هو اسماعيل ، وبالفعل ، اثر هـذا الامتحان ، وحيث خـرج الرسول منتصرا ، بشر عليـه السلام « بنبـا طيب » : تمثل في ولادة اسحاق (156)

أما الموريسكي الاراقـوني محمد ديفـارا (Mohamed Devera) فقـد شرح لاخوانه أساس عيـد الاضحى ، وقد كتب : « اطلق عليـه ابراهيم وقـد جرب على ابنه الحبيب الى نفسه اسماعيل ، الا أن تجربة الله وقعت عليه ، والذين يقولون أن ذلك وقع لاسحاق لـم يدركوا شيئـا ، لان الامـر كان ، بالفعـل ، متعلقا باسماعيل ، ومحاولة التجربة قد تمت بالفعل لابراهيم عندما لـم يكن لديه الا ابن واحد ، وحدث هذا قبل ولادة اسحاق ، ولو كان لابراهيم ابنان ، فان الجواب سيكون حتما أقل نبلا ، لانه في هذه الحالـة ، سيبقى له ابن آخر يسليه عن التضحية عن الابن الاول » وقد ذكر هذا الموريسكي أيضـا ، قبول ابراهيم بتضحية ابنـه وشجاعة اسماعيـل ثم تدخل الملائكـة وتقديم كبش بدلا عنه للتضحية : « وسوف يطلق ابراهيم ابنه اسماعيل حيث كان وسوف يبقى نسبه متعددا ومدعوما » (157) .

---

(155) مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم . esp. 251, f° 3 r° - V°. وتدم هذا القصيد على الشكل التالي : باسم القانون والسلالة والنسب المشهور لسيدنا ورسولنا محمد عليه السلام من خادم الله والذى يرجو شفقته ورحمته محمد ربضان الاراقوني ، أصيل مدينة رودا دو زالون (Rauda de Xalon) ، في سنة 1603 من ولادة المسيح . ليتقبله الله برحمته . لقد اضفنا تاريخ اقامة الاسرائليين وسلالتهم وتاريخ القيامة برزنامة الاثنى عشر قمرا واخيرا 99 اسما من أسماء الله ، سبحانه » (ص10) . « ان كـل القصائـد الموجـودة في هذا المخطـوط قد نشرهـا لـورد ستانلـي من الديـرلاي (Lord Stanley of Alderly من مخطوطة بالمتحف البريطاني . راجع لذلك :

P. de Gayangos, **Catalogue of the spanish mss in the British Museum,** t. 1, p. 31.

وحسب مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس الموجودة في :

Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland (1868 - 1872).

اما قصيدة الاثنى عشر قمرا فقد كانت تتمص في « مخطوطة باريس » . وعلى ضوء ملحوظة دو ساسى (De Sacy) يمكن أن نضيف أن تيكنور (Ticknor) قد نشر فقرات مطولة من قصيدة ربضان في كتابه :

Historia de la literatura espanola, Madrid, Rivadeneyra, 1851 - 1856 L. IV, pp. 275 - 326.

اما القسم المعنون Espantos del dia del juiciv من القصيـدة فقـد نشـر فـي **Memorial Historico Espanol,** t. V, pp. 405 - 409.

(156) القرآن سورة الصافات . اما الانجيل فقد قدم رواية أخـرى للانجيل سفر التكويـن 12 ص 1 — 19 . « ان ابراهيم استفاق مبكرا ، أسرج حماره واخذ معه رفيقين وابنـه اسحاق ... » اقتبسنا فقرات الانجيل من الترجمة : (Ecole Biblique de Jerusalem) editions du Cerf, Paris, 1961.

(157) المكتبة الوطنية بباريس ms. esp. 397, f° 40 r° - v° وحول ابراهيم والمسلمين ، راجع الكتاب التالي :

Claude Layron, **L'homme que Dieu aima : Abraham,** Paris, les Editions du Cerf, 1969, 3° **partie, «Le premier des Musulmans»** pp. 149 - 166.

ان الرؤيـة التي يتمتـع بهـا المسيحيون لتـاريخ الشعوب والديانـات متنـاقضة تماما ، ونلمسها في عديد النصوص التي تعالج المشكل الموريسكي . من ذلك ان بلاس فـاردو (Blas Verdu) يعتمد في رأيه على كتاب قديـم (El opùsculo Tripartito) **الكتيب المثلث** والـذى يقـدم ملخصـا للمجـامع الاسبانيـة الدينية . وقد شـرح انطلاقا من ذلك كيـف أن المسلمين يجـب أن يكونوا منحدرين من سلالة العبد اقـار (Agar) ومنه جـاء اسمهم (Agarenos) واذن فهم من سلالة العبيد ، المحتقرة نتيجة عيوبهـا : « يقول الكتيب المثلث ان المسلمين ينحدرون من سلالة العبد اقـار ، ومن أجل ذلك يطلق عليهم كثير من الناس الاقـاريين (Agarenos) ، وهم بالتالي غير خليقين أن يأمروا ولا أن يحكموا . « وبالتالي لا يحكم ابن العبد ، بل ابن المـرأة الحرة » . انهم أبنـاء العبيد وحيث قال اليسترو (Oléastre) في الفصل الواحد والعشرين من سفـر التكوين انهم « في أغلبهم مجبولون على الشر » . ان عبيدهم وذريتهم ميالون للشر وهم خونـة ، منافقـون ، متآمـرون ، كذابـون ، حاقدون وحقيـرون . وبالاضافة الى ذلك انظروا الى المسرحيات وسوف تلاحظون انه بشكل طبيعي أن وجه الخائن والمتآمر منسوب الى العبد » (158) .

وبهذه الطريقة اجبر بلاس فاردو أن يعلل عملية الطرد ابتداء من موقف ابراهيم الذى أطـرد أم اللقيـط وابنهـا ليحافظ على روح وارثـه اسحـاق ، الابـن الشرعـي : « والـذى يسـاعد على ادراك كل ذلـك هو ان ابراهيـم ، أبا المؤمنين ، يرى أن شكايات زوجته سارة العادلـة والخطر الذى يحيق بروح كبير أبنـاء الرسول اسحاق مع رفقـة اسماعيل السيئـة ، كانت سبـب طرده الام والابن وهذا دون ان يعير اهتماما لختنه وهذا ما يعادل التعميد فى وقتنا الحاضـر . كما أنه لا يعير اهتماما كثيرا لكونه الوحيـد ، فان تعليمـه كان سهلا ، غير أنه على العكس من ذلك ، يعتبر أن شيئا قليلا من الخميرة تفسد كل العجينة ، وانه على ضوء ذلك أطردها » (159) .

ونتيجة لهذا المنطـق ، قدم فيليب الثالث « كابراهيم المؤمـن » وكمحامي الكنيسة ، مطردا من بلاده ذرية اسماعيل ، معيدا فى هذا ، موقف ابى المؤمنين الذى أطرد الدخلاء من بيته (160) .

---

(158) Blas Verdu, **Enganos y desenganos del tiempo, con un discurso de la expulsion de los Moriscos de Espana,** Barcelona, Sebastian Matheuad, 1612, f° 145 r°.

(159) **المصدر نفسه** ، f° 141 v° نعثر على نفس هذه الفكرة لدى العديد مـن المؤلفين : فبليدا يعنون الفصل الحادى عشر من كتابه الثامن :
Cronica de los Moros de Espana, « De la expulsion de los Moros de Espana, fue figura la de Agar y Ismail ».
وقد استغل فـراى جـوان دو تريجالبا (Fray Juan de Grijalba) لنفس هذه الحجة فى الخطاب الذى القاه فى كاتدرائية دو بوابلا (Puebla) بالمكسيك يوم 11 سبتمبر 1621 : « لقد حصل لجلالته فى هذه الحالة ، ما حصل لابراهيم عندما أخرج من بيته ابن العبد اقار واما العلماء فقد كان موقفهم يشرح كيف ان الاخوين كانا خبيثين وان ذلك كان يمكن ان يفسد سلوك اسحاق وهذا ما حصل لابراهيم عندمـا أطرد من بيته فلذة كبده » . راجع هذا النص :
R. Ricard, « Les Morisques et leur expulsion vus du Mexique » in, **Bulletin Hispanique,** XXXIII, 1931, pp. 252 - 254.

(160) Blas Verdu, **op.cit.,** f° 142 r°,

وفى قصيدتين كان قد وجههما الى فيليب الثالث ليهنئه بطرد الموريسكيين ، نجد صدى لفكرة الانتصار على « سلالة اقار » . ونقرأ فى قصيدة فاليريو فورتونو دو اقرادا (Valerio Fortuno de Agreda) ما يلي :

« كذلك ، مولانا ، ان السماء لمعترفة
تمنحك على سلالة اقار انتصارا باهرا » (161)

أما صاحب الاجازة سلفارا (Silvera) ، فقد كتب هو الآخر :

« مولانا ، ان الوقت قد حان وحيث على ايديكم
نعيش انتصارات عديدة
بطردكم بقايا الاقاريين
بغلقكم أبواب جونوس (Jonus) على وجهتين » ؟ (162) .

كذلك وفي أماكن عديدة ، أوخذ على الموريسكبين تسميتهم مسامين: « ان أبناء سارة » وهم بذلك لا يستحقون هذا الاسم لانهم لا ينحدرون من سارة ! الا ان ابن اقار « من العبد اقار » هو الاسم الوحيد الذى يليق بهم فهم « اذن الاقاريون » (163) .

ويمكن أن يكون ازنار كاردونا قد استوحى هذا المقطع من (Cartequeses mystagogicae) وقد كتب أيضا : « ان العرب وهذا هو الاسم الشرفى الذى أعطوه لانفسهم ، فى حين وجب تسميتهم بالاقاريين وهذا بسبب أمهم اقار أو الاسماعليين بسبب جدهم اسماعيل » (164) .
أما بليدا (Bleda) فقد أوضح فى بحثه **دفاعا عن العقيدة المسيحية** بطريقة أكثر علمية أن : « العرب » لا يمكن أن يكون قد اشتق من « سارة » ، « اذا اشتق اسمهم من سارة ، فقد وجب تسميتهم بـ (Sararrins) وليس (Sarrasins) » (165) .

أما قوماز دافيلا (Gomez Davila) فقد وجه من جانبه الى فيليب الثالث مذكرة اقترح عليه فيها حلا جذريا لحل المشكل الموريسكي : ويتمثل ذلك فى : « القضاء نهائيا على ذرية الاقاريين الملعونة » . وقد أضاف أننا نتحصل على هذه النتيجة ، عندما ننتزع من الموريسكيين أطفالهم الصغار على أن يسلموا الى المسيحيين العريقين : « وارسالهم الى مختلف بقاع العالم » . وبالنسبة لقوماز دافيلا ، فان المشكل الموريسكي هو اذن مرتبط بميزان القوى بين المجموعتين ، فاحداهما فى أحضان العناية الربانية والاخرى ملعونة ، والوضعية الحالية فى صالح المجموعة الاولى ، الا أن ذلك يمكن أن

---

(161) Guadalajara y Xavier, **Prodicion ... op.cit.**, Prologo, f° 5 V°.

(162) **المصدر نفسه** ، f° 6 r°.

(163) Pedro Guerra de Lorca, **Catecheses mystagogicae pro advenis ex secta mahometano in gratiam parochorum et saecularium potestotem,** Madrid, 1586, f° 17 r°.

(164) Aznar Cardona, **op.cit.**, 1, p., 151 V°.

(165) **Bleda, Defensio fidei ... op.cit.,** p. 49.

يتغير وعليه فقد كتب من كلف بالتخطيط لذلك : لنقم معهم صلوات صقلية تقضى عليهم ، وهذا حتى لا يقوموا بذلك ضدنا » (166) .

ان التنبؤات التي تسمى Alguacias أو Jofores كانت عديدة في اسبانيا خلال القرن السادس عشر . وسافيدرا (Saavedua) فى خطابه عن الادب الخميادو ، ذكر بالخصوص عددا منها . وهي التى أطلق عليها : الفضائح التى ستحدث فى آخر هذا الزمان بجزيرة الاندلس . يوجد هذا النص فى المخطوطة T 13 للاكاديمية الملكية التاريخية لمدريد وكذلك فى مخطوط رقم 774 ـ القسم العربي للمكتبة الوطنية بباريس (167) . ويضم هذا المخطوط أيضا : تنبؤ سان اسيدور (ST Isidore) ودموع اسبانيا (168) . أما مخطوط معهد ميكال أسين ، رقم 4 فيضم أيضا احدى هذه النبوءات : تنبؤ كبير الاتراك المسمي محمد العثمانى . وقد اقترح السلطان التركي على ابنه فتح رومة وردوس والبندقية وايطاليا ولمباردى و « كل اسبانيا » (169) .

أما لوى مارمول كارفاجال (Luis Marmol Carvajal) فانه أيضا نسخ ثلاثة منها في كتابه Rebelion y castigo de los Moriscos de granada العصيان وعقاب موريسكي غرناطة (170) . وقد استولت محاكم دواوين التفتيش بغرناطة على اثنين منها ، أما الثالثة فقد عثر عليها فى احدى المغارات . وقد ألح مارمول كارفاجال على الدور الهام الذى لعبته هذه التنبؤات في تهيئة حرب البشرات : وقد كان الموريسكيون متأكدين من مساعدة السلطان « العثماني » ، وهي المساعدات التي ذكرتها النصوص ، والتي تحثهم على الذهاب الى الحرب بدون خشية : « ان هؤلاء الملحدين يذيعون كل ذلك باضفاء الثقة عليه وهذا نتيجة السرية المفروضة على الشعب : وقد كان ذلك مجديا . ان هؤلاء الذين اختلقوا تلك الاكاذيب ، كانوا يعتبرونها مؤكدة الحدوث ، وان كل ما تنبأوا به سيتم حدوثه كما يقولون » (171) .

ويبدو في هذه التنبؤات مظهران متعلقان بهذا النوع من الاعمال : أحدهما : الامل في تحقيق انتصار سياسى والثانى الايمان بانتصار الاسلام : « ان الاتراك بمعية جيوشهم ، سوف يتحولون الى روما ، وسوف لا يتم

---

(166) Guadalajara y Xavier, **Memorablex... op.cit.**, f° 74 v°.

(167) Eduardo Saavedra, **Discurso leido ante la Real Academia Espanola, el 29 de diciembre de 1878**, Madrid, Imprenta de la Compania de Impresores y Libreros, 1878, p. 22.

(168) المصدر نفسه ، ص23 .

(169) المخطوط رقم 4 من معهد ميكال اسين .f°° 147 V° 156 r° راجع ايضا : فهرس :

Ribera y Asin, **Manuscritos arabes y aljamiados de la Biblioteca de la Junta**, Madrid, Imprenta Iberica, 1972, p. 15.

وحول علاقة الموريسكيين بالاتراك العثمانيين وهذا من خلال الاعمال الادبية :

Albert Mas, **Les Turcs dans la littérature espagnole du Siècle d'Or**, Paris, 1967, t. 1, pp. 534 - 536.

(170) **Historiadores de Sucesos Particulares**, B.A.E., t. XXI, pp. 169 - 174.

(171) المصدر نفسه ، ص 174 .

الا انقاذ المسيحيين الذين يعتنقون دين محمد . اما الاخرون : سوف يؤسرون أو يقتاون » (172) . ومن جهة أخرى نقـرأ كذلك : « ستقع فضائـح وسيتم تحالف بين عقيدة العرب وعقيـدة المسيحيين ، والناس جميعـا سوف يرجعون الى دين العرب » (173) .

امـا بيجـارانو (Bejarano) فقد ذكـر في مخطوطة عربيـة أو بالاحـرى الخميادو من (Jofer) : « وفي كتاب باللغة العربية ، كنت قرأته باسبانيا ، وهـذا قبل أن أتحول الى هذا المكـان ، كـانوا يقولـون أن المسلمـين سوف يرجعون مرة ثانية الى اسبـانيـا وأنهم سيدخلونها من أربع جهات ، أتذكر أسماءها بدقة ما عدا اسم طرطوشـة ، وأن المسلميـن سوف يحتلـون كـامل اسبانيـا » (174) .

ان ظاهرة التنبؤ بالنسبة للموريسكيين واقع دينـي : والمهم من هـذه التنبؤات هو ارتباطه بالقـرآن أو بمحمـد وهي في كل الحـالات ، من وحـي قـرآني .

وقد أوضحت بادىء الامـر أن القرآن يعتبر المتمم للوعود التي جـاءت في التوراة والانجيل ، وفي هذين الكتابين المقدسين ، أعلن بالفعل عن : « مجـيء المكرم أحمد » (175) . ومما لا شك فيـه ان محمدا قـد ظهـر في كل النصوص الموريسكية « كخاتم لجميع الانبيـاء » ، ومع هـذا فان الشعب لـه الاعتقـاد الراسخ أن رسلا عديدين سوف يظهرون في مجموعاتهم لشرح الهـدف الخفـي للوعظ القرآني ، أو لكشف مصير شعب الله .

ان عددا من هـذه التنبؤات تجد أصولها في محمد الذى كان قد تنبـأ مـن قرون عديدة ، بالمصائب والمحن التي ستنزل بالموريسكيين . وحسب الحـديث الذى وصل الى محـاكم دواوين التفتيش بطليطلـة (176) فان الرسول سوف يوجد في بعض أجزاء من آسيـا وافريقيـا ، وذات يوم بكى الرسـول ، ولمـا سأله أصحابه عن أسباب ألمه ، رد عليهم : « بأنه قبل كل شيء سيأتي زمان سيحتـل أرض المسيحييـن ، وأنه بعد ذلك سيـأتي زمـان آخر يسترجعهـا المسيحيون من العرب ، وان هؤلاء لا يحتفظون الا بغرناطة وحتى هاته المدينة ، فسوف تنتزع منهم وأن بقيـة أتباع محمد وجب أن يتحولـوا الى مسيحيين وسوف يسلط عليهم كل أنواع العقاب ، بما في ذلك النار » .

---

(172) المصـدر نفسـه ، ص 170 .

(173) المصـدر نفسـه ، ص 172 .

(174) مخطـوط دو بيجارانـو (Bejarano) رقم 565 بالمكتبة الجامعية لبولونيـا f° 164 r° . وقد نشر هذا المخطوط من طرف ج. بينولا روما (J. Penella Roma) كجزء رسالة دكتوراه كان قد ناقشها ببرشلونة سنة 1970 :
Los Moriscos espanoles emigrados al Norte de Africa, después de la expulsion, 3 vol.

(175) المكتبة الوطنية بمدريد : ms 9653, f° 178 r° .

(176) A. H. N., Inq., leg. 197, n° 16.

الا أن الموريسكيين كان عليهم الآن ، أن يعلموا ، ان كل التنبؤات قد تمت ، وأنهم في آخر درجة من المحن . وبالفعل فان محمدا قد أنهى تنبؤه عندما وعدهم بارسال من ينقذهم ، ويتوقف الامر عليهم بالتعرف عليه : « غير ان الله سوف يخلق في هذا الزمان ابنا للجزيرة وان أباه سيكون رجلا أصم ووالدته امرأة ذات عينين زرقاوين ، وان أحد اخوته سيولد مختونا » .

وقد ذكر ازنار كاردونا أن العرب الذين يعيشون في سيارا دو كورتاس اى اقوار (Sierra de Cortes y Aguar) ينتظرون قدوم أحد المحررين وسيكون الفاطمي ، أحد شخصياتهم المجهولة عندما كان يحارب الملك جايم (Jaime) : « لقد كانوا يعتقدون وما زالوا متعلقين بنقل رواية مؤكدة ، في مثل هذه الظروف ، ومفادها أن العربي الفاطمي سوف يقدم ليحررهم ويقتل المسيحيين . وسوف يقدم على حصان أخضر ويتوغل في هذه الجبال ثم يختفي في الصراع ضد جيش دون جايم ، في القرون الماضية » (177) .

ان اتجاه التنبؤ هذا وكذلك اتجاه الوعظ المسيحي يظهر في عديد من قضايا محاكم دواوين التفتيش ، وهذا في مختلف العصور والاماكن . ويبدو أن ذلك يعد في الواقع من المعطيات القارة البسيكولوجية الموريسكية وكتعبير عن أملها لمصير أفضل ومعارضتها للمجتمع المسيحي .

وفي طليطلة ، كان عدد كبير من الموريسكيين يجتمعون عند أحدهم ويشجعهم عن طريق التنبؤات أن يبقوا أوفياء لدينهم : « وكان يقول انه يوجد ثلاثون نبيا سوف يأتون للوعظ ضمن المسيحيين ، يخطىء دين العرب وسوف يعين بعض من سيكونون أنبياء » (178) . أما في تالافيرا (Talavera) وقبيل عملية الطرد ، فان أحد « الموريسكيين القدماء » قد أعلن في رفاقه « انه سوف يظهر سلطان كبير من العرب ، وسيحميهم ، وان هذا الموريسكي يعرف شخصيا ان هذا السلطان سوف يأتي » (179) .

---

(177) Aznar Cardona, **op.cit.**, II, f° 11 r°. وقد كتب :
Guadalajara, Memorabl ... op.cit., f° 51 r°. كذلك كان عرب مملكة اراقون (الذين كانوا يعتقدون أن ثوار دولاسيرا دو اسبيدان يتمتعون بتأييد اخوانهم بافريقيا ، سوف ينتصرون على الامبراطور ووزرائه) فانهم قد عينوا رئيسا لهم وحصنوا الاماكن التى كانت فى حاجة الى ذلك » . ومن الواضح جدا أن النبوءة والمسيحية لم يكونا مظهرين خالصين موريسكيين . ونجد ذلك مثلا فى التظاهرات المشابهة بالبرتغال فى القرن السابع عشر :

R. Ricard, « Prophecy and messianism in the works of Antonio Vieira » in, **Etudes sur l'histoire morale et religieuse du Portugal**, Paris, Centro cultural portugués, 1970, pp. 330 - 344.

راجع أيضا الكتاب التالى :

R. Cantel, **Prophétisme et messianisme dans l'œuvre d'Antonio Vieira**, Paris, edicions hispano-americanas, 1960).

وكلما كان الرجال فى مواجهة يومية للحقيقة القاسية ، فانهم يحسون بالحاجة لتدخل سماوى فى شؤونهم .

(178) A. H. N., Inq., leg. 196, n° 21.

(179) A. H. N., Inq., leg. 198, n° 1.

وفي سنة 1569 في غرناطة ، اعترف زكريا بمحاكم دواوين التفتيش أن العرب يأملون كثيرا في الانتقام: « لقد كانوا مسلحين وحسب كتبهم وقصصهم ان هذه الارض (اسبانيا) سوف تفتح من جديد وأن عرب المغرب سوف يفتحونها » . ان ساعة النجاة قريبة وسوف تأتي من شمال افريقيا وبجاية ، ووهران وسبتة سوف تفتح أولا ثم بعد ذلك سيتم من جديد غزو اسبانيا ، منتهجين اتجاه طارق ، الذى سيفتح أمامهم بشكل خارق للعادة : « وانه في مضيق جبل طارق سيظهر جسر من جديد وعن طريقه سوف يجتاز العرب ويتمكنون من غزو اسبانيا حتى قاليسيا (Galicia) » (180) .

اننا نجد نفس هذه الظاهرة في أراقون وبلنسية . ففى سنة 1574 كان أحد الاشخاص من القسطنطينية يقرأ احدى التنبؤات في منطقة فيلافاليش (Villafeliche) : « ان هذا التنبؤ يقول بان هذه الارض (اسبانيا) سوف تضيع هذه السنة أين نحن الآن ... وكلهم يتولون نفس الشيء وبنفس الطريقة » (181) . وبعد عدة سنين من ذلك ، خلال 1582 ، كان أحد المدجنين الكسندر كاستالانو (Alexandre Castellano) أصيل كالاندا (Calanda) قد رجع من تركيا وحيث التجأ اليها سنة 1560 . وقد كلف من السلطان التركي : « التأكد من بعض العلامات بقشتالة وبلنسية ، ومشاهدة ما اذا كانت تلك العلامات ملائمة لما نصت عليه احدى التنبؤات التي شاعت في تركيا والتي تتعلق بزمن إعادة فتح اسبانيا » . وقد ذكر الكسندر كاستالانو أن زمن فتح اسبانيا من طرف الاتراك قد قرب ، ذلك أن العلامات التي احتوتها احدى التنبؤات قد تمت الآن : « أنه في منطقة سيارا دو قالينيرا (Syerros de Gallinera) من مملكة بلنسية ، ظهر شاب في مقتبل العمر ، يختلف كثيرا عن أقرانه وأنه خلال خمسة أو ستة شهور سوف يصبح يتيم الاب وأنه خلال 28 أو 30 سنة سيصبح قائد الموريسكيين في هذه المنطقة وسينتصر كثيرا في الحرب » . ان هذا الشخص « الغير متكافىء » قد اكتشف من طرف الكسندر كاستالانو ، ويوجد بالفعل : « ويتمتع بكل المميزات التى نصت عليها احدى التنبؤات . أما عدم التكافىء فيتعلق بالامر التالي : ان كل ساعد سوف يصبح ساعدين ، وكان كبيرا جدا وذا مخالب وفي كل يد توجد ستة أصابع » (182) .

نرى اذن كيف أن هذه التنبؤات تعبر عن أصل دينى ، وهى تؤكد أيضا الايمان بمصير سياسى محدد ، وهذان العنصران سوف يدمجان ، ليصلا الى حد الاقتناع بقرب انتصار الهلال على الصليب ، وفي مقابل الرغبة في عالمية المسيحية ، نجد نفس التطلع الى اسلامية عالمية .

---

(180) A. H. N., Inq., leg. 2603 I.

(181) A. H. N., Inq., leg. 4529 II.

(182) اننا ندين لمعرفة هذا النص الموجود فى أرشيف معهد فالنسيا جون جوان ، انفويو 1 الى صديقنا برنار فانسان (Bernard Vincent) الذى تفضل وأمدنا بصورة عنه ، وكان الامر كذلك للنص الذى سنستعمله بعد قليل والذى يتفق مع الملحوظة التالية .

كذلك انتشر لدى المسيحيين تنبؤات مشابهة ، هي على العكس ، تتنبأ بانتصار المسيحية على الاتراك وتحويل هؤلاء الى الدين المسيحي .

من ذلك أن بيدرو دو دازا (Pedro de Deza) كتب بتاريخ 29 جانفي 1572 وحتما الى رئيس محاكم دواوين التفتيش بغرناطة ، ليحيطه علما ببعض التنبؤات التي تهم اسبانيا وعلى الخصوص حرب البشرات . وقد وقع في أيدي بدرو دو دازا كتاب يضم تنبؤات وتكهنات غريبة جدا ، وهو مخطوط قديم جدا يعالج الانتفاضة الاخيرة . « وقد أخبر كما أنه لو شاهد ذلك : أن سوائم دين اقار سوف ينتفضون وسوف يخرجون من مغاراتهم المسمومة ، ليلحقوا أكبر ضرر بالمسيحيين » . ونجد كذلك انتظار المنقذ الذي أعلن باسم « المتستر » : « غير أن المتستر سوف يقدم ليجلب النجاة للمسيحيين ويقضي على سلالة اقار وعليه فان ذريته سوف تسقط ويلحقها العار » ، ان شخص المتستر يظهر تحت سمات غريبة يمكن ان تؤدي الى مشابهته بدون جوان دتريش (Don Juan d'Autriche) « ان المتستر يسمى هبسبورغ (Habsbourg) وسوف يسافر على متن باخرة . وهو ذو قامة جميلة وسحنة بيضاء . وكان يتكلم بالكلمة السهلة والصادقة وهو يحب العدل وعدو العرب ، تجمله عينان زرقاوان وله مشية جميلة ويداه نظيفتان وبصمات يده واضحة جدا وملونة وأصابعه ضامرة وأظافره جميلة قصيرة ، وأعضاء جسمه رشيقة ، ويتمتع بأخلاق نبيلة وهو يشبه الملك داوود في حياته .

وقد ذكر دون بدرو دو دازا أيضا أنه اطلع على كتاب حرر باللغة الايطالية وكان مؤلفه أحد الاخوة الالمان : وبعد أن قام بترجمته ، لاحظ أن الاحداث الاخيرة قد ذكرت في الكتاب ، وقد استمر دون بدرو على قراءة الروايات المتعلقة بالسنوات القريبة المقبلة . ونتساءل عماذا قرأ ؟ والجواب أن : عددا كبيرا من الاتراك سوف يعتنقون المسيحية « وأنه قبل سنة 1575 سوف يقضي على احتلالهم » .

اننا نجد نفس تنبؤ الموريسكيين ، وقد استخلص دون بدرو : « ليكن الله بجانبنا حتى يجنبنا ما كنا قد عرفناه في الماضي ، وحتى يمنحنا ويمتعنا دوما بالانباء الطيبة والكثيرة وحتى تكون المسيحية مزدهرة » (183) .

ومن جهة أخرى ، سوف تأخذ هذه التنبؤات أشكال علامات في السماء ، أو أوضاع خارقة للعادة أو معجزات مزعومة : والهدف من ذلك تأييد الله وعنايته في جانب أحد الطرفين .

ان العلامات في السماء وكذلك النجوم والتقاء الكواكب ، قد أولت خلال القرن السادس عشر من طرف المنجمين بمعنيين اثنين : أحدهما : كعلامة انذار للاخطار التي يجسمها الموريسكيون وفي نفس الوقت كعلامة على طردهم النهائي وهذا ما يترجم عن انتصارات المسيحية على الاسلام . وقد عرفت

(183) المصدر نفسه .

تأويلات جوان أندرس (Juan Andrés) الذى باعتماده على الدراسات العربية لعلم النجوم والتقاء الكواكب ، قد تنبأ قريبا بقرب أفول المالك الاسلامية : « ان كل المالك وجب أن تتغير بصورة عميقة وسيحدث اذن أكثر من عشرين التقاء « كواكب » أخرى » . كذلك صرح الاسقف المفتش دون مارتين كارسيا (Don Martin Garcia) ، أنه مقتنع بقرب اعتناق « الاتاريين » للمسيحية : وللاسراع بانجاز ذلك ، دفع قسسه الى تعلم اللغة العربية ووعظ الموريسكيين : وقد قال ان بداية هذا الانتصار ستكون فى افريقيا الشمالية . وفى خطبته الثانية والثلاثين ، قام بوضع قائمة بكل الانتصارات الاسبانية فى افريقيا الشمالية وقد رأى فى ذلك علامة عناية الله (184) .

وقد ذكر قادالاجارا (Guadaljara) وبليدا (Bleda) وكاردونا عددا من هذه الظواهر السماوية وقدموا تأويلا لها . ففي سنة 1526 ظهر في السماء نجم ذو ذنب « للتنبؤ بالنكبات التي نتجت عن قبول التعميد بصورة كاذبة » . وكان ذلك انذارا بالخطر الذى سيلحق الموريسكيين الذين تم تعميذهم جماعيا ، باسبانيا ، وفي نفس الوقت تشهير متستر بخطأ هذا الاجراء (185) . وسوف نشاهد كثيرا هذه الظواهر السماوية في السنين التي سبقت الطرد النهائي ... ففي سنة 1603 لاحظ المنجمون : « أكبر التقاء للنجوم » وكشفوا عن معناه : « كل الناس كانوا متفقين أن التقاء النجوم هذا يمثل سقوط آخر انتفاضة لدين محمد فى اسبانيا خلال عشرين سنة. وبالاستناد الى ذلك ذكرت كل الاطراف كتب التنبؤ القديمة والحديثة ». وان قادالاجارا الذى ذكر هذه الظاهرة قد عالج بعد ذلك هذه التنبؤات فى فصل كامل من كتابه (186) .

أما في سنة 1607 ، فقد حدث التقاء جديد للكواكب فى سماء اراقون ، وكان ذلك موضوع تنبئها من طرف جيرونيمو اوللر (Géronimo Oller) أحد الاساقفة وتحصل على الدكتورا في علم اللاهوت، ومنجم ، وهو بالاضافة الى ذلك يتمتع برضا الكنيسة ببرشلونة » (187) .

وهناك معجزة ذكرتها اغلب تآليف المؤرخين المعاصرين لعملية الطرد النهائي الا وهي : « جرس فيليلا (Vililla) » ويتعلق الامر بجرس كبير الحجم في قرية قريبة من سرقسطة وحيث كان ، بصورة عجيبة ، يدق

(184) ندين بهذه المعلومات لمقال :
Juan Vernet, « Traducciones moriscas de El Coran » in, Festschrift für Otto Spiers, zum 5 april 1966, Wiesbaden 1967, pp. 686 - 765.
وكذلك رسالة دكتورا (والتى تحت اشراف الاستاذ فارناى (Vernet) :
Fr. José Maria Ribera Florit, **La polemica cristiano-musulmana en los sermones del maestro Inquisidor don Martin Garcia,** Barcelona, 1967.

(185) Guadalajara y Xavier, **Memorable ... op.cit.,** f° 48 r°.

(186) المصدر نفسه ، فصل f°° 159 v° - 163v° وقد ذكر المؤلف ، بالاضافة الى ذلك أن بليدا وكاسبار اسكولانو (Gaspar Escolano) فى كتابه : Historia de Valencia ، يذكر أيضا هذه الخوارق السماوية .

(187) **Guadalajara, op.cit.,** f° 107 r°.

وحده على اثر الملابسات الكبيرة لتاريخ اسبانيا » (188) . ومما لا شك فيه أن الامر يتعلق بالموريسكيين وبالخطر الذى يمثلونه بالنسبة لاسبانيا .

ومن المناسب أن نذكر ، في الاخير ، مجموعة من المعجزات ذات قيمة تنبئية وهي تدل أن السماء وعلى الخصوص السيدة العذراء ، هما في جانب المسيحيين ضد الموريسكيين . وقد أحست السيدة مريم كاهانة لابنها واليها شخصيا وجود هؤلاء الاخيرين على الارض الاسبانية ، وتنتظر هي الاخرى بقلق وحيرة ، طردهم النهائي :

ويذكر أيضا أنه في كنيسة نوترو دام دو كارمان (Notre Dame du Carmen) بسرقسطة ، وخلال السنين الاولى للقرن السابع عشر ، أخذ تمثال السيدة العذراء في البكاء : « لقد بكت 24 ساعة ، ابتداء من خميس الاسرار الى لحظة وضع القربان المقدس فوق مذبح الهيكل وهذا حتى انتهاء الحفل » (189) .

وهناك حالة أخرى شبيهة بهذه كان قد ذكرها في نفس الوقت قادالاجارا وازنار كاردونا (190) . ففي سنة 1526 ، كان تمثال آخر للسيدة العذراء « من توبت (Tobet) من الاقلية بكاتالونيا (Catalogne) بمملكة اراقون ، محلى بجواهر عظيمة ورائعة » (191) أخذ ينضح عرقا خلال 36 ساعة وهذا حسرة على تنكر الموريسكيين في المستقبل وهم الذين تم تعميدهم . ان قطرات العرق كانت كثيرة الى درجة أنها ملأت كأسا، أصبحت حتى سنة 1610 محل اجلال واحترام المؤمنين .

وخلال سنة الطرد نفسها ، حدثت معجزة جديدة ، ذلك أن السائل تبخر « لم يبق فى الاناء الا بخار ، على شكل سحابة كثيفة » (192) .

وكنتيجة لهذه الدراسة الموجزة للتنبؤ ، فانه باستطاعتنا أن نلاحظ أنه يمثل أيضا أحد موضوعات المجادلة : فالموريسكيون والمسيحيون قد تبادلوا فى كثير من الاحيان حججهم حول ذلك . وقد نقل قادالاجارا فى كتابه (Prodicion y destierro de los Moriscos de Castilla) رسالة كان وجهها المجار مولينو (Molineau) أحد الموريسكيين اللاجئين الى الجزائر ، الى الشوفالييى دو تروجيلو (Chevalier de Trujillo) « (193) .

---

(188) المصدر نفسه ، f°s 66 v°, 67 r°. ان هذه الظاهرة تد ذكرها أيضا بليدا ، نفس المصدر ، ص89 و531 .

(189) Guadalajara, Memorable ... op.cit., f°53 r°.

(190) Aznar Cardona, op.cit., II, f°s 24 r°26 v°.
Guadalajara y Xavier, Prodicion,... op.cit., f° 24r°, Memorable... op.cit., f°s 51 r°, 22 V°.

(191) Guadalajara, Memorable ... op.cit., f° 52 V°.

(192) المصدر نفسه ، f° 52 V° .

(193) Guadalajara, Prodicion ... op.cit., f° 75 V°.

أما المسلم فانه يرفض أولا التأويل المسيحي للطرد ، ويؤكد أن الله قد امتحن الشعب الموريسكي وان الله هو الذى أوحى لفيليب الثالث قراره بالطرد . ولتأكيد هذه الاقوال ، يذكر المسلم بعض التنبؤات التي شاعت لدى العرب . لقد كان ذلك وحيا الاهيا : وبالفعل لقد قرأت تنبؤات يرجع تاريخها الى الف سنة وحيث ذكر ماذا جرى وسيجرى لنا وان الله سوف يخرجنا من هذه الارض » . وقد استعمل أيضا تنبؤ القديس اسيدور (Saint Isidore) الذى سوف يتحول ضد المسيحيين ، مؤكدا أن الله بجانبهم وأنه سوف يرسل ملكا قادرا على السيطرة على العالم : « وأن أقل الاهانات التي ستلحق به ، فان الله سيأخذها على عاتقه وسيرسل ملكا يخضع العالم من أجل كلمة الله لا غير وحيث ان حصار المدن وهجمات المدافع لا يمكن أن تفيد شيئا » (194) .

وفي الشرح الذى قام به قادالاجارا لهاته الرسالة ، رد على الموريسكي : « ان الملك الذى يهددنا به العربي ، يجب أن يكون مسيحيا وسوف يأتي ليأخذ بيت القدس أين سيتوفى وسوف ينتصر بفضل كلمة الله : وسينتج عن ذلك أكبر المصائب للمحمديين » (195) .

وفي فقرة أخرى يلخص قادالاجارا هذه المناقشة بقوله : ان الموريسكيين لا يقدرون على فهم تنبؤات المسيحيين ، ذلك ان ادراكهم الشرير لا يمكن أن يعطيهم الا تأويلا خاطئا : « ان عددا كبيرا من القديسين ومن مشاهير الرجال قد تنبأوا باعادة احياء اسبانيا وحددوا المدة التى يستغرقها ذلك . ومن بين هؤلاء القديس اسقف اشبيلية اسيدور وحيث كان الموريسكيون يقرأون له ، غير أنهم لم يدركوه تماما (ذلك أن نبوءة الله لا يمكن أن تمنح للادراك الضال لذرية الغضب) . على أن أقدم المنجمين والفقهاء والسحارين من العرب ، قد قاموا هم الآخرون بتنبآتهم زمن فتح اسبانيا : وانه حسب أقوالهم ووحيهم الكاذب ، فانهم ذكروا أن وجودهم سيستمر حتى سنة 1610 . وبذلك تتوافق تنبؤاتهم مع تلك التي نادى بها القديس اسيدور » (196) .

وبالاضافة الى ذلك نلاحظ أيضا أن هذا التنبؤ هو فى الواقع علامة زمنية **في اسبانيا القرن السادس عشر اذ ندوة البروتستانت الذين كانوا يعيشون** هناك ، كانوا يلتجئون لتشجيعهم على مشروعهم اليائس : فأحد فرنسيي بايون (Bayonne) كان يعمل فى كوانكا سنة 1569 ويعظ من أجل الديانة البروتستانية ، وقد أعلن : « أن سنة 72 سوف تحمل أميرا على تغيير كل العادات والقوانين » (197) وفي هذه الفترة الزمنية اذن سوف تصبح اسبانيا بروتستانية !

---

(194) المصدر نفسه ، f° 77 r° .
(195) المصدر نفسه ، f° 79 r°.
(196) المصدر نفسه ، f° 12 r°, V°.
(197) . A. I. C., leg. 245, n° 3279. حول البروتستانت الفرنسيين الذن تدموا على اسبانيا للعمل وكانوا دعاة لعقيدتهم . راجع :
Jean-Louis Flecniakoska, « La propagation des idées protestantes par les Français en Espagne, et l'Inquisition à Cuenca (1554 - 1578) » in **Bulletin de la Société du Protestantisme français,** Paris, déc. 1974, pp. 532 - 554.

ومقابل التعليم الديني الذى كان المسيحيون يرغبون في اعطائه للموريسكيين ، فان هؤلاء للمحافظة على اعتقاداتهم الاسلامية حية ، كانوا ينظمون من تلقاء انفسهم تعليمهم الخاص . وفي الثقافة الدينية للموريسكيين وجب التمييز بين مستويات عديدة : مستوى الشعب الجاهل الذى يتبنى ، بطريقته المذهب الذى تلقاه سرا ، وهناك مستوى الاشخاص الذى يجيدون القراءة ويسعون الى نقل هذه الثقافة ، وأخيرا مستوى الفقهاء والعلماء الذين يحررون النصوص .

ان محاكم دواوين التفتيش التي اتبعت مثال الملوك الكاثوليكيين ، والتي أحرقت كتبا عربية عديدة بعد فتح غرناطة ، كانت تطارد الكتب والمخطوطات والتي بواسطتها يمكن نقل العقيدة الاسلامية . وهناك قوانين كثيرة كانت تأمر الموريسكيين بتسليم تلك المخطوطات والكتب الى السلط . ومثلا على ذلك قانون سنة 1565 كان ينص على ان « كل الكتب وكل الكتابات بالاحرف العربية وجب تقديمها الى رئيس محكمة غرناطة قبل ثلاثين يوما ، واذا امتنعوا فسوف يعاقبون بأداء مقدار 20.000 مارافيدس (Marovedis) يسلم جزء منها الى الداشي والى حاكم الغرفة ، بسبب عدم جلبهم الكتب فى الزمن المحدد . الا أن الموريسكيين كانوا يحتفظون بكتبهم وهذا ما أدى بمحاكم دواوين التفتيش الى ملاحقتهم من ذلك أن دياقو هارون (Diego Haron) من غرناطة ، عوقب سنة 1569 . « لانه لم يجلب الكتاب فى الوقت المحدد ، ذلك أنه حسب القانون وجب ان تجمع كل النصوص التي كتبت باللغة العربية ، مهما كانت مواضيعها » . وفي مالاقا ، في نفس هذه السنة ، عندما كانوا يفتشون عن الاسلحة ، كان يعثر على الكتب العربية » (198) .

وانه لشيء خليق بالتقدير ان يحتفظ بمثل هذه الكتب ، خاصة وان العقاب المسلط لهذا الغرض يشتمل على عقوبات خطيرة : ففي سنة 1564 جلد أحد الموريسكيين 200 جلدة واجبر على قضاء خمس سنوات على ظهر السفن (199) . وهذا العقاب يشتمل أيضا ، فى كل الحالات على مصادرة الاملاك بحجة البدع والكفر .

ان الكتب الدينية ونصوص الصلاة كانت تنتقل من يد الى أخرى : والاشخاص الذين يعرفون الكتابة يقرؤونها ويشرحونها لمن لا يعرف القراءة . من ذلك أن هارونيمو دو كاريون (Haronimo de Carrion) « قد استلم من موريسكيين دعاء كان مستعملا لدى العرب ، وكان يتلوه باستمرار » (200) . كذلك فان الفارو دو قردوبا (Alvaro de Cordoba)

---

(198) A. H. N., Inq., leg. 2603 I.

(199) Llorente, **Historia ... op.cit.**, t. IV, pp. 188 - 190.

(200) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 31.

قد نقل الى موريسكيين آخرين كتبا قد احتفظ بها زمنا ، وهذه الكتب تتناول دين محمد وعلى الخصوص صلوات العرب » (201) .

وفي حالات أخرى كانت العائلات تحتفظ لديها بنصوص دينية مختلفة كانت قد اقتنتها وجمعتها في سفر واحد ، يكون مرجعا للتعليم الديني للعائلة . وكان السفر يزيد حجما من جيل لجيل آخر . وقد استولت محاكم دواوين التفتيش بأراقون سنة 1567 لدى رودريقو الروبيو (Rodrigo el Rubio) ساكن البتا (Albeta) على مخطوط من هذا القبيل ومحررا من طرف أشخاص عديدين ، ويرجع بعض فقراته الى القرن الخامس عشر وبعضها الى القرن السادس عشر . وفي النصوص القديمة جدا ، كانت الكتابة مغربية ، أما ما كان منها حديثا ، فكتابتها صعبة وغير جيدة . ونجد ، على الخصوص مقتطفات من القرآن وخطب أيام الجمعة . وقد احتفظ بهذا المخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ، وكذلك شهادة الشهود في قضية رودريقو الروبيو (202) . وقد علمنا كيف أن هذا الاخير قد وشي به من طرف أحد العرب المرتدين ، وحيث تمكن من مشاهدة الكتاب عنده . وبتسلسل الاحداث كان يزور رودريقو أحد الموريسكيين المثقفين ، وقد لخص تعليمه عندما كتب « بالعربية وبحبر يشم منه وحي الشعر » ! وحتى القلم الذي ما زال مبللا بالحبر الطرى قد صودر من طرف محاكم دواوين التفتيش وضم الى الملف كوثيقة مدعمة .

لقد احتفظ الموريسكيون بكل حرص على هذه النصوص لديهم في أماكن مختلفة : وقد اكتشف البعض منها بعد عملية الطرد النهائي . ففي كاتالونيا وفي بنيسانات (Benisanete) « وفي منزل ابراهيم ، عثر على مخطوط باللغة القشتيلية ، وهو كتاب الاوامر والحفلات الدينية العربية ويضم كذلك عددا كبيرا من المبادىء ضد المسيحيين » (203) . وفي ميرافات (Miravete) عثر أيضا على أوراق البردى وأوراق مخفية في أحد بيوتات الموريسكيين وهما كابوسا (Cabosa) ورواق (Roig) « وكانوا يقولون أنها القرآن ومبادىء أخرى موريسكية وأوراق صفراء حررت باللغة العربية ، كانوا هم أنفسهم قد تسلموها » وفي أراقون عثر كذلك على مكتبة موريسكية كاملة بالموناصيد دو لا سيرا (Almonacid de la Sierra) . وحسب ازنار كاردونا ، أنه عندما غادر الموريسكيون الأراقونيون ، تركوا عددا كبيرا من هذه المجموعات في بيوتهم : « ذلك أن كتب دينهم وقواعدهم ومعتقداتهم ، متوفرة جدا مثل حبات رمال البحر . ففي كل بيت ، وفي كل ركن منه ، تعثر على مثل هذه المجموعات ، كذلك الابجدية لتعليم القراءة للاطفال . كما عثر على تعاليم محمد شعرا ، مصحوبة بكل البدع الاخرى لمعتقدهم المسموم » (204) .

---

(201) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 3.

(202) ان اعتراف الشهود قد ذكرت فى مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ms. esp. n°93. اما النصوص العربية والالخمادية فقد ذكرت ايضا فى المخطوطة العربية رقم 1163 بالقسم الشرقى للمكتبة الوطنية . راجع ص28 من فهرسة مورال فاتيو السابق الذكر .

(203) Bauer y Landauer, **Relaciones... op.cit., p. 67.**

(204) Aznar Cardona, **op.cit., I, f° 112 r°.**

وقد ذكر قادالاجارا نفس الشيء بالنسبة لسكان اكستريمادور (Extrémadure) « الذين تركوا في بيوتهم كمية ضخمة من الكتب ، كبيرة وصغيرة ، من القرآن ومشتملة على خطوط حمراء وزرقاء ورسوم واشكال جد غريبة » (205) .

ومن جهة أخرى ، فان أحد مقربي محاكم دواوين التفتيش « ومسؤول عن « سيوداد ريل (Ciuded Real) قد أخيط علما من طرف خادمة « لموريسكيين عريقين » كانوا قد بقوا في اسبانيا أثناء الطرد، أنهم احتفظوا، في بيتهم الريفي « على غرفة مغلقة بكامل السرية » (206) وقد وجب اذن اجراء تحر في الموضوع . وفي احدى فجوات الحائط ، اكتشف أربعة عشر « كتابا ما بين مجلد وغير مجلد وكذلك أوراق أخرى تمثل سفرا كبيرا ، وكلها كانت مكتوبة بأحرف لا نعرفها ، ذلك ان الكتابة كانت باللغة العربية أو بلغة أخرى مجهولة وأحد هذه الكتب محلى بأحرف مذهبة وبأوان أخرى » وقد اودعت هذه الكتب بين ايدى أحد المترجمين وحيث قام بدراستها ووضع فهرس لها ، وقد ارفقت تلك القائمة بملف القضية ، وقد سمحت لنا تلك القائمة بتقدير تجذير الموريسكيين العميق في مجموعتهم الاسلامية . وهذه الكتب التي حرر بعضها بالعربية والبعض الآخر بالخميادو ، يمكن تصنيفها الى أربعة أصناف :

1) كتب نسخ للقرآن .
2) كتب دينية : أحاديث الرسول ، وخطب ومجموعات أذكار .
3) كتب تتناول التنظيم الاجتماعي ابتداء من المبادىء القرآنية « ومجموعة من الانباء الموافقة لدين محمد » .
4) كتب ثقافية : أ) علمية مثل : (El Almagesto de Tholomeo) (207)
ب) طبية مثل (Preceptos pera curar enfermedadés) . (208)

ان هذه المقالات ذات المعتقد الديني قد حررت خصيصا للموريسكيين ، ومن سوء الحظ أن بعضها قد وصل الينا ، ذلك ان محاكم دواوين التفتيش قد أحرقتها . على أن بعضها يتمتع بمسحة أدبية : وكانت هذه الكتب تترجم في بعض الاحيان عن حوار بين فقيه وموريسكي تقدم بأسئلة . من ذلك ان محاكم دواوين التفتيش بطليطلة قد استولت على « كتاب أو كراس يحكى كيف ان أحد فرسان أكسيان (Axéen)

(205) Guadalajara y Xavier, **Prodicion ... op.cit.,** f° 28 r°.

(206) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 14.

(207) نقل هذا الكتاب من اليونانية الى العربية منذ القرن الحادي عشر الميلادي .

(208) حول اهتمام الموريسكيين للطب راجع :

A. Dominguez Ortiz, « Notas para una sociologia de los Moriscos esoanoles » in, **Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos, Université de Grenade,** 1962, XI, fasc. I, pp. 39 - 54.

وقد ذكر المؤلف ، ص 49 : ان النائب العام لطليطلة ، قد اشتكى الى البلاد الملكي سنة 1607 بسبب عدد الموريسكيين الكبير الذين يدرسون الطب بطليطلة وغيرها ، وقد طلب منعهم من ذلك ، مذكرا بخشية المواطنين أن يروا هذه الكفار يستعملون هذا الفن لقتل المسيحيين .

استخبر عن اشياء تتعلق بالعرب وأنبيائهم » (209) . وقد حظي مثل هذا الكتاب بمكانة لدى موريسكيي قشتالة ، خاصة وقد تم الاستيلاء على نسخة أخرى مماثلة سنة 1541 لدى ماريانا فرنكو (Mariana Franco) من بين عدة كتب أخرى محررة بالخميادو « أى مكتوبة بالاحرف العربية ولكن فى اللغة القشتيلية » (210) .

ان عددا كبيرا من نصوص الخميادو عبارة عن ترجمات عن العربية ، وهى تمثل فائدة من حيث امكانية قراءتها مباشرة على جمع من الناس . فبرينادا سواريز (Brianda Suarez) في سنة 1546 ، كانت تجمع لديها في قادالاجارا (Guadalajera) جيرانها وتقرأ عليهم أحد هذه الكتب : « وهو كتاب أو كراس يضم أدعية عربية محررة بأحرف عربية وباللغة القشتيلية » (211) . كذلك لوب هنستروسا (Lope Hinestrosa) كان هو الآخر يقرأ هذه الترجمات الالخميادية : « كان يقرأ القرآن وكتبا أخرى من دين محمد اللعين والباطل ، وكانت هذه الكتب مكتوبة بالعربية أو باشكال عربية » . ويبدو ان الامر اذا كان متعلقا بالنصوص العربية ، فانهم يترجمونها : « في لغة عامية (أى القشتيلية) » (212) .

وحسب هذه الارشادات ، يبدو أنه ، ابتداء من سنة 1540 بقشتالة ، وعمليا بطليطلة ، فان أغلب الموريسكيين لم يعودوا يعرفون اللغة العربية ولا يقدرون على فهمها ولم يحتفظوا مثلا الا بالصيغ الجامدة للصلاة . من ذلك أن جوان دو لوزا (Juan de Losa) . « نتيجة لتعاطفه واعتقاده بوجود أشياء عربية في الماضي والحاضر ، فانه ما زال باستمرار يصلي ويذكر صلاة العرب ، بالعربية » . ونفس هذا الشخص سوف يزور نبيا بطليطلة هاته السنة : وهذا النبي ، حسب الاشاعات ، كان على علاقة مع ملائكة الرحمان : وباستطاعته مكالمته ونقل تساؤلات المؤمنين . ووفقا لذلك طلب جوان دو لوزا من الملائكة : « هل بامكان المؤمنين ان يصلوا بالعربية والقشتيلية ؟ وقد رد عليه : « ان يصلوا بالقشتيلية ، واذا فعلوا ذلك بالعربية ، التي لا يفهمونها فسوف لن يكون لصلاتهم أى حس بالورع والتقى وبالتالي فسوف يفكرون في أشياء أخرى » (213) .

---

(209) A. H. N., Inq., leg. 197, n° 17.

(210) A. H. N., Inq., leg. 195, n° 17.
هناك كتاب آخر لقى قبولا كبيرا من طرف الموريسكيين ، ونعنى به كتاب فقيه جماعة سيقوفى (Segovie) : عيسى الكبير (؟) . وقد عرف هذا النص باسم : (Brebiario Cuni) وهو يعدد الالتزامات الاخلاقية والقانونية لكل مسلم . ان وجود عدد مرتفع من نسخه والتى بقيت لدينا تؤكد انتشاره الواسع : وبالاضافة الى النسخة اللاتينية للجونتا (Junta) ، توجد عدة نسخ بالالخميادو : احدهما بالجونتا مخطوط رقم 1 والاخر بـ R. A. H. بمدريد وقد نشر فى : (Memorial Historico Espanol, t. v) والنسختان الاخريان توجدان بالمكتبة الوطنية مدريد .

(211) A. H. N., Inq., leg. 197, n° 17.

(212) A. H. N., Inq., leg. 194, n° 5.

(213) A. H. N., Inq., leg. 197, n° 16.

ان التعليم الديني الذى تلقاه الموريسكيون ، متسم ، فى الغالب ، بطابع المجادلة ، ومن ذلك مقابلته لما كان يتلقاه المسيحيون : « فلدى الموريسكيين ، كان الحديث والشروح تدور حول افضلية دين محمد على دين المسيحيين » (214) . وأغلب هذه الكتب تحمل اتهامات ضد « خطأ دين المسيحيين » . ونعثر على هذا الاتجاه أيضا من خلال اقامة الصلوات : ان تلك التي تلقاها هارونيمو دو قاريون والتي تعلمها ونقلها بدوره ، لهذه الحلقة المتسلسلة الامينة ، كانت تضم اشارات للمعتقد المسيحي : « توجد جمل تقول ان الله لا يمكن أن يكون له ولد ، وهذا يدل في الواقع ، على إنكار التثليث المقدس » (215) . ويترجم هذا عن صيغة مضادة للتعليم الذى تلقاه المسيحيون وحيث وجب اضعافه .

فمحمد ربضان قد حدد في مقدمة قصيدته :

(Discurso de la luz y dexendencia y linaje claro de nuestro caudillo y bienaventurado anavi Muhamed)

خطاب البصيرة والاصل والنسب اللامع لرئيسنا ونبينا محمد السعيد : وكان يهدف بنفس الدرجة الى اشارة تمجيد الرسول ودفاعه ضد اتهامات المسيحيين : « عندما نلاحظ وجود هجوم بارز ضد كل الانبياء ... فاني سوف أقرر بما بقي لي من قوة لآخذ موقف المدافع تماما كالجندى الذى بفضل جسارته يرتمي في المعركة لينتقم لاهانة كبيرة لحقت قائده ورئيسه » (216) .

ان هذا التعليم الديني كان يتم بسرية مطلقة ، والذين يشرفون على نشر العقيدة ، فانهم غالبا ما يسعون الى التظاهر بممارسة دينية مثالية . وهذا مثل حالة ماتيو باريز (Matheo Pérez) الذى كان يعرف قراءة اللغة العربية ويملك القرآن بالعربية. وحيث كان يقرأه ويترجمه سرا الى اصدقائه : « وحتى يتظاهر بالاتفاق مع المسيحيين ، فانه لا يبدى شيئا يدل على انه عربي ، وكان يعترف بذلك ويبلغه (الى اصدقائه) » (217) . ان المهم فى هذا التعليم السرى كانت القراءة العربية . وقد كانت جوانا لوباز (Juana Lopez) تحضر في دامييال (Daimiel) ، خلال سنه 1541 ، اجتماعات « أين كان يتلى كتاب القرآن المكتوب باللغة الموريسكية وفقا لقانون وقواعد دين محمد ، وان الذى كان يقرؤه ، قد استعمل اللغة القشتيلية لذلك » (218) .

ولتعميق معرفتهم بالاسلام ، كان الموريسكيون يستفيدون من رحلاتهم ، وكمثال على ذلك فان اسقفية سيقوونزا (Sigüenza) كانت على علاقة مستمرة باراقون ، أما موريسكيو دازا (Deza) فقد كانوا يتحولون لقضاء شؤونهم الى كاتالونيا، وكانوا يشحنون على حيواناتهم كميات من الصوف، ولدى رجوعهم ينقلون عليها الغلال واللوز والبندق التي يقتنونها

(214) مثلا A. H. N., Inq., leg. nº 15.
(215) A. H. N., Inq., leg. 191, nº 31.
(216) Ticknor, Historia ... op.cit., p. 277.
(217) A. H. N., Inq., leg. 196, nº 19.
(218) A.H.N., Inq., leg. 195, nº4.

من فلسات (Falsete) . ان هذه الرحلة الطويلة التي لا تستغرق أقل من عشرين يوما للتحول من دازا الى برشلونـة كانت تتخللهـا محطـات توقـف اراقونية . وفي المساء كان ينظم لدى أحد الموريسكيين سهرات دينية أو في بعض الاحيان كان ينضم اليهم أحد الاراقونيين ، ليستمر في تعليمهم أثنـاء الطريق . وهذا ما تم فى احدى الرحـلات التى كان يسيرها بـدرو زامورانـو (Pedro Zamorano) وقد اجتهد هذا الاراقونـي لاقنـاع الموريسكـي الوحيد الذى رفض الصـوم ـ اذ كانت الرحلة أثناء شهر رمضـان ـ بحتمية احترامه لهذه القاعدة الاسلاميـة (219) . وفي سنة 1570 ، فان جيرونيمـو قورقوز (Géronimo Gorgoz) عمدة دازا قد اعترف لمحاكم دواوين التفتيش بأخطائه ، وقد صرح أنه رغب الاستفادة من أمر العفو الاخير الذى منحه الملك للعرب المعتنقين الجدد للمسيحية « وقد قدم ليريح ضميره » واعترف أنه قبل خمس سنوات ، قام برحلة الى اراقون بساستيركا (Sestrica) وحيث كان يمـلـك بها محلـة . وهنـاك قضى احدى ليـاليه في منزل شخص اسمـه موسـى سانشـو (Mose Sancho) الذى علمه الدين الاسلامي : « وكان هذا الشخص يقرأ في كتاب ينص على ما يجب أن يقوم به » (220) .

وفي حـالات أخـرى عديـدة ، فان الموريسكييـن الاراقونييـن هم الذين سيتحولون الى دازا ويعلمون ضيوفهم الاسلام . من ذلك أن أحدهم ، فى سنة 1567 حيث أمضى ليلتـه عنـد أحد بغـالى دازا « حرر ، على طاولـة كـانت موجودة هناك ، ورقة عن صلاة العرب واشياء اخرى تمت الى دين محمـد ، باللغة القشتيلية » وصرح أنه بهذا يستطيع أن يعلم كل ما وجب معرفته عن الـوعظ و (zola و guado) وبقيـة الاشياء الاخـرى » . وعندمـا غـادر الاراقوني المنزل ، فـان المضيف لوب هـارارو (Lope Herrero) ، أحـد البغالين العـاديين ، هو الذى سينظـم الاجتماعات في حديقـة قرب المدينـة ، وسوف يفاجأ ، برفقة عشرة أشخاص من العرب ، انهم بصدد تلقين غيرهـم . وحسب شهادة شاهـد عيـان : « فان كل هؤلاء الاشخاص كـانوا جالسين أو مضطجعين على الارض على شكل دائرة ، وكان أحد الموريسكيين العرب ذو قامة طويلة واقفا خارج الدائرة ، يتحدث اليهم ويعلمهم دين ومعتقد محمد » (221)

وهناك حالات كثيرة أخرى حدثت خلال السنين التي سبقت عملية الطرد النهائي ، من ذلك ، هذا الاراقوني الذى يتحول دوريـا الى دازا ليبيع انتاجه من الآجـاص ، وقـد حـط رحالـه عند جـوان كـاراتون (Juan Caraton) الذى يقوم هو الآخر بالرحلة المعاكسة أى من دازا الى كالاتويود (Calatayud) وقد أخفى الاراقوني في حمولته مـن الغلال كتبا ممنوعـة : « لقد أخـرج مـن حمولته من الآجاص كتابا كبير الحجم لـه غلاف من القمـاش وصرح أن هـذا الكتـاب هو كتـاب الملـك العربـي وانه بفضلـه يستطيـع أن يعـالج كـل

(219) A. I. C., leg. 376, n° 5335.

(220) A. I. C., leg. 247, n° 3322.

(221) A. I. C., leg. 250, n° 3370.

الامــراض » . ويحدث اذن أن التعليم الديني يتخــذ شكل الاوليــاء ، وبفضل المبادىء القرآنية ، يمكن نقل الطرق السحرية او الخرافية (222) .

أمــا موريسكيــو كوانكــا فانهــم سيكونــون علــى اتصــال باقرانهــم وحيث كانوا يستلمــون منهــم الكتــب والتعــاليم . ففي سنة 1566 اتهــم فرنسسكو رنــداى (Francisco Renday) باتبــاع « دين محمد » . وقد اعترف لمحاكم دواوين التفتيش أنــه قدم من مملكة بلنسية ، وبا ضبط من هويــادو البونيــول (Hoya de Albunol) ، وأنه هناك لقــن الاسلام من طرف الفقهــاء لذين أعطى أسماءهم ، اذ هم الذين علموه القرآن والصلوات الاسلامية (223) . وفي سنة 1570 صرح ايناس دو كورتازون (Inés de Cortezon) : « انه وجــد نفسه في مملكة بلنسية ، مع بعض الاشخاص الذين كانوا يسمون باسمــاء عربية ، وقد تعلم منهم » (224) .

وقد كان البحث مركزا جدا عن الدعاة ومعاقبتهم من طرف محاكــم دواوين التفتيش ، ذلك ان الاســلام لا كهنوت فيه ، ومعنى ذلك ان كل مؤمن يتوقف عليه وحده نشر الاسلام ، ومع ذلك فــان بعض الشخصيات ، نظــرا لعلمهم وقدسية حياتهم والاحتــرام الذى نالوه في مجموعاتهــم ، كانوا يقومــون بهــذا الدور ، ويتعلق الامر في بعض الاحيان ، بشخصية اكتسبت شهرة بكونهــا « سماوية ونبيا » وحيث كانت تنقل في نفس الوقت التعاليــم القرانية للاوهام الشعبية، وفي سنة 1540 بطايطلة كان أحد هؤلاء الاولياء (225) قد تمتع بشهرة لا باس بها وكــان بيته يعتبر مقرا لاجتماعــات يكثر التردد عليهــا . ان هذا « السمــاوى ونبــي اللــه » كان يجمع بسهولة جدا حفــلا كبيــرا ، مدعيا انه سيقوم بمعجزات وسيكون على اتصال بالعالم الاخر :« وكان يقول انه يخاطب الملائكة ويرى الامــوات ويتحدث اليهم طبقــا لدين محمــد » (226) ولاثبــات اصل مهمتــه ، كــان يقدم حجــارة ادعــى انــه اتصــل بهــا مــن السمــاء .

ومع هذا ، بقي التعليم الديني الهدف الاساسي لهذه الاجتماعات ، وقد قال الرسول لمستمعيــه « كثيرا عن الاشياء العربيــة قصد تلقينها اياهم وغرس عقيدة الدين الاسلامــى وكيف انه في ارض الاســلام ، نحتــرم كــل القواعــد والقوانين » . وكما أتيحت لنا الفرصة سابقا نرى أن هذا التعليم لا يمكن أن يوجد بدون جدل : فالساحــر الطليطلى يدعى الحديث الى الثالــوث :« وهـــذا

(222) A. I. C., leg. 337, n° 5342.

ان المبرئين كانوا فى الغالب دعاة العقيدة الاسلامية ، من ذلك تحول سانشو دو سوتو (Sancho de Soto) الى قواد الاجارا بطليطلة لاستشارة أحد الاشخاص الذين باستعمالهم الماء يبرئون من كل الامراض . وقد مولج وفى نفس الوقت لقن دين ابائه .

راجــــع : A.H.N., Inq., leg. 193 n°7.

(223) A. I. C., leg. 236, n° 3056 C.

(224) A. I. C., leg. 248, n° 3332.

(225) A. H. N., Inq., leg. 197, n° 16.

راجــع ايضــا : leg. 193, n°1 ; leg. 193, n°14.

(226) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 14.

الغرض جعل المسيحيين مجانين » وكان يقابل ممارسات المجموعتين :« كيف ان العرب يصومون دائما من الصباح الى المساء وأنهم في الليل ياكلون اللحم ، وان اليوم الذى يصومونه يمكثون في بيوتهم يصلون ، اما الصيام الذى يقوم به المسيحيون ليس صياما حقيقيا ، وقد سلم هذا الشخص قائمة بالعربية بالاشياء التي تمت لدين العرب الملعون » .

ومن هؤلاء الدعاة بالعقيدة ، فانه ليس من النادر ان نعثر على نساء كن داعيات جد متحمسات ، من ذلك بـدازا في سنة 1570 ، كانت انا دو لينان (Ana de Linan) زوجة أحد البغالين ، قد دعت الى الاسلام : « أشخاص آخرين باعتبارها داعية لدين محمد : وقد لقنت أشخاصا آخرين كيف يقومون (zala guado) » ونظرا لعدم معرفتها القراءة والكتابة فانها اكتفت بتعليم القواعد الدينية » (227) .

ان مثل هذا التبشير يثير في بعض الاحيان مآسي في صلب العائلة الواحدة ، وحيث يكون بعض اعضائها ، قد قاموا في ظروف خاصة ، باختيارات تخالف الاخرين (228) من ذلك فان ليبونار دو الماراز (Leonor de Almaraz) « مسيحية غرناطية جديدة » قد اتهمت أمام محاكم دواوين تفتيش بلنسية ، أختها وزوجها ، حيث التجات اليهما خلال عدة شهور ، وسيؤدى ذلك بهما حتما الى الموت، كما اتهمت ايضا خادمتهم دياقو دو بريبوناس (Diegos de Briones) التي هربت ، غير انها سوف توقف وتحاكم من طرف محاكم دواوين تفتيش طليطلة (229) . وقد أخذت ليبونار رفاقها بممارسة الاسلام سرا والضغط الذى سلطوه عليها لاعتناق الاسلام :« كان جوان دو الماراز ينصحها بالابتعاد ن قانون المسيحيين وان تصبح عربية وان تشتغل ايام الاعياد وان لا تحضر القداس » ، ان وشاية الاهل هاته لم تكن نادرة ، ولنذكر حالة لويز نوناز (Luis Nunez) من مولينا الذى اتهم والداها ــ وبالاخص والدته ــ بممارستها القواعد الاسلامية (230) .

ان هذه الغيرة الدينية سوف تأخذ في بعض الاحيان مظهر « الاصلاح الاخوى » وسيقوم بها الصديق او الجار ذو النية المتعمدة باشعار الموريسكى بتبعيته الى المجموعة الاسلامية ، وكانت الحجج تتم في اجتماع عادى لتتحول الى التوبيخ والى التظاهرات المنيفة جدا : من ذلك ، الم يتوجه هذا الطليطلى باللغة العربية الى احد جيرانه المسيحيين :« قائلا له باللغة العربية كلمات مشينة مذكرا اياهم بانهم لئام وكلاب ويهود » (231)

(227) A. H. N., Inq., leg. 3376.
(228) انظر مثلا A. H. N., Inq., leg. 191, n° 2.
(229) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 22.
(230) A.H.N., Inq., leg. 193, n°25.
(231) A. H. N., Inq., leg. 196, n° 22.

وهذا ما حصل لجيرونيمو دو روجاس (Géronimo de Rojas) الذى عاد الى مبادىء الاسلام ، وهذا بفضل تدخل احد اصدقائه « عمدة » تالافيرا (Talavera) حيث « بصق على وجهه وانبه طالبا اليه عدم الرجوع الى بيته وعدم التردد على عائلته ، وهذا بسبب عدم احترام قانون اجداده وانه يعيش في الخطا شانه في ذلك ، شان المسيحيين » (232) .

على ان الموريسكيين سوف لن يترددوا في احتضان اقرانهم اذا لاحظوا عليهم عدم احترام مختلف القواعد الاسلامية ، ولورنسو دو صولينيا (Lorenço de Solena) قد أنب جيرانه عندما لاحظ عليهم انهم ياكلون شحم الخنزير ، وكان يقوم على تنظيم اجتماع بالمترددين ، ليدعم ايمانهم ويشعرهم بانتمائهم الى المجموعة الاسلامية : وقد تحول احد عمومته ، نتيجة لذلك الى تطوان ورجع الى اسبانيا « كسفير العرب » (233) .

وكان البحث بصورة خاصة عن الفقهاء شديدا ، وانهم اذا اختفوا بسرعة من قشتالة ، فان الأمر كان مخالفا لذلك بالنسبة لاراقون وبلنسية وحيث ستبقى مناطق اكثر اسلاما خلال كامل القرن السادس عشر حتى لحظة الطرد النهائى .

وفي أول الامر وطبقا لاتفاقيات غرناطة ، استمر الفقهاء في تسيير شؤون وظيفتهم وحتما لدى مواطنيهم فقط ، ونظرا لنسيان هذا البند العادى ، فقد امتثل فقيه موريسكى من مدينة مولينا ، امام محكمة دواوين التفتيش بكوانكا بالتهمة التالية : انه ارسل يحث بعض المسيحيين لاعتناق دين محمد ، قائلا لهم « اذا كان المسيحيون يعبدون التماثيل ، فان العرب من جانبهم يعبدون الله ، ولابد ان نعترف ان بياناته هذه قد اعطت بعض النتائج ، اذ من خلال حيثيات الحكم ، بين للمسيحيين كيف يصبحون عربا ويطبقون دين محمد » وقد حكم عليه بالطرد بسبب « قيامه بالبدع ونشر دين محمد » (234) .

وفي بلنسية ، حافظ الموريسكيون حتى اللحظة الاخيرة ، على فقهائهم وتنظيماتهم الدينية ، وقد اثار فونساكا (Fonseca) الدور الذى لعبه الفقهاء ساعة الرحيل : لقد كان اجتماعا عاما « للفقهاء والرؤساء » وقد قام هؤلاء بنصح الموريسكيين بعدم القيام بانتفاضة مسلحة، وقد أقر هذا الاجتماع العام ان الطرد سيكون شاملا : وقد رفضوا حتى الابقاء على الستة في المائة منهم ليلقنوا المسيحيين فنون الزراعة (235) ، وقد سر فونساكا بهذا القرار :

---

(232) A. H. N., Inq., leg. 197, n° 5.
(233) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 2.
(234) A. I. C., leg. 19, n° 344.
(235) Fonseca, **Relacion ... op.cit.**, pp. 89 - 90.
اما : **Baronat y Barrachina, los Moriscos ... op.cit,** ، فيذكر في فقرات كثيرة من مؤلفه وجود الفقهاء ببلنسية

« وحيث كان متاكدا وهذا كما نص عليه الامر : ان الاقدميين والاغنيـاء منهم سوف يبقون ، ويوجد منهم الفقهاء واساتذة القانون ، وحتما سوف يلقنون أطفال متهم وسيتعلمون ويستوعبون ذلك بسهولة كثيرة ثم يختلطون فيما بينهم بعد ذلك ، ونظرا الى انهم ينجبون كثيرا ، فانهم سوف يكثرون من جديد وبعد عدة سنوات ، سوف يجد ملك اسبانيا نفسه امام نفس الحيرة » (236) .

ان وجود الفقهـاء باراقون ، قد تاكد ايضا من خـلال عدة نصـوص راجعة الى القرن السادس عشر برمته ، وكانوا هم المكلفين بجمـع الصدقـات اثناء الحفلات الموريسكية وتوزيعها بعد ذلك على المعوزين ، كما انهـم كانوا المشرفين على عمليات ختـان الاطفـال والمحافظين على الحميـة الدينيـة لاخوانهـم في الديـن (237) .

وفي كاتالونيـا باسكون (Ascon) في نفس سنة الطرد ، اختفى احد الفقهـاء من بيـت مـوريسكي : وكان يقـرا في المساء لجمـع كبيـر ، فقـرات من القران ، وقد كان يملك كتبـا باللغـة العربيـة وغيرها » وعندما بوغـت على عين المكان ، اقتيد الى سجن محاكم دواوين التفتيش ببلنسيـة (238) ، وفي سيقورب ايضا خلال سنـة 1605 وفي ليلة الجمعة ، كان الموريسكيون يجتمعون في بيت « الفقيه ميقـال كافاني (Miguel Cavany) وحيث كان هذا الاخيـر يقرا عليهم القران ويعلمهم شعائر الدين المحمـدى ، وفي ضـواحي سيقـورب ، كان يوجد موريسكيان اثنان كانا قد درسا ليصبحـا فقيهين وكان احدهمـا يسمـى جيروم لوب ، الياس بايو (Jerome Lupe, Alias Payo) والثاني بدرو راسن الياس كلافس (239) (Pedro Rasin Alias Claves) وهناك اخرون دون ان يكونوا فقهاء ، قد صرفوا إموالا طائلـة لتعليم اخوانهم وابعادهم عن الديـن المسيحى ، من ذلك جوان من اراقون ، كان يبشر بالإسلام في المانش (Manche) حتى سنة 1530 : « ان المسمى جوان من اراقون بفضل الإيمان الذى لديه بالعرب ، كان يعلم ويلقن قانون العرب لكثير من الاشخاص » . وفي داميال بالخصوص ، كان يتردد على بيـوت اخوانـه في الدين ويقرا عليهـم سور القران وكتبا اخرى مؤكـدا ان : « دين محمـد افضل من دين المسيحييـن » (240)

وتجاه محاكم دواوين التفتيش ، استعمل إيضا كمستشار قانوني ، وقد صرح للاشخاص الذين كانوا مراقبيـن ، انه يجب عليهم ان يتذكـروا امـر البابا ادريان (Adrien) عندما كان المفتش العام باسبانيا ، وقد فرض على المحاكم ان لا يقوموا بشىء ضدهم ، ما عدا حالة تلبسهـم بالبـدع ، وقد ذكـر

(236) Fonseca, **Relacion ... op.cit.,** p. 92.
(237) Aznar Cardona, **Expulsion... op.cit., I, f°49 v°.**
(238) Bauer y Landauer,**Relaciones... op.cit., p. 44.**
(239) مذكور فـي : **P. Longas, Vida religiosa... op.cit., p. 64.**
(240) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 15.

جـوان دو اراقـون ان عدم شرب الخمر او اكل لحم الخنزير لا يمكن ان يعد بـدعـة .

وقد ذهب حتى الى تنظيم جانب من المال من موريسكيي كامبو دو كالاترافا (Campo de Calatrava) وبفضل المبلـغ الذى جمع ارسل وفـدا الى اشبيليـة للحصول على تاكيد امر البابـا ادريان :« والتفاهـم بكل الطـرق والوسائل » غير ان هذه التدخلات سوف لن تؤدى الى اية نتيجة وجوان دو اراقون بالاضافة الى ذلك ، سيتهم بانه « أخفى اصحـاب البدع » . ومن حسن طالعـه انه فـر الى الجزائر قبل وصول « اعوان الشرطة » .

وهناك حالة تبشير خاصـة مثيرة للغايـة ، وهى المتعلقـة بجيرونيمو دو روجنـاس الذى كان في سنـة 1601 موجـودا فـي سجـن محـاكم دواويـن تفتيش بطليطلة ، فانه قد بدأ في محاورة مع مساجين مسيحيين آخرين: « وقد حاول ان يعلـم بعض الاشخاص المسجونين من طرف محاكم دواوين التفتيش عادات وحفـلات دين محمد ، وكان يبين لهم هذه الاشيـاء ويعلمهم اياهـا « في السجن ويقول لهم انه يرغب في انقاذ ارواحهم وان اللـه سـوف يبصرهـم وينقذهم من العمى والجهل الذى يحيط بهم » (241) .

وقد ذكر ايضا حالة احد الموريسكيين الذى سعى ان يحول خادمـه الشديد التعلق بالمسيحية ، الى الاسلام، وقد حدث هذا في بلنسية خلال سنة 1605 : عندما كان جوان بابي يشتغل كراعي غنم قرب بلنسية على ارض الموريسكي فاكين (Faquinet) وقد حاول هذا الاخير : « اقناعه ان يصبح عربيا ويتخذ نمط الحياة العربية وانه عندما يقـوم بذلـك ، سـوف ينقـذ نفسـه ، اما اذا بقي مسيحيا فسوف يعذبها » (242) .

وخوفا من ممارسة التبشيـر فان « امرا ملكيـا » حرم على المـوريسكيين سنة 1560 ان يكون في حوزتهم العبيد السود ، ففي سنـة 1562 تمت مراسلة بهذا المعنى بين الملك ومحاكم دواوين التفتيش بغرناطة ، وقد اخبر المفتشون مصالح جلالتـه بعدم احترام هذا الامـر الملكـى وانهـم يخشـون ان يسعـى الموريسكيون الى ادخال عبيدهم في الاسلام :« اننا نحيطكم علما بظاهرة حقيقية وهى ان اغلب موريسكيى هذه المملكـة هم من العـرب وان العبـد الاسود سوف يتخذ قانون سيده الذى يمارسه » وقد أكدوا انهم احيطوا علما بذلك : « ويبدو ان موريسكييـن في هذه المملكة قد حولوا الى عـرب كل العبيـد السود الذيـن يملكونهـم » وقد اقترحوا انه يمكن منع بعض الموريسكييـن الذين تاكد لدينا انهم يتمتعون بامتلاكهم عبدا أسود، الا أنه وجب عدم التسامح بذلك للاغلبية الكبيرة منهم ، وقد فسر تبادل المراسلة هاته ، بواسطة رسالة كان قد وجهها

(241) A. H. N., Inq., leg. 197, nº 5.

(242) نشر هذا النص من طرف P. Longas, Vida religiosa ... op.cit., pp. 307 - 310

الموركيــون الى الملك ، يطلبون منه فيها الغاء هذا الامــر ، وعندما استشيرت محاكم دواوين التفتيش في الموضوع لم توافــق على ذلك (243)

ويمكننا أيضا ان نسجل في موضوع التبشير المغامرة الحربية التي حصلت لفرنسي من فونصوربيس (Fonsorbes) ، وهي قرية على بعد بضع أميال من تولوز بفرنسا » . وقد قدم ليعمل في اسبانيا حوالى سنة 1565 : ونتيجــة ارتكابه سرقــة ، فقد حكم عليه بالاشغال الشاقــة ، وقضى سنتين ولما انتهت فترة عقابه اطلق سراحه بجبل طارق ، وقد قرر انه آن الاوان ان يقفل راجعا الى وطنــه وان يقطع شبه الجزيرة من الجنوب الى الشمال ومن المؤسف انه قرر المرور على غرناطة : والتى كانت تعيش قمة ثورة البشرات ، وفي طريقه اسر من طرف « جيرونشللو (Gironçillo) احد قطاع طرق موريسكيي غرناطة » الذى اخذه معه الى لاسيرا (La Sierra) وهناك دفع الى الارتداد عن دينه المسيحى :« لقد قسا عليه كثيرا حتى ينكر دين المسيــح ، نظرا الى ان قانونهم افضل من قانون المسيح » ومع هذا فقد اصبــح مسلمــا وخلال ثلاث مــرات تم ارتداده ، وقد ساهم بعد ذلك في العمليات العسكريــة ضد المسيحيين ، حيث تمكن في احداها ان يهرب ويواصل رحلة الرجوع التي كانت متقطعة خلال عدة شهور، ورغم ذلك فقد وصل الى ولاية كوانكا بقرية سانكليمونت San Climante وأخذ يفتش عن ملجأ ليقضي ليلتــه في أحد الفنــادق . الا أن صاحب الفنــدق الذى فوجــيء بوصــول هذا الشخــص ذى اللبــس واللغــة الموريسكييــن » وشــى به الى مأمور القضــاء . ونتيجة لذلك تم تفتيشــه ونزعت ثيابــه وقد اكتشف انــه مختون . وعلى اثرهــا أحيطت محــاكم دواويــن التفتيش علمــا بالموضوع . وقد رافع عــن نفسه كثيرا وأخبر أنــه « ارتد عن دينــه لارضــاء الموريسكيين فقط ، الا انه مــا زال يحتفظ بشعلــة الايمان بالمسيح في قلبــه : وانه فعل ذلك حتى يتظاهر بالاتفاق مع العــرب ، خشية أن يقتلوه » . الا أن ذلك لم ينفعه وسوف لن يرى بعدئــذ بلده تولــوز ، بل سيتحول مــن جديــد وطوال كامل حياتــه ، منتقلا على ظهر السفن « جدافا بدون مقابــل » (244).

ان التضامــن بين الموريسكييــن يظهر في المناسبــات الكبيــرة : اثنــاء انتفاضــة البشــرات بسيــرا نفــادا حيــث كــان بعــض العــرب مــن دازا يتهيؤون لمساعدة الثــوار ، عندما أوقفوا مــن طرف محاكم دواوين التفتيش : « وقد ادعوا انهم سيتحولون الى غرناطة في مدة عشرة أيام في حين أن المسافــة بين دازا الى غرناطة أكثر من ثمانين فرسخــا ، وقد أظهروا رغبتهــم القويــة في تحقيق ذلك » (245) .

(243) A. H. N., Inq., leg. 2603 I.

(244) A. I. C., leg. 250, n° 3382.

(245) A. I. C., leg. 375, n° 5321.

لقد كان التضامن الفعلي بالنسبة اليهم حقيقة وسوف يعتبر ذلك من طرف المسيحيين كعلامة على الكراهية . من ذلك في سنة 1546 زار مسيحيو قادالاجارا مفتشي دواوين التحقيق للوشاية بسلوك بريندادا سواريز (Brianda Suarez) التى لا تظهر الاهتمام الا « للموريسكيين وشؤونهم » مع اظهارها أيضا « الحقد ضد المسيحيين العريقين » . وعندما يحمل الاسقف القربان المقدس أو عندما يدفن أحد ، فانها لا تلتحق بالركب الا اذا كان الامر متعلقا بموريسكي « وهذا ما لا تفعله من أجل تناول القربان المقدس أو مسيحية عريقة » (246) ونفس هذا الشعور دفع مارتينياز هارنان (Martinez Hernan) أن تأخذ الماء من حنفية أخرى ، غير التي يستعملها المسيحيون ، وهي تفضل التي كانت مستعملة سابقا من طرف العرب : « لقد بناها العرب سابقا ، على الرغم من وجود حنفية أخرى أقرب من الاولى ومياهها عذبة أو يفترض أنها تصرفت لاتمام فريضة عربية » . ان هذه الاشارات الاسلامية تكون سببا اذن على فتح قضية من طرف محاكم دواوين التفتيش التي تسعى الى جمع بقية الشهادات والتي عن طريقها تكتشف أنها : « قد أكلت كثيرا وفي عديد المناسبات اللحم يوم الجمعة والدجاج وأشياء أخرى ذبحت باليد وأنها ارتدت ثيابا نظيفة احتفالا بيوم الجمعة عوضا عن يوم الاحد » (247) .

لقد كان الموريسكي يحس احساسا عميقا بانه ينتمي الى مجتمع يختلف تماما عن المجتمع الذى يراد ادماجه فيه . فهو ليس فقط من عالم مغاير ، ولكن أيضا في الطرف المقابل : وبعض الملابسات العفوية كانت موحية بمثل هذه الاوضاع . من ذلك أن جوان قونزالاز (Juan Gonzalez) في سنة 1597، كان مارا بكالارا (Calera) : وعندما كان متوجها نحو بيت ليطلب التصدق عليه ببعض قطع نقدية ، أطلقت عليه الكلاب . ونتيجة لذلك لم يتمكن من اخفاء غضبه صابا لعناته ضد المسيحيين ، وقد صاح : « يمكن أن نقول ان قانون المسيحيين هو قانون الكلاب » . وقد أضاف قائلا : « ان العاهر هو ذلك المتمسك بقانون لمسيحيين » ، على أن الحلم الذى يداعبه بالانتقام كان في نفس كبر حجم ضعفه في تلك اللحظات ، وقد رفع صوته قائلا : « انه يأمل أن يحمله الشيطان الى بلاده (الجزائر) وأنه سيحرق كل المسيحيين الموجودين هناك » (248) .

أما جورج دو بيرالطا (Georges de Peralta) البائع المتجول ، فكان ينتقل من قرية لاخرى ، عارضا بضاعته على السكان . وعندما كان خارجا من أحد المنازل مغتما لانه لم يشتر منه شيء ، اشتكى وكان يعتقد أن ليس

(246) A. H. N., Inq., leg. 197, nº 17.
(247) A. I. C., leg. 232, nº 2947 A.
(248) A. H. N., Inq., leg. 192, nº 3.

أحد وراءه يسمعه : « وكعلامة على شكايته وتعجبه صاح « يا محمد » عندما هرول ، مطلقا ساقيه للريح ، والاشخاص الذين سمعوه حصلت لديهم فكرة سيئة عليه ، باعتبار أن ذلك يعد علامة على معتقده المحمدى » (249) .

وفي مناسبة أخرى صرح أحد الموريسكيين انه اذا نزل كل مزارعي قشتالة من كاين (Caïen) فانه هو وعائلته سينزلون من أبال (Abel) (250) .

ان وحدة الاحساس بالانتماء الى مجموعة مخالفة ، معادية للتى تشملهم ، تتجلى في الحالات التي هرب أصحابها الى ديار الاسلام . ودور وثائق محاكم دواوين التفتيش تضم كثيرا من القضايا التي تتهم الاشخاص الذين كانوا يسعون للهروب نحو الايالات المغربية ، وأوقفوا وتم سجنهم (251) .

وللوصول الى أرض المغرب ، توجد ثلاث طرق محتملة ، أولاها : هي تلك التي تمر من أراقون وفرنسا ، وهو الطريق الذى رغب في توخيه ماتيو باريز (Matheo Perez) وافراد عائلته : « لقد قرروا جميعا أن يتحولوا الى مملكة فرنسا ومنها يذهبون للاستقرار في المغرب تحت ظل قانون محمد » . وهذا الطريق يؤدى عموما الى البلاد التونسية (252) . أما الطريق الثاني فيمر من كارتاجان (Carthagène) أين يتم الابحار ليلا نحو الجزائر : وبدرو ماتيناز وزوجته ، أخذا سنة 1567 عندما كانا على وشك الابحار قرب كارتاجان . اما اذا كان التوجه نحو المغرب الاقصى ، فان المستعمل هو الطريق الثالث الذى يبدأ انطلاقا من الساحل الجنوبي لجزيرة الاندلس (253) .

أما الاشخاص الباقون وهم الاحباب والاصدقاء ، فانهم يحسون بالتضامن مع من تمكن من الهروب ولوب هارننداز سوف تحكم عليه محاكم دواوين التفتيش لانه صرح أن أخاه قد اجتاز من الضفة الاخرى للبحر ليضمن انقاذ زوجه ، وانه سيرجع من جهة البحر مع عرب آخرين وأنهم أمسكوا كثيرا من المسيحيين » . على أن محاكم دواوين التفتيش سوف تؤول جيدا أقواله : « انه كان يشرح بوضوح مظهر العداوة والحقد الذى يحمله ضد المسيحيين والفائدة التي يحس بها تجاه قانون العرب » (254) .

ان هذا الاحساس بالانتماء الى « الطرف المقابل » سيكون أكثر قوة خلال السنين التي سبقت الطرد النهائي . ويمكن أن نلمس ذلك في هذه

---

(249) A. H. N., Inq., leg. 196, n° 17.
(250) A. H. N., Inq., leg. 198, n° 1.
(251) تستوجب دراسة هذه القضايا ، دراسة منهجية .
(252) A. H. N., Inq., leg. 196, n° 19.
(253) A. H. N., Inq., leg. 2603 I.
(254) A. H. N., Inq., leg. 193, n° 20.

الاغنية التي انتشرت باراقــون ثم بقشتالة ، وكان يلقيها أحــد الموريسكيين ـ وبالتحديد من أراقون ـ يعلم فيها أحد أصدقائه الطليطليين ، وهذا قبل عدة شهور من الطــرد :

قــالوا انــه وجب علينــا أن نرحــل

نحــن أيضــا مــن هــذه الارض

نحــو تلــك الارض الطيبـــة

أيــن الــذهب والفضـــة الرقيقـــة

يوجــدان مــن جبــل الى جبــل

انهــم يهددوننــا بالطـــرد

لنــذهب كلنــا الى هنـــاك

أيــن توجــد جماعــات العـــرب

وأين توجــد كــل الخيرات هنـــاك » (255)

تعبر هاته الاغنية جيــدا عن الامل الذى كان يسكن قلوب الموريسكيين : وهو ملاقــاة اخوانهم « العرب » والاكتفــاء أخيرا بكونهم مجموعــة تزينت في نظرهم بكل الاشكال العجيبـــة ، فارض الاسلام هـــي بالنسبة اليهــم الارض الموعودة وحيث ستكون لهم طبيعة وطيبة وانهم يفكرون في العثور عما كــانوا محرومين منه في اسبانيا .

وهذه الفكرة هى التى حددهــا مؤلف مخطوط 52 الذى كتـــب بعد الطرد ، وحيث كان الرحيل من اسبانيا يوازى ما حصل لليهود ، لحظة مغادرتهم مصر للوصـــول الى الارض الموعودة : « لنشكــر العناية الربانية التى أعتقتنـــا من سلطة الفراعنة ومن القائمين على محاكم دواويـــن التفتيش ، أصحاب البـــدع الملعونين ، وهذا دون أن يفتح في وجوهنا البحر ، كنا قد وجدنـــا أنفسنا على هذه الارض الموعـــودة حيث يحســـن ستقبالنـــا » (256) .

ان التمييـــز بين المجموعتين داخل اسبانيـــا نفسهـــا ، يمثـــل في الواقـــع المواجهة بين عالمين اثنين . وقد ظهر ذلك في المناقشات التي تمت حول الاحداث السياسيـــة المعـــاصرة ، فاذا كان المسيحـــي يهنـــيء نفسه بالانتصارات التى حققتها الجيوش الاسبانية على « الكافر » ، فان الموريسكي يحزن لذلك ، وعلى العكس ، فان الموريسكي يفـــرح عندما يكون الطـــرف المقـــابل يتأسف لنكسة لحقت بـــه .

---

(255) **A. H. N.**, Inq., leg. 196, n° 4.

(256) **R. A. H.**, ms S 2, f° 13 V. توجد ترجمة فرنسية لاحد اقسام هذا المخطوط كان قد قام بها

Henri Pieri, **Ibla,** t. XI, Tunis, 1968, pp. 65 - 70

ونفس هذه الفكرة عند Fonseca. **Relacion ... op.cit.,** p. 98

وعندما كانت تثار نكسة الحملة الثانية للاسطول الملكي « الراسي في الجزائر ضد العرب ، أعداء ديننا المقدس » وتعزى تلك النكسة الى رداءة الاحوال الجوية ، كان الموريسكي النسو دياقو دوسانتا كروز قد أظهر الفرح وصاح : « كيف لا يكون الطقس رديئا وهم عازمون بتحولهم الى هناك على نهب هؤلاء المساكين والشهداء الذين يعيشون في الجزائر ، وقد صرحوا بذلك للعرب ؟ » (257) وكان هذا في سنة 1542 ، أى في السنة الموالية لنكسة أسطول شارل الخامس الموجه ضد الجزائر . وفي قضية أخرى اتهم دياقو الطليطلي (Diego de Toledo) أنه انحاز الى الاتراك والفرنسيين وأنه كان يعبر عن ابتهاجه خلافا للمسيحيين : « هذا بسبب الاهمية التي كان جعلها وما زال لدين محمد ، وكلما كان الامر يتعلق بانتصار يحققه الامبراطور شارل الخامس على الاتراك والعرب ، كان يبدى كآبته ويظهر غمه ويقول أن ملك فرنسا سوف يتدارك ذلك ، اما اذا تعلق الامر بتسجيل العرب انتصارا ضد الامبراطور ، فانه يعبر عن عميق سروره ، وكان يكثر الكلام باعجاب عن الاتراك والعرب ، غير أنه عندما يمنع من القيام بذلك ، يرجع الى بيته في حالة هيجان كبير » (258) .

كذلك ، في سنة 1601 ، أحيط موريسكيو بلنسية علما أن أسطول جلالة الملك ، يتهيأ للقيام بحملة ضد الجزائر ، وقد سارعوا باخبار « الافارقة المغاربة » . وقد أقاموا ، بعد نكسة الحملة ، بحفلات كبيرة : « وكانوا يشكون أن أسطول جلالته قد اجتمع للهجوم على الجزائر ، وعليه قام الموريسكيون بارسال زورق لاحاطة الافارقة بهذه الحملة . وعندما فشلت الحملة ، أقاموا جميعا في اسبانيا حفلات رقص كبيرة » (259) .

واذا كانت نكسة ليبانت (Lépante) قد أحزنت الموريسكيين ، فان فتح تونس وحلق الوادى من طرف الاتراك (1574) قد سرهم . وكانوا يعلقون على هذه الاحداث حتى في القرى النائية باراقون وقشتالة ، وفي حين كان القرويون من المسيحيين لا يهتمون بهذه الحوادث ، كان الموريسكيون يتابعونها بأهمية بالغة جدا : ففي تقرير لحاكم دواوين التفتيش كان قد حرر في بداية سنة 1575 ، لوحظ أنه في كارينانا (Carinena) وضواحيها أن الموريسكيين أبدوا فرحهم وحبورهم وعندما سأل أحد الموريسكيين : « لماذا أنتم في غاية الفرح » رد الموريسكي أن ذلك بسبب نجاح استيلاء الاتراك على أحد قلاع ملك اسبانيا ، وقد ذكر له اسم هذه القلعة ، ولم يتذكر السائل اسم القلعة . ولما سألوه هل الامر يتعلق بحلق الوادى أو تونس أو قلعة أخرى ، ذكر أنه لا يتذكر ذلك » (260) .

(257) A. H. N., Inq., leg. 192, n° 4.
(258) A. H. N., Inq., leg. 191, n° 32.
(259) Guadalajara y Xavier, Prodicion...op.cit., f°5 r°.
(260) A. H. N., Inq., leg. 4529 II.

ان هذا التحالف مع الاتراك كان ، في الحقيقة ، امرا واقعا ، ويتجلى ذلك بصورة ملموسة على الساحل الاندلسي الذى كان باستمرار ، يرد على الهجمات ، وقد ذكرت احدى رسائل محاكم دواوين تفتيش غرناطة ، قصة ذات مغزى كبير ، وكانت حوادثها تدور في شهر سبتمبر 1566 حيث كان جابي محاكم دواوين التفتيش والمأمور القضائي والعدل الموثق يجوبون في أسقفية كادس (Cadis) والمرية (Almeria) لتنفيذ أوامر الحجز أو ايقاف المتهمين . وقد قضوا الليلة في أحد نزل مدينة طابرناس (Tabernas) وبرفقتهم احدى الموريسكيات التى أوقفوها في قرية مجاورة لبنيكانون (Benicanon) . وأثناء الليل ، وقبل ساعة ونصف من شروق الشمس ، استفاقوا نتيجة صياح عال وضجيج « طبل تركي وأبواق » وطلقات المدفعية . وكانت الضوضاء تقترب من مسكنهم : وكان يقود الاتراك أحد مواطني القرية وحيث صاح فيهم : « ان أصحاب محاكم دواوين التفتيش موجودون هنا » ولم يكن لهؤلاء الا الهروب ، من السطوح في غسق الظلام : « لقد هربنا عراة ، بدون أحذية ، بوشاح دون كم » . أما الاتراك فقد غادروا المكان ، من جهتهم ، في الصباح ، حاملين معهم أسلحة وأمتعة وأحصنة المفتشين ، وقد انضم اليهم 99 موريسكيا من القرية وكذلك 43 مسيحيا ، أخذوا كاسرى وأجبروا على مغادرة القرية على الرغم منهم (261) . على أن هناك موريسكيين آخرين كانوا قد عذبوا وهذا بسبب الشك الذى شاع حول احتمال علاقاتهم بالاتراك : وهذا كحالة هؤلاء الموريسكيين الموجودين بالسجن ، وقد صرحوا : « برغبتهم في التحول الى « الايالات المغربية » وحيث كان العرب هناك يدعون أنهم سيقومون بهجوم على هذه المملكة » . الا أن أحد المسيحيين الذى كان يسترق اليهم السمع ، قد وشى بهم الى محاكم دواوين التفتيش (262) .

ان هجمات القراصنة على السواحل الاسبانية هو في الغالب من عمل الموريسكيين المرتدين الذين التجأوا الى الجزائر . وكانوا يصنعون في شارشال (Sargel) على بعد عشرين فرسخا من الجزائر العاصمة ، بعض السفن الشراعية أو فرقاطات من الخشب : ونظرا لكون أطهم من اسبانيا، فانهم كانوا يعرفون السواحل ويستطيعون استعمال كثير من الحيل لانجاح حركتهم القرصنية : وكانوا في الغالب على اتصال بأقربائهم أو أصدقائهم الذين تركوهم باسبانيا . وكانوا ينزلون ليلا بعد أن يقوموا باخفاء سفينتهم الشراعية أو طمرها بفضل مقبض ، ثم ينزلون مرتدين لباسا مسيحيا ، حيث لا يتعرف عليهم وهذا بسبب اتقانهم اللغة القشتالية . وكانوا بذلك يفاجئون المسيحيين ويأخذونهم كاسرى ويبيعونهم كعبيد بالجزائر (263) . وقد لخص

(261) A. H. N., Inq., leg. 2603 II.

(262) المصدر نفسه .

(263) Haedo, Topographia ... op.cit., t. I, chap. 23, pp. 91 - 92.
راجع ايضا الفصل رقم 21 ، ص 78 — 89 .

هيدو الوضعية : « انهم بهذه الطريقة ، يخربون سواحل اسبانيا ويعتبر الموريسكيون هم السبب الرئيسي لذلك ، ذلك أن الذين يسكنون منهم اسبانيا يعتبرون أكثر عروبة من الذين يقطنون بالايالات المغربية ، وكانوا يستقبلون اخوانهم ويحيطونهم علما بكل ما يرغبون في معرفته » (264) .

على أن هناك موريسكيين آخرين ، يرجعون الى اسبانيا بأمل اثارة الفوضى في البلاد : فلوى البواسن (Luis Alboacen) أحد موريسكيى المونيكار قد هاجر الى بلاد الجزائر ثم قفل راجعا الى بلنسية صحبة بعض المرتدين وحاول أن يثير انتفاضة موريسكية . غير أنه مسك به وحكم عليه ثم سلم الى السلطة المدنية ليعدم حرقا سنة 1562 (265) .

واذا كانت هذه المواجهة سياسية فان لها بعدا دينيا عميقا . ذلك أن المسيحيين الذين كانوا مقتنعين بانه خارج الكنيسة الكاثوليكية لا يوجد أى سلام ، فانهم يرغبون في انقاذ روح الموريسكيين بأى ثمن . وفي التحقيق الذى حرره الوكيل ، كان هذا الاخير يتهمهم دوما بعدم الاهتمام بانقاذ أرواحهم مستعملا هذه الصيغة : « يرفضون خشية الله ولا يهمهم الا انقاذ أرواحهم » (266) ومع هذا فان الموريسكيين كانوا أساسا مهتمين بمشكل النجاة ، وفي بعض الاحيان وفي عدد من الحالات ، يصل بهم الامر الى القلق . وكمثال على ذلك نذكر حالة والد لوى دو سبوا (Luis de Cebea) الذى لم يكن حتما الاستثناء لذلك : لقد أحس بقرب ساعة أجله بعد طول مرض ، بكثير من التخوف ، وحيث كان طوال حياته يمارس دينا ليس دينه ومع هذا فقد بقي في أعماقه يحتفظ بايمان دين أجداده ، غير أنه الآن يتساءل « ما هو الدين الحقيقي الذى وجب عليه أن يلتجىء اليه أدين المسيحيين أو العرب وعلى أيهما سيموت ؟ » . وعليه فقد جلب اليه قرب سريره ابنه وعائلته وأصدقاءه وحثهم على أن يموتوا كما كان يعيش : « وقد ذكر لهم لوى دو سبوا أن يموتوا كما كان يعيش على دين محمد ، وان هذا هو الطريق السوى للذهاب الى السماء ، وقد جلبوا اليه عربيا مثقفا جدا في الدين ليساعده على الاحتضار » (267) .

وعندما يسعى أحد الموريسكيين لاقناع أحد أصدقائه بالبقاء وفيا للاسلام ، يهدده ، قبل كل شيء بدخول جهنم . وهذا ما حدث لفرنسسكو القرطبي (Francisco de Cordoba) الذى ذكر في أحد أحاديثه أنه سيترك دين المسيح الاعمى ، وأنه لو يتخلى عن هذا الدين ، فانه سيذهب الى السماء وغيره الى جهنم » (268) . وهذا ما حصل أيضا لأنا دو كوانكا

(264) سيأتى ذكر ذلك فى الفصل الثانى من هذا الكتاب .
(265) Llorente, **Historia ... op.cit.**, t. IV, p. 285.
(266) **A. H. N.**, Inq., leg. 191, n° 32.
(267) **A. I. C.**, leg. 250, n° 3383.
(268) **A. H. N., Inq., leg. 192, n° 4.**

التي قالت لذويها (Ana de Cuenca) : « وجب عليكم صيام ثلاثين يوما في شهر رمضان ، اذا رغبتم في انقاذ أرواحكم » (269) .

وقد اتهمت محاكم دواوين التفتيش بعضهم بأنهم سعوا لانقاذ حياتهم خارج الكنيسة ، وهذا من شأنه أن يزيد من تفاقم وضعية المتهم . وقد اتهمت ايزابال دو لينان (Isabel de Linan) « بأنها اعتنقت دين محمد اللعين والضال ، لايمانها بانقاذ روحها » (270) .

وقد أظهر الموريسكيون تجاه المسيحيين نفس الاستثناءات : اذ هم وحدهم الذين سينقذون أرواحهم . من ذلك أن مسيحيا قال لفرنسسكو لوباز (Francisco Lopez) أنه وجب عليها شكر عناية ربها الذى هداها لاعتناق المسيحية يوم تعميدها : « لان كل العرب الذين لم يعمدوا ، سوف لن يذهبوا الى السماء » . وقد ردت عليه ان الله لم يقل شيئا من هذا القبيل وانه على العكس قد وعد الجنة للذين يعتنقون الاسلام وأن هؤلاء وحدهم ، هم الذين سينالون ذلك . فكلاهما يريد أن يضمن النجاة بأفضل وسيلة ممكنة . وقد علمت ماريا جاركينا (Maria Jarquina) ; لبعض الموريسكيين أفضل دعاء قرآني : « لا الاه الا الله » ويكفي ، كما تدعي ، أن يقال ذلك لانقاذ الروح : « والعفو عن كل الجرائم ولو وصلت الى عدد نجوم السماء وحبات رمال البحر والنباتات في المروج » (271) .

ان الحق بالنسبة للموريسكيين أو المسيحيين هو نفسه بالنسبة للبروتستانت أو اليهود . ففي سنة 1568 بكوانكا حاول أحد الفرنسيين من بايون (Bayonne) جوان فرنساس (Juan Francés) أن يبشر بالمذهب البروتستانتي ، وكان يقول بأن مذهبه هو الافضل وأنه عن طريقه تتم النجاة » (272) . وفي نفس هاته السنة ببرلنقا (Berlanga) اعتنق أحد الموريسكيين اليهودية ، ولا بد أن نذكر هنا أن هذا الحادث يعد استثناء خاصا ، وكان هذا الموريسكي يؤمن انه سيجد في هذا الدين نجاة روحه ، وأكد : « ان الدين اليهودى طيب وأنه عن طريقه سوف ينقذ روحه » (273) .

وعلى ضوء ذلك كان للمسيحيين والموريسكيين واليهود والبروتستانت نفس المشاغل ، وتتمثل في النجاة الأبدية . وقد تعارضوا فقط في الطريقة التي بواسطتها يتحصلون على الجزاء الاكبر . وهذا هو السبب الجذرى لمواجهة بعضهم البعض : وكل واحد منهم يعتقد أن دينه هو الوحيد الذى يضمن له النجاة . ان الالحاح على أهمية هذا العامل الدينى في مواجهة المسيحيين والموريسكيين لا تدفعنا ، دون شك ، الى التقليل من أهمية العوامل الاخرى سياسية كانت أو اقتصادية والتي تشرح أيضا هذه المواجهة .

(269) A. I. C., leg. 369, n° 5198.
(270) A. I. C., leg. 369, n° 5114.
(271) A. I. C., leg. 378, n° 5356.
(272) A. I. C., leg. 245, n° 3279.
(273) A. I. C., leg. 243, n° 3256.

الفصل الثاني

الموريسكيون ودواوين محاكم التفتيش

1 ـ « التقيـــة » دفاع الموريسكيين ضد ديوان محاكم التفتيش :

لم تكن المواجهة الجدليـــة ممكنـــة أصلا بين المجموعتين في اسبانيا خـــلال القرن السادس عشر ، فدواوين محاكم التفتيش كانت ترفـض كـل تســامح وحوار ، ولم يبق للموريسكيين كاجراء وقائي ، الا اخفاء معتقداتهم والدخول في جـدل متستـر .

وبالاضافة الى ذلك ، فان الاســلام يسمح لأتبــاعه بعدم اداء واجباتهم الدينية في ظروف قاهرة أو خشية الحاق مضرة كبيرة للشخص . ومع هذا فان المؤمن وجب أن لا يعرض حياته للخطر ، الحياة التي تمثل أهم وأكبر نعمـــة وهبهــا المولــى للانســان ، وعليه فانه من المشروع انقاذها « حتى ولو كان الشخص المهدد بخسارة حياته ، سيؤديه ذلك الى وجـوب التنكـر للقضيــة التي يرغب في الدفاع عنها » (1) ونجد مصدر هذا التسامح الذى منح للفــرد في القرآن الكريم . « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمــان ولكن من شــرح بالكفــر صــدرا فعليهـم غضــب من اللــه ولهـم عــذاب عظيــم » (2) .

« ان التقية » الاحتياط او « الكتمان » وهو الحذر والسرية هي بالذات الكلمات التي تشير الى الفعـل الذى بواسطته ، يمتنع المسلـم ، الذى يعيش وسط بيئة أجتماعية عدائية ، عن ممارسة دينـــه متظاهرا باعتناق الدين الذى فرض عليه فرضا ، والمؤمن وجب عليه المحافظة على العقيدة الاسلامية فـي أعماقه. ان مذهب « التقية » هذا قد ظهر في القرون الاولى لظهور الاسلام وهذا بعد المصائب الاولى التي حلت بالمجموعة الاسلامية (3) .

---

(1) حســـب تعبيـــر الاستـــاذ ج . فارنيـــى (J. Vernet) فى مقالـــه :
« Un Alcoran fragmentario en aljamiado » in, **Boletin de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona, XXXIII**, 1969-1970, p. 44.

(2) سورة النحـــل ، الايـــة رقـــم 106 .

(3) وهذا ما يؤكـــده كلـــود كاهيـــن (Claude Cahen) فى كتابه :
El Islam desde los origenes hasta el Comienzo del imperio otomano, Madrid, éd. Castilla, 1972, p. 205.
وقد كتب بالفعل :« وسمى ذلك بالاذن او المجلس الذى يسمح باستعمال الكتمان المؤقت ، وكان الهدف منـــه تجنب مثل هذه المصائـــب التى حلت بالمجموعـــة ، دون ان يكون هنـــاك مغنم واضح » . كما نقرأ ايضا الصفحات التى خصصت لهذا الموضوع فى الاسلاميات الاستـــاذ ب . درسندرفـــار (P. Dressendörfer) فى كتابـــه :
Islam unter der Inquisition. Die Morisco - Prozesse in Toledo (1575-1610), Wiesbaden, éd. Steiner, 1971, p. 131.

راجـــع ايضـــا
F. M. Pareja, **Islamologie,** Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1957, pp. 825-826.

وانطلاقا من اللحظة التي تلقى فيهـا الموريسكيون التعميد بالقوة ، فـان المجتمع الذى شكلوه سوف يتحول الى جمعية ضخمة ذات طابع شبـه سرى ، وقد استمر الفقهـاء في مباشرة وظائفهم سرا (4) . ومع هذا فـان الموريسكيين طوال اقـامتهم باسبانيا ، قـد اكتسبوا الشعور بأنه وقع تغليطهم ، وقـد فهموا أيضا كيف أنه عن طريق هـذه « الاوامر الملكيـة » وبمجرد امضائها ، أريد القضاء على التقاليد العريقة . وكما ذكر المؤرخ الاسباني لوى دومـارمول كـارفاجـال (Louis de Marmol Carvajel) في تاريخه لثورة البشرات : « ان الداخلين حديثـا (في الديـن المسيحي) كانوا دومـا يشعرون بالحقـد تجـاه ديننا » (5) ، وانهم لم ينسوا أبدا ، انه في **اتفاقية غرنـاطة** ، التزم الملكـان الكاثوليكيان بالسماح للمسلمين بممارسة دينهـم الى الابـد ، « وأن أصحاب الفخامة ومن سيتولى بعدهم الحكم سوف يبقون الى الأبد ، الملك أو عبد الله والقواد والقضاة والمفاتي والفقهاء والرؤساء والرجال النبـلاء وعموم الشعب ، صغارا وكبـارا ، يمارسون عقيدتهـم وسوف لا تؤخـذ مساجدهم وصوامعهم ومـآذنهم » (6) .

ان مثل هذه الوضعية لا يمكن الا ان تحث على الكتمان ، الاشخاص الذين يجبرون على التنكر لمعتقداتهم الشخصية العميقـة . وهذا ما عبر عنه للورانت (Llorente) في كتابه (Historia Critica de la Inquisition en Espana) عندما كتب : « ان محاكم دواين التفتيش قد حافظت بل قوت مكرها ، عندما عـقبت فقط الاشخاص الذين لا يعرفون المكـر ، ولكنها لم توفق في تبديل ديـن أحد منهـم ، وهذا كما لمسنـاه عند اليهود والعرب الذين تـم تعميدهـم بدون اقتنـاع حقيقي ، وكان الهدف من ذلك هو البقاء في اسبانيا » (7) .

وفي الواقع فان هذا المشكل بالنسبة للموريسكيين ، قد وضع على الشكل التـالي : ما العمل للمحافظة على الاسلام وسط المسيحيين ؟ وقـد تجلى ذلـك مبكرا في اسبانيـا ، لدى موريسكيي غرنـاطة في أوائل القرن السادس عشر ، عندما أجبـروا على التعميـد والتمسـح . وبالتدقيق فان نـص الخماديا وهو مخطوط : Real Academia de la Historia de Madrid T 13
وهو عبارة عن جواب أحد مفاتي وهـران لموريسكيي وهران الذين استفتوه في ممارسة دينهم . وهـذه الفتوى صدرت عن المفتي أحمد بن جمعـة ، ومؤرخة بأوائـل شهر ديسمبر **1504** (شهر رجب **910**) . ان هذا المخطوط ليس سوى

---

(4) راجـع بخصوص هـذه النقطـة :
J. Caro Baroja, Los Moriscos del Reino de Granada, Madrid, Institutc de Estudios politicos, 1951, p. 102.
وكذلـك A. H. N., Inq. leg. 192-3.

(5) Luis de Marmol Corvojal, **Rebelion y castigo de los Moriscos de Granada**, B.A.E., tome XXI, Historiadores de Sucesos particulores, p. 157.

(6) لقد نشرت نصوص هـذه المعاهـدات من طرف مارمـول كارفاجال ، **نفس المصدر** ، ص 146 — 151 ، ما استثنيناه كان من الصفحة رقم 148 .

(7) **Llorent, Historia critica... op. cit.**, t. I, pp. 17-18. نجد عـددا من الصفحات الهامـة عـن الموريسكييـن في الجزء الثاني ، الفصـل 12 ، ص 250 — 290 وهـذه المعلومات تعد على الخصوص هامة لان المؤلف لورانت تمكـن من استعمال وثائـق محاكم دواويـن التفتيش ، والتي تعد اليوم في الضائع مفقود وليس في حكم المفقود .

نسخـــة الخمادیـــة من مخطوط عربي موجود في مكتبـــة الفـــاتيكان (مخطـوط بورجيـــانو (Borgiano) (8) ولا شك أن هناك ترجمات الخمادية لهذا النص تمت في عدد من الفترات باسبانيا : ونعرف حاليا اثنتين منها، احداهما التابعة لمدريـــد والثـــانية لمكتبـــة الميجـــان بـــاكس أون بـــروفنس (9) . وقـــد وضحتا أهمية هذا النص وانتشاره في القرن السادس عشر . وهاتان النسختان المؤرختـــان بـــ 3 ماى 1563 قـــد تمت على يـــد أراتونيين وقد اكتشفتـــا أيضـــا بأراقـــون .

ان محتوى هذه الفتوى ذو فـــائدة مضاعفة : فقد عثرنـــا بادىء الامر على تذكير لأهم القواعـــد الاسلاميـــة الاساسية الكبرى للاسلام ، وقـــد قدمت ليس بشكل نظرى ، ولكن بالرجوع الى الممارسة في وسط مسيحي . وقد جاء في هذه الفتوى تذكير بوحدانية الله والاعتراف بمحمد كرسوله ووجوب اقـــامة الشعائر الدينية والقيام بالزكاة والتطهر والامتناع عن شرب الخمر واكل لحم الخنزير، وكذلك منع المسلمات من التزوج بالمسيحيين .

وعلى اثر ذلك تناولت الفتوى مشاكل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين : ماذا وجب على الموريسكي القيام بـــه كلما أجبر على التنكر لعقيدته وممـــارسة أخرى ليست لـــه ؟ وقد درست عدة حالات وفي كل مـــرة نجد الجواب التـــالي : اذا كان المسيحيون مثلا يجبرون المسلمين على سب الرسول ، فانه وجب عليهم في هذه الحالة تسميته بحمد (Hamed) شأنهم في ذلك شأن المسيحيين ، وكذلك عدم ربطه بأنه مبعوث من عنـــد الله ، ولكن بالشيطان او بشخصيـــة يهوديـــة باسم محمد (10) : « اذا طلب منك ثلب محمد ، فانك تنجزه تحت الأمـــر ولكن بنية أن تربط ذلك بشرور الشيطان أو حمد اليهودى » .

أما ما يتعلق بالصلاة ، فـــان الموريسكي المجبـــر الى التحول الى الكنيسة في نفس الساعة التي وجب عليـــه أداء صلاته الاسلامية ، فانه في هذه الحـــالة يعفى من أدائهـــا وتحسب عليه وكأنه أداها تماما ووجهته نحو مكـــة . أما اذا تعذر عليه أداء صلاته في النهـــار ، فباستطاعته تأديتهما في الليل . ان التطهـــر لأداء الشعائر هو الآخر يمكن أن يعوض : وهذا وفقا للملابسات ، كالغوص في ماء البحر او مسح الجسم بمادة نظيفة ، ترابا أو خشبـــا . واذا أجبر الانسان على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير ، فبامكانه القيام بذلك ، ولكن بشرط ان يعتبـــر ذلك فعـــلا فاحشا ويدخـــر لنفسه حسن النيـــة . وأخيرا فـــان المشكـــل الاساسي هو التالي : اذا كان الموريسكيون قد أجبروا على التنكر لعقيدتهم ، فانه يجب عليهم أن يكونوا مراوغين في أجوبتهم ، واذا ضغط عليهم فانه يجب عليهم ، في أعمـــاق أنفسهم انكار مـــا أجبـــروا على التصريح بـــه (11) . واذا أجبرتهم على التنكر لدينهم فليس بامكانهم المراوغة ، فليفعلوه على ان يبقى

---

(8) لقـــد شـــرح ذلـــك الاستـــاذ هـــارفى في مقالـــه :

« Crypto-Islam in XVI^e Spain », in, **Actas del Congreso de Cordoba**, 1962.

وقبل هـــارفى نشر هذا النص من طـــرف :

P. Longas, **Vida religisa..., op. cit.**, pp. 305-307.

(9) Aix-en-Provence, Bibliothèque Méjanes, ms 1223, fos 130-138.

(10) **R. A. H.**, ms. T 13, f° 31 r°.

(11) **R. A. H.**, cit supra, f° 31 r°.

ضميرهم متمسكا بالعقيدة ومحتقرا لكل الأشياء التي يجبرون على التصريح بها .

وعلى ضوء ذلك، فاننا نملك مجموعة من القواعد المرتبطة مباشرة بالضمير والتي تمكن الموريسكيين من كل التسهيلات للمحافظة على عقيدتهم ، والدين الاسلامي لا يسعى أن يجعل منهم شهداء ولا شهود العقيدة في وسط المسيحيين، ولكن يطلب منهم فقط أن يبقوا مخلصين في ضمائرهم . وقد تكرر هذا المبدأ طول الوجود الموريسكي باسبانيا : من ذلك فان الفارو دو قرطبة (Alvaro de Cordoba) هذا المكافح القديم في حرب البشرات ، قد نفي الى طليطلة بعد الهزيمة ، وقد نقل الى مواطنيه آراء فقيه كان قد تعرف عليه في سيرا (Sierra) ودعاه للاستمرار في ممارسة الشعائر الاسلامية سرا وسط المسيحيين : « ففي الحرب اثناء انتفاضة الموريسكيين ، ادى الصلاة وجعل عربيا يقوم بها أيضا ، وأن الفقيه بحضور الشخص الذى يؤديها ، كان يقول انه وجب أداؤها ليلا ، على أرض المسيحيين » (12) .

وبفضل هذه الحالات الضميرية ، كان بامكان الموريسكيين الذن الاستمرار في ممارسة شعائر الاسلام سرا ، وأداء أوامر الكنيسة الكاثوليكية وكأنها التزامات اجتماعية عادية . ولكن الا يقال ان مثل هذا الموقف هو بالذات نفي للجدل والذى يفرض حتما المواجهة ؟ وبالفعل فاننا اكتشفنا هنا احد مميزات الجدل الموريسكي : وهو ليس مباشرا ، ذلك أن الفترة الزمنية لا تسمح به ولكن وجوده مخفي . وسيظهر هذا الجدل في النصوص التي سوف توزع تحت المعاطف وايضا من خلال آلاف المناسبات للحياة اليومية والتي سيكون من العسير تجنبها أو تغطية مذهبها الحقيقي . ودواوين التحقيق كانت هناك لتعاقب هذه الحالات البينة جدا أو لشرح مؤشرات المعارضة الى الاندماج الذى اقترحه المجتمع المسيحي .

وحتى تكون الصورة مكتملة يجب اضافة أنه لا توجد « فنون » أخرى تقترح حلا اكثر تجذرا ، وهذا بدون أن تتم دعوة الموريسكيين الى التضحية . وفي هذا النص ، ذى البعد المحدود ، فانه يبدو أن الونشريسي يرد على المسلمين الغرناطيين الذين سألوه عن احتمال رجوعهم الى أرض الاسلام أو أن البقاء في أرض الكفار (اسبانيا) يعد خطأ كبيرا ؟ وقد أباح لهم هذا الرجوع وكأنه واجب ديني (13) .

إن اكثر الموريسكيين قد اختاروا البقاء بعد ان التجأوا الى « التقية » التي اتخذوها وكأنها أملهم الوحيد للنجاة وطريقهم الوحيدة للحفاظ على الحياة في اطار المجموعة المسيحية . وهذا ما جعل أحد الموريسكيين المتجئين الى تونس وهو مؤلف مخطوط رقم 9653 والموجود بالمكتبة الوطنية بمدريد يذكر انهم : « اضطهدوا امتنا الاندلسية بالسجون وبالتعذيب والقتل ومع كل هذا ، فإن اتباعنا قد حافظوا بشدة على عقيدتهم الصادقة وتظاهروا باتباع عقيدة

---

(12) A. H. N., Inq. leg. 192-3.

(13) لقد درس هذا الجواب الفقهى للونشريسي من طرف حسين مؤنس فى مقاله المنشور فى :
وقد رنته بموجز باللغة الاسبانية فى نفس العدد ص 273 — 275 .

اخرى ، في حين ان قلوبهم تؤمن بشيء آخر ، وهذا ما جعلهم يسخرون من حماقاتهم ومن ضعف عقيدتهم المعروفة جدا لدينا » (14) .

على ان الموريسكيين قد يتخذ تجاههم القوة لحضور الطقوس الدينية وعلى الخصوص صلاة القداس . وعلى هذا الاساس فإن موقفهم لن يكون موقف الورع والنسك . ونفس هذا الموريسكي عبر عن هذا الموقف في مخطوطة أخرى تحت رقم 9654 : تلك هي قوانين المسيحيين وهي التي تحت نظرنا ، ونمارسها وأننا في بعض الاحيان نتظاهر باتباعها . غير ان الله يعلم أننا من أعماقنا نسخر منها عندما نشاهد رفع القربان أو لمس الصدر » (15) .

ودواوين محاكم التفتيش وكذلك القساوسة ، لم يكونوا مغفلين هذه الوضعية : والتهمة التي تكررت بشدة ضد الموريسكيين ، كانت بالتحديد هي التالية : « إخفاء معتقداتهم بفن وخبث » (16)، كما أخذوا أيضا بممارسة الديـن الكـاثوليكي « لتنفيذ الاوامر بذلك فقط » وهذا لا يعني سوى القيام بالتزام اجتماعي ليس غير . وعندما يتضـح ان موريسكيـا بهذا الشكـل ، يعد شخصا مدنسا ، مع كل ما يستوجبه ذلك من ظروف مشددة للعقوبة ، وقد امتثلت ايزابال دوليِنان ((Isabel de Linan) سنة 1608 أمام محاكم دواوين التفتيش بكوانكا نتيجة هذا الاتهام : « لقد انتهكت عددا كبيرا مـن الحرمـات ، كلمـا تنـاولت القربـان أو ادعت متظـاهرة بالقيـام بهـذا الواجب المقدس وباعترافاتها ، وتناولها لقربان كل سنة على أساس أن ذلك واجب اجتماعي ، وهي بهذا ، تخفـــي ارتدادهـــا عن طريق هــذه المظـــاهر المسيحيـــة » (17) .

وتوجد عدة قضايا تشتمل على صيغ من هذا القبيل : « وعلى الرغم من أقوالهم وتصريحاتهم بأنهم مسيحيون ، فانهم ليسوا كذلك بقلوبهم » (18) أو هذه الصغة الثانية : « كانوا على وشك ان يصبحوا متحمسين للعقيدة » (19) أو هذه الصيغة الاخرى : « كانوا يقترفون اشياء وجرائم لا يذكرونها ويخفونها بخبث » (20) . وتوجد حالة مهمة متعلقة بهامت ((Hamete)) وهي الراجعـة لاليـاس لـورانـزو انـريقـاز (Alias Lorenzo Enriquez) الـذى أسر في عرض البحر على السواحـل الاندلسيـة سنة 1620 . وقد مثل أمام محاكم دواوين التفتيش بطليطلة وقد ذكر قصتـه بكل تلقـائية : فهو أثناء فترة الطرد ، تحول الى فرنسا ، صحبة الاراقونيين ، اقلع من أكد (Agde) في اتجاه تونس . ومن هناك ذهـب ليستقـر بالجزائـر ، غير أنه في مقره الاخير سعى الى امكانية رجوعه الى وطنه . ونظـرا للتهمـة الموجهـة اليـــه باحتفاظه بلسانه العربي والاعتراف لنا بانتمائه الى « ملـة محمـد » في حين أنه عندما كان اسيرا ، وسلم كعبد الى دون جوان دوكاردناس (

(14) B. N. B., ms. 9653, f° 16 r°.
على اثر ذكر Saavedea ، سوف نصطلـح على ذكر مـؤلف هذا المخطـوط بالشكـل التالـي : (Refugiado en Tunez)

(15) B. N. M., ms 9654, f° 14 r°.

(16) A. H. N., leg. 192, n° 2.

(17) A. I. C., leg. 269, n° 5214.

(18) A. H. N., Inq. lef. 195, n° 26.

(19) A. H. N., Inq. leg. 193, n° 6.

(20) A. H. N., Inq. leg. 193, n° 7.

(Don Juan de Cardenas) صرح بانه لم يكن مطلقا مسيحيا ، وانه على ضوء ذلك لا يمكن أن يتهم بالارتداد عن دينه ، وانه قبل الطرد ، يعتبر نفسه مسيحيا غير صادق ، لان قلبه ما زال محتفظا بعقيدة محمد » (21) .

وكلما كان احد العرب يناقش فدية نفسه ، فانه وجب عليه ، ليتمكن من الالتحاق بأرض الاسلام ، القيام باجراء امام محاكم دواوين التفتيش لتمكنه من تسليم « وثيقة بطلب من المعني بالامر » للالتحاق بوطنه ، وهذا نوع من جوز السفر يؤكد على ان هذا العربي لم يكن مسيحيا ابدا (22).

إن محاكم دواوين التفتيش سوف تبقى بالاضافة الى ذلك قاسية مع المرتدين حيث أوخذوا تماما على استمرارهم في التخفي والتستر . ان هؤلاء « الممارسين المتظاهرين » كثيرا ما سلموا الى السلطة المدنية : وحيث كانت المحاكم تصرح ضدهم بأقسى العبارات والاوصاف : انهم كالكلاب ، يتناولون من جديد ما كانوا قد تقيأوه ، او « أنهم كالعرق ينمو على الرغم من بقائه حيا في قلوبهم » ، او : « (العربي) يعتبر عضوا عفنا ، جافا وميتا وانه وجب قطعه ورميه خارج الكنيسة الكاثوليكية » (23) . وتفسر هذه الحدة بيأس محاكم دواوين التفتيش بإقناعهم . وهي على ضوء ذلك سوف تكون فظيعة جدا كلما تأكد لديها انها امام « التائبين المرتدين » . وفرنسسكو بلانكو (Francisco Blanco) قد « أحرق بعد موته » لهذه الاسباب (24) .

وقد شرح الموريسكيون جيدا كيف ان « التقية » كانت موقفا سياسيا وفقا للملابسات التاريخية ، ولكنهم اضافوا ، ان ذلك لم يكن في أى حالة من الحالات موقفا يبرره التسامح العقائدى : فالشيء يكون صحيحا أو خطأ في ذاته مهما كانت موقف الاشخاص الذين يتخذونها تجاه الحقيقة أو الخطأ .
وعليه الم يذكر جوان النصو اراقوناس (Juan Alonso Aragones) أن عقيدة التثليث تتمثل في ان المسيحي أكد بقوة على صحة العقيدة ، دون ان يؤمن هو نفسه بذلك ، ويعتبر ذلك كذبا : « لانه يصرح بذلك على لسانه ، غير ان قلبه يؤمن بضده ، وهذا يعتبر على أية حال ، كذبا » (25) . ومن جهة أخرى صحيح أنه لا يوجد غير الله الاها « واذا صرح به مسلم ، فان ذلك يتوافق مع ما في ضميره ، واذا صدر ذلك عن ملحد ، فانه ضد ما يؤمن به ، وعلى أية حال فتلك هي الحقيقة » .

ان ممارسة « التقية » لا يمكن اذن ان تشوه عمق حقيقة العقيدة الاسلامية ، الا أنها من جهة اخرى ستشوه إحساس الموريسكي الاخلاقي ، والذى يمكن بسبب تعوده الاقامة ضمن المسيحيين ، ان يعمل على اخفاء المعتقدات التي لا يؤمن بها . من ذلك ان خوان النصو اراقوناس قد حذر إخوانه الملتجئين الى تونس ، من مغبة الخبث والرياء : وانه وجب عليهم ان يجنبوا انفسهم كل أثر للمعتقدات المسيحية ، والتي رسخت فيهم في اسبانيا ، وتحت طائلة اللعنة « فإن الله سيطالب بحساب دقيق ، الملحدين

(21) **A. H. N.**, Inq. leg. 193, nº 10.
(22) **A. H. N.**, Inq. leg. 193, nºs 11-12.
(23) **A. I. C.**, leg. 250, nº 3383.
(24) Llorente, **Historia critica..., op. cit.**, t. IV, p. 36.
(25) **B. N. M.**, ms. 9653, fº 54 vº.

والمنافقين وهم الذين يتظاهرون ، عن طريق اقوالهم ، وكانهم مؤمنون ، غير ان ضمائرهم فاضت بدعا والحادا » (26) . وبالاعتماد على سور من القرآن الكريم أنزلت على الرسول اثناء اقامته بالمدينة ، وهي السور التي تؤاخذ الانتهازيين الذين يتلونون وفقا للحوادث ولا يلتزمون تماما بتعاليم الرسول فانها قد اعطت مضمونا للمنافق : « وهو الذى لديه عقيدة في قلبه ويظهر اخرى خارج ذلك » (27) . واذا بقي احد المسلمين محتفظا باقل الشكوك واقل اجزاء الخطأ، واستمر يمارس « التقية » ، ولكن هذه المرة تجاه اخوانه، فانه سيعرف مصير الملعونين « والمنافقين » وينتهي « غارقا في الهموم التى لا تعرف حدا » (28) .

لقد اتهم الموريسكيون بالخبث والرياء في الحياة اليومية : وقد ظهرت عدة صراعات بسبب سعيهم لبقائهم أوفياء لانفسهم ولمعتقداتهم الشخصية ، وانه حتى لا يعترفوا بتعلقهم بالدين الاسلامي ، فقد اضطروا الى العثور على مخارج وحيل هروبية ، عندما يواجهون الضغط الاجتماعي المسلط عليهم : وعندما دعي لوب الماريك (Lope Almerique) الى مشاركته غذاء جيرانه المسيحيين العريقين ، فانه اعتذر عن اكل « شحم الخنزير » الذى عرض عليه ، وهذا بحجة الاعتماد على عادة عائلية بسيطة : ان آبائي لم ياكلوا البتة شحم الخنزير ، ونحن نقتدى بهم » الا ان الجيران سيدركون جيدا سبب رفضه، والنائب العام قد فهم ذلك هو الآخر، وقد طالب بادانته : إن الشخص لوب الماريك قد امتنع عن أكل ذلك، وفقا لتعاليم دين العرب » (29).

وهناك حالة أخرى ستكون مثيرة لو لم تفقد صاحبها امام محاكم دواوين التفتيش ، وهو هذا الموريسكي الذى على الرغم منه ، وجد نفسه قد عين كمساعد في خدمة الكنيسة سان تياقو (Santiago) بسيقوانزا (Siguenza) (30) . وقد حاول ان يؤارب كلما تعلق الامر بواجباته الدينية ، مما ادى الى بروز كآبته وكدره ، الا ان هذا الامر لم يتواصل الا مدة زمنية . واذا طلب منه ان يقوم بجمع التبرعات ، فانه يقوم بذلك دوما وفي غير اوانه في حين كان المجمع الكنسي الاسقفي ، قد سن قواعد محددة ، وجب احترامها . واذا لم يقع احترامها يتم الطرد ، وهذا ما وقع مثلا كمنع جمع التبرعات يوم الاحد أثناء « اقامة القداس الاكبر » أو عدم ادارة الظهر مطلقا للقداس عندما يمر بين صفوف المقاعد ، بل انه يجد متعة في عدم احترام اى من هذه القواعد . وكان يضيق كثيرا بملاحظات القديسيين ، وهذا الى درجة التهديد بعدم قيامه مطلقا بجمع التبرعات . وبالاضافة الى ذلك ، عندما تحين ساعة الوعظ فانه يغيب ، اما لحظة رفع القداس ، فانه اذا كان موجودا : « لا يركع أبدا على ركبتيه ولا يحني رأسه » وفي احد الايام دفعته دعابته حتى الى تحريف لفظة « التقديس » وهذا أثناء جمعه التبرعات لصيانة قنديل القربان المقدس . وعندما يلاحظ له ذلك ، فانه يجيب بأن : « مرد ذلك الى زلة لسانه وانه بسبب فقدانه أسنانه ، فانه لم يعد يستطيع أن ينطق بها .

(26) B. N. M., ms. 9654, f° 20 r°.
(27) B. N. M., ms. 9067, f° 5 r°.
(28) B. N. M., ms. 9067, f° 7 v°.
(29) A. H. N., Inq. leg. 191, n° 8.
(30) A. H. N., Inq. leg. 191, n° 32.

أن الشهود المعاصرين اتفقوا على ان الموريسكيين بقوا جميعا مسلمين في اعماقهم ، وان مسيحيتهم ليست سوى شكلية . والادانة بالرياء والتستر ، هي التي كثيرا ما تتكرر . من ذلك كتب فراى انطونيو دو قافارا ((Fray Antonio de Guevara) بتاريخ 12 مای 1531 الى اسقف دوتوى (de Tuy) الذى تعين مؤخرا « رئيسا جديدا لغرناطة » ليقدم اليه موظفيه الجدد والمتركبين أساسا من الموريسكيين : « ان أهل هذا البلد ليسوا كأهل بلدكم ، فهم ماكرون سيئون ، ذوو موقفين ، متسترون ومتقلبون في مواقفهم » (31) . اما مفتشو محاكم التحقيق الغرناطيون ، فقد كانوا الكثر وضوحا عندما حرروا رسالة الى المجلس الاعلى بتاريخ 27 نوفمبر 1560 وذكروا فيها : ان كل الموريسكيين يعتبرون مسلمين سرا (32) . وفي سنة 1568 ، كتبوا كذلك : « اننا موجودون وسط أعدائنا الكفار » (33) .

وبامكاننا ان نذكر نفس الشيء بالنسبة لموريسكيي أراقون . ففراى ماركوس دو قادالاجارا (Fray Marcos de Guadalajara) يذكر في كتابه كتابه Memorable expulsion de los Moriscos de Espana أنه رأى أحد مفتشي محاكم التفتيش الاراقونيين في أواخر القرن السادس عشر ، ومفاده انه : اذا عثر على منضو جديد (للدين) وتاكد له ذلك ، فانه حتما وبالتاكيد ، لن يكون مسيحيا صادقا » (34) .

لنعترف ان منطقة أراقون لها حالة ذات خصوصية متميزة ، اذ في بعض الاحيان يعتبر نبلاؤها أعداء محاكم دواوين التفتيش وحلفاء الموريسكيين ، وفرى ماركوس دو قادالاجارا قد ذكر بهذا الشأن القصة الموحية التالية : أن موريسكيي قرية دو ماريا ((De Maria)) بأراقون قد رفضوا التعميد . أما قديس المكان فقد ضغط عليهم ليقوموا بالتعميد ، ذاكرا لهم انه دون التنكر لمبادىء القرآن فانه باستطاعتهم أن يقوموا « بتظاهرات مسيحية في نفس الوقت الذى يبقى ضميرهم متعلقا بمحمد » (35) .

وفي كاتالونيا أيضا ، كان المسؤولون الموريسكيون يرون تعميم مبدأ « التقية » وفي لحظات الطرد النهائي ، طلب أسقف المكان من القس المكلف باسقفية موريسكية بطرطوشة عددا من الشهائد التي تسمح لبعض الموريسكيين ان يبقوا وكأنهم « مسيحيون عريقون » .

اما القس الذى يعرف جيدا رعيته ، فقد نفذ أمر الاسقف ، وهذا دون ان يعرض نفسه للخطر : وقد كتب اذن : « أن الاعمال التي لاحظها ، ظاهريا ، لدى هؤلاء الموريسك ، تبدو له وكانه قد قام بها مسيحيون طيبون » (36) . وقد ذكر ذلك وكأن الامر يتعلق بأحسن الاشخاص الطيبين . وبعد سنين عديدة

(31) **Libro primero de las Epistolas Familiares de Fray Antonio de Guevara**, edicion y prologo de José Maria de Cossio, Madrid, Artes Graficas, 1950, pp. 121-122.

(32) **A. H. N.**, Inq. leg. 2603, I.

(33) **المصدر نفسه** ، الجزء الثاني .

(34) Guadalajara, **Mémorable expulsion...**, **op. cit.**, f° 65.

(35) **المصدر نفسه** ، مذكور في :
Carrasco Urgoiti, **El problema morisco...**, f° 51, **cit.**, p. 28.

(36) **Bauer y Landauer**, **Relaciones...**, **op. cit.**, p. 105.

من ذلك ، عندما أجرى بحث حول هؤلاء الموريسك الذين تمكنوا من البقاء في اسبانيا ، فان الناس الذين سئلوا ردوا بأن المسيحيين : « يعتبرونهم كذلك عربا ، شأنهم في هذا شأن العرب الذين أطردوا سابقا » (37) .

وحتى في قشتالة أيضا ، فقد اعتبر كل الموريسكيين مسلمين . وتبدو لنا حالة قرية سكوالاموس(Socuellamos)في ولاية سيوداد ريل (Ciudad Real) موحية جدا . وتعد هذه البلدة في الثلث الاخير من القرن السادس عشر : 170 موريسكيا ، وزعوا على 49 مسكنا . وخلال أربع سنوات اى من 1582 الى 1586 حصل لـ : 32 عائلة من ضمن 49 نزاع مع محاكم دواوين التفتيش (38) . وعلى ضوء ذلك صرح أحد الشهود في قضية من هذه القضايا : « من أن كل الموريسكيين الذين يعيشون في سكوالاماس هم عرب وأن القدامى بامكاننا سوقهم جميعا الى محاكم دواوين التفتيش » . وهذا ما يعني وجود أمل باعتناق الدين من أصغرهم سنا ، » (39) . وأنه لا بد من الاعتقاد أن موجة من الرعب قد تمكنت من العائلات الاخرى بالمدينة ، خاصة وأنه لا توجد قضايا أخرى ضد الموريسكيين في هذه البلدة ، الا بعد عشر سنين من هذه الحادثة في سنة 1549 وأخرى سنة 1609 قبيل الطرد النهائي (40) .

وقد أخذ سرفانتش (Cervantes) في كولوكيو دو لوس باروس (Coloquio de los Perros) أيضا على الموريسكيين عدم صدقهم في العقيدة ، وهو في هذا يتخذ حتى قشتالة نموذجا لمعرفته الجيدة لذلك . وقد كتب : سوف تكون ماريا (Marilla) اذا عثرنا ضمن أعدادها الكبيرة ، على شخص واحد يؤمن بصدق في الدين المسيحي المقدس » (41) .

وأثناء لحظة الطرد وعلى وشك صدور القرار بالطرد ، فان الموريسكيين حسب فونسكا أحد شهود خروجهم من بلنسية ، يذكر الاحداث كما وقعت : لقد رفضوا ، ليس فقط العمل ، وجمع العنب وقطع قصب السكر ، ولكنهم اعترفوا بصورة تلقائية أنهم جميعا مسلمون ، وقد اكد أحدهم : « أن كل الذين يوجدون بمملكة بلنسية هم أيضا عرب ، شأنهم في ذلك ، شأن عرب الجزائر » (42) . ومنذ ذلك الوقت ، فانهم لا يعملون على التستر ، واذا حانت المحاسبة ، فانهم يجادلون المسيحيين : « وظاهريا يعترفون بذلك واذا دفعوا قليلا الى الاعتراف بأنهم في الحقيقة عرب ، وأنهم ما زالوا دوما على ذلك ، وأنه إذا حان الوقت، فانهم مستعدون أن يدافعوا عن دينهم ويحاجون به ضد وأنه إذا حان الوقت ، فانهم مستعدون أن يدافعوا عن دينهم ويحاجونه ضد ديننا ، وفي هذه الحالة ، لا يحترمون عقيدتهم التي تمنع عليهم المجادلة وليتحولوا الى استعمال السلاح » . فقد ظهرت بجلاء كل التقاليد والممارسات التي رغبت محاكم دواوين التفتيش في تحريمها : « انه بفضل دعاية أكبر من ذى قبل ، فان الموريسكيين متمسكون بعقيدتهم الشريرة ، ذلك انهم ، بدون

(37) المصدر نفسه ، ص 37 .

(38) راجع :
Matricula de los Moriscos de los lugares del obispado de Cuenca y Priorato de Uclis, 1954 **A. I. C.**, leg. 4836, f^os 220-235.

(39) **A. I. C.**, leg. 4390.

(40) **A. I. C.**, leg. 4834.

(41) Cervantes, **Coloquio de los perros**, ed. Clasicos Castellanos, t. XXXVI, p. 317.

(42) Fonseca, **Relacion...**, **op. cit.**, p. 99.

خشية من أحد ، ياكلون اللحم يوم الجمعة والسبت ، وان الأبناء يتزوجون بين ذويهم وبنسب متفاوتة ، ودون حضور الكاهن ويتم ذلك وفقا للمواسم الدينية المحمدية » . (43)

وحتى اذا اخذنا بالاعتبار مبالغة فونساكا (Fonseca) الذى يعد من محبذى الطرد النهائي ، فانه من الصحة بمكان أن يشعر الموريسكيون اذن ، بتحررهم من كل ضغط ، ومع هذا فان محاكم دواوين التفتيش ، ستراقبهم وسوف تستمر في اعتبارهم مسيحيين حتى لحظة سفرهم : الا أن البعض منهم دفع ثمن حريته ، نتيجة انطلاق عواطفه المكبوتة والسابقة لأوانها (44) .

وعلى ضوء ذلك ، فاننا نملك من اعترافات شهود العيان ، شهادة ثمينة ، للاسقف جوان دوريبارا (Juan de Ribera) بطريك بلنسية الذى قضى السنين العديدة ليقنع موريسكيي بطريكيته بقبول الدين المسيحي واعتناقه عن طواعية ورضا وهذا قبل أن يصبح من أشد المدافعين للطرد النهائي . وقد القى في كاتدرائيته وعظا بتاريخ 27 سبتمبر 1609 أى بعد خمسة أيام فقط من نشر قرار طرد الموريسكيين البلنسيين من اسبانيا ، ومما جاء فيه : أن هؤلاء الناس ليسوا سوى كفار ، وأن وجودهم ليعد خزيا للمسيحيين . ان أكبر الشرف يحصل بمرافقة المؤمنين ، وهذا في نفس الدرجة التي يكون فيها أكبر الخزى وأكبر العار بالتعامل مع الكافرين ، وهذا الى درجة أنك لا تستطيع حتى رؤيتهم وجها لوجه ، دون أن يثير لديك الشعور بالاهانة حتى ولو كان المعني ملكا » (45) .

وقد ذكر سان جان الذى نصح بعدم استقبال كل من لا يعترف بأن المسيح هو الله ، وهذا هو موقف الموريسكيين : « انهم من هؤلاء الذين قال فيهم الرسول سان جان انهم لا يعترفون بأن المسيح النبي هو الله الحقيقي ، متبعين في ذلك دين محمد ، وبشأنهم ذكر الرسول : « لا تستقبلوهم في بيوتكم ولا تقولوا لهم « مرحبا » ذلك أن الذى يحييهم ، يساهم بشكل من الاشكال في دينهم » (46) وقد تساءل كيف أمكننا التعامل عائليا ووديا مع هؤلاء الملحدين : « لقد رأيناهم يحتفلون بالاعياد الاسلامية ، في حين أننا نعرف انهم كانوا عربا وتم تعميدهم » (47) وعليه فقد اكد أن كل المسيحيين البلنسيين وجب عليهم أن يعترفوا ، أثناء تنظيم اعتراف عام ، بقبولهم هذا التعايش « لقد أمضيت معهم أربعين سنة في حالة سلم » (48) وحيث شاهدت أحدهم من شعب اسرائيل يقدم الضحايا للاصنام بأمر من ملك انتيوش (Antioche) الضال وقد تأجج حقدا نتيجة حميته لله ، وهذا الى درجة ارتعاش عظامه ، وقد تعهد ان كل الذين يقدمون الضحايا للاصنام والذين أمروه بالقيام بذلك ، يجب قتلهم جميعا » (49) .

أما فراى النصوشاكون ، فهو الآخر يعرف جيدا الموريسكيين ، وقد آخذهم على تسترهم . وعندما كاف من طرف فيليب الثاني بتعميد

(43) المصدر نفسه ، ص 97 .
(44) A. H. N., Inq. leg. 4393.
(45) Fonseca, **Relacion..., op. cit.**, p. 77.
(46) المصدر نفسه ، ص 78 .
(47) المصدر نفسه ، ص 80 .
(48) المصدر نفسه ، ص 81 .
(49) الانجيل ، الكتاب الاول . Livre des Maccabées, II, 15-29.

الموريسكيين ، كتب الى جلالة الملك بتاريخ 22 فيفرى 1588 ، رسالة يحذره من الخطر الذى يمثله الموريسكيون على اسبانيا . وبالنسبة اليه فان كل الموريسكيين الذين اتصل بهم بالبشرات أو قشتالة او الاندلس أو اكسترامادور ، يشبه بعضهم البعض ، ولهم نفس العيب ألا وهو الرياء : « فهم بفضل هذه المظاهر الخداعة ، يبدون بالصورة التي لهم ، ويخفون في الوقت المناسب حقيقتهم » (50) .

ان هؤلاء الكتاب الذين أثاروا مشكل تستر الموريسكيين ، يقومون بذلك دوما بكثير من الحدة والهجاء : وهم على يقين بالخطر الذى يحدق باسبانيا التي احتضنت في أرضها أعداء سيكونون دوما على استعداد للكشف عن هويتهم في الوقت المناسب . وقد ترجمت عن ذلك صور متشابهة جدا لدى سرفانتش وتمثلت في تلك الحية التي يتم تدفئتها في الصدر : « ان اسبانيا ترعى ولها في أحضانها نفس العدد من الثعابين والموريسكيين » (51) اما فرى انطونيو شاكون فقد قدم هذه الصورة المتمثلة في هذا الوحش المفترس : « لتتوقف اسبانيا عن تربية هذه الوحوش ، فسياتي يوم يستقبلونها ويبتلعونها » (52) . اما أزنار كاردونا فيرى ان « الموريسكيين يمثلون السم والحشرات الطفيلية والنبتة السيئة في حقل كنيسة اسبانيا » (53) . ومن جهة أخرى فان مؤلف « المجاز في العلوم الالاهية » يستعمل اصطلاحات أكثر عنفا مثل : « انهم الذئاب المخربة والثعابين والعقارب والضفادع والعناكب والحيوانات البشعة السامة التي كان سمها العنيف يمرض ثم يقتل كثيرا . ان الموريسكيين مثل النسور التي تمر بسرعة للفتك ، والطيور الكواسر التي تعيش بقتلها للآخرين . وهم أيضا مثل الذئاب في قطاع الماشية وذكر النحل في الخلية والغراب وسط الحمام ، والكلاب في الكنيسة والغجريين بين الاسرائيليين وأخيرا الملحدين من بين الكاثوليكيين » (54) .

اما الموريسكيون فقد برروا موقفهم بحكم ضرورة وجودهم ونجاتهم من محاكم دواوين التفتيش . وعلى ضوء ذلك فان الطرد يجسم الامتحان الصارخ لانتحارهم ضد محكمة التفتيش : وقد ذكروا ذلك على أنه برهان اضافي لحقيقة معتقدهم بمحمد الكازر (Alguazir) وهو أحد الموريسكيين الملتجئين الى تونس ، قد لفت الانتباه الى ان الموريسكيين أثناء اقامتهم باسبانيا : « خلال مائة سنة ، وبعد نهاية فتح اسبانيا من طرف المسيحيين ، فانهم لم يتخلوا مطلقا عن عقيدتهم » (55) . وهذا على الرغم من أن محاكم دواوين التفتيش كانت « تحرقهم لانهم عرب » . ان عملية الطرد النهائية توضح قطعا

(50) A. H. N., Inq. leg. 1791, II

(51) Cervantes, **Coloquio...**, **op. cit.**, p. 319.
Persiles y Segismunda, lib. III, Cap. XI, p. 1661 de Obras Completas, Aguilar, 1965.
وحيث نقرأ : « أقول ان جدى كان يذكر انه اثناء هذه الفترة الزمنية ، سيحكم اسبانيا ملكا من النمسا ، وسيتولد فى ذهنه صعوبة القرار المتمثل فى طرد الموريسكيين ، شأنه فى ذلك شأن من يبعد الحية من بطنه وحيث كان تتآكل أحشاؤه وكذلك التفريق بين الحية الصالحة من الفاسدة » .

(52) A. H. N., Inq. leg. 1791, II.

(53) Aznar Cardona, **Expulsion justificada...**, **op. cit.**, II, f° 62 v°.

(54) **المصدر السابق** : f° 63, r°-v°

(55) **B. N. M.**, ms 9074, f° 45 r°

ان محاكم الدواوين قد فقدت كل أمل للانتصار على الموريسكيين . وعليه فان الكازر ؟ قد ألقى صيحة الانتصار التالية : « لقد خسروا كل المعارك وكذلك الأمل في جعل الموريسكيين يعبدون معهم أصنامهم من تلقاء أنفسهم » .

وسرعان ما تحولت الحجة المبررة الى جدل . وعلى أية حال فقد لاحظ الموريسكي أن المسيحيين في تونس الذين اعتنقوا الاسلام، قد تبنوا معتقداتهم الجديدة بمحض اختيارهم ، وهو يرى أن هؤلاء اعتبرهم الاسبان مرتدين ، أما التونسيون فيعدونهم « عربا طيبين » . وقد ذكر هذا الموريسكي : ان أفضل امتحان لصدق اعتناقهم يتمثل في الهجوم الذى قاموا به تجاه اخوانهم السابقين في الدين : « لاننا نرى أن الشخص الذى كان بالامس مسيحيا ، فانه اليوم يقف بجيش ويقتل كل الاشخاص الذين يعبدون لتماثيل ، وهذا على الرغم من اعتبارهم اخوانا له » (56) .

وليس هذا بطبيعة الحال رأى المسيحيين الذين يصفون المرتدين بأشنع الاوصاف . وقد كتب هايدو حول هذا الموضوع ما يلي : « الحقيقة أن المرتدين الذين هم في الواقع عرب أو أتراك كانوا اعدادا قليلة جدا، ولا يصبحون كذلك الا بواسطة الغش المحض او الميل الى المتعة أو الرغبة في الفسق واللواط والنهم » (57) . وقد ادعى بالتحديد أن اغلبيتهم تمارس هي الاخرى « التقية » : « انهم جميعا يعيشون في الضلال ويكفيهم أن يكونوا مقتنعين في اعماقهم وبالاحتفاظ بمسيحية قلوبهم ، اذ يكثر على لسانهم ذكر هذا المثل : ان اللباس لا يرمز الى الراهب » (58) . غير أنه من الاكيد أنه لا يؤيدهم في هذا الموقف : وقد ذكر أنهم سوف يزج بهم في جهنم » ، وقد عارض هذا المبدأ بقوله : « ان الانسان مجبر على خدمة ربه وخالقه وهذا بنعمة ما تلقى منه روحه وجسمه ، وأنه يجب عليه ان يعلن ذلك بشكل علني حتى يشاهد ويعلمه الآخرون ، وأن نبينا المسيح قد قال ببساطة كبيرة أن الشخص الذى يشع بالعار نتيجة قيامه بالاعتراف برجل آخر ، هو الآخر

---

(56) المصدر السابق ، f° 45 v° ، نجد نفس هذه الحجة فى كتابة الثعالبى الذى كان يعرف والحق يقال ، عمل محمد الناصر ! وقد كتب فى :

R. B. C., ms., 1976, f° 56 v°

« وعلى العكس من ذلك ، نرى من أجل المسيحى
« فى كل الانتصارات التى حققوها
« اسبانيين كانوا أو فرنسيين او ايطاليين
« فهو بعد اعتناقه دين العرب
« وبعد ان كان مسيحيا طيبا ، فهو الان فخور
« ينشط ضد المسيحى الكافر
« حسب عقيدته ، فى حين ان الملحد يهاجم ،
« يسرق ويسىء المعاملة ويضر ويقتل ويستولى ،
« واذا كان احد ، بالصدفة ، لم يعتنق الدين الجديد من ايمان ،
« فاننا نلاحظ عنده فقدان الدين الكاذب
« وانه يمدح وحدانية الله
« وهذا ما يتم ، عادة لدى العرب
« لانه لا يوجد احد يحتقر عقيدته ، واذا كان بعض الاشخاص
« قد وقعوا فى الخطا ، فهم قلة
« فذلك لان الاله قد قدر عليهم ذلك » .

(57) Haëdo, **Topografia...**, **op. cit.**, t. I, p. 164

(58) **المصدر السابق** ، ص 165 .

يشعر بالعار عندما يعترف أمام الراهب الخالد » (59). أما المسلمون فمن جهتهم كانوا يشكون في مسيحيي اسبانيا الذين يمارسون أيضا « التقية » ، وحجتهم الجدلية هي التالية : كيف يمكن أن يكون رجال عقلاء يؤمنون بكل الحماقات التي نجدها في العقيدة الكاثوليكية ؟ ، ان الاسبانيين الذين ليسوا جميعا حمقى ، يتظاهرون بالايمان حتى يتجنبون عقاب محاكم دواوين التفتيش : « ونظرا الى أنهم لا يستطيعون الكلام بسبب محاكم دواوين التفتيش اللعينة ، فانهم يحتفظون بكل هذه الاشياء في قلوبهم » (60) .

وكخاتمة لهذه الدراسة الموجزة (للتقية) فان سؤالا يفرض نفسه علينا : هل ان الشعب الموريسكي في حياته اليومية والمجادلين في كتاباتهم ، كانوا يحسون بأنهم يطبقون هذا المبدأ الاسلامي ؟ أو هل كانوا يقومون بذلك ويحررون كرد فعل تلقائي للملابسات التي تحيط بهم ؟

لا بد أن نلاحظ بادىء الأمر أن اصطلاح « التقية » لا يظهر فقط في النصوص الجدلية . وقد وجدناه مرة واحدة في المخطوط 51 ، ولكن وجدناه بمعنى مخالف : وحيث استعمل كاسم خاص لتعيين احد الغواة ويخاف النساء ، ولا شك أن مرد ذلك ممارسته التستر . وعندما استقبلت مريم جبرائيل ، امتلأت جزعا ، لانها اعتقدت في تقيته : « لقد أخفت وجهها خوفا لأنها تعتقد أنه « التقية » ذلك أنه في الزمن الغابر وفي بني اسرائيل ، يوجد رجل اطلق عليه اسم التقية، وكان أوسم الرجال على الاطلاق. والمرأة التي بدت له جميلة ، كان ينظر اليها ليأخذها . وقد خافت مريم لانها كانت تخشى ظاهرة التقية ، بحيث ان جبرائيل عندما توجه نحو مريم قالت له : « سوف أدافع عن نفسي منك، فاذا كنت تقيا ، فالله يقيني منك » (61) .

وبالاضافة الى ذلك فان الاستشهادات الموريسكية التي عرضناها سابقا ، توضح أن الكتاب الموريسكيين كانوا يحسون بوجوب تطبيق هذا المبدأ . ومن جهة أخرى فان المسيحيين آخذوهم على ذلك . من ذلك أن قادالاجارا كتب : « أحب أن أذكر مرورا أن هذا الاذن وهذه الاجازة التي منحتها لهم هذه الفرقة اللعينة (إذ أنه في مناسبات جبرية قسرية استطاعوا خارجيا التظاهر بدينهم وبدون الشعور بالاثم ، شريطة أن تحجب اعترافاتهم من أجل نبيهم المخطىء والمضل) وقد رأينا الكثير يموتون من بين الاشخاص الذين يعبدون الصليب ويتكلمون جيدا عن ديننا الكاثوليكي ، في حين أنه وفقا لأعمالهم بقوا مسلمين ممتازين » (62) .

وقد كان شأن مصير « التقية » في العموم شأن الثقافة الدينية الموريسكية وحيث استمرت حية لدى المهتمين من اصحاب الكتابة ، غير أنها استمرت أكثر غموضا لدى الشعب ، وحيث لم تكن دوما الطقوس والمواقف مبررة بشكل جلي أو هي واعية . ونضيف الى ذلك انه اذا كانت « التقية » بالنسبة للموريسكيين هي طريقة قانونية للعمل ، فانها ولا شك كانت السبيل الوحيدة لهم ، وقد ارتبط ذلك بوضعية الضعف التي كانوا عليها . وعلى المستوى

---

(59) **المصدر السابق** ، ص 165 .

(60) **B. N. M.**, ms 9654, f° 10 r°

(61) **R. A. H.**, ms. S 1, f° 102 v°

(62) Guadalajara, **Mémorable expulsion..., op. cit.**, f° 159 r°-v°

الفردى ، كنا ذكرنا عدة أمثلة للمهاجرين بالعقيدة ، اما على المستوى الجماعي ، فاننا نكتفي بالتذكير بالانتفاضات الموريسكية العديدة التي تشهد بوجود هذه العقيدة والتي كانت دوما على استعداد للتعبير عنها كلما سنحت الظروف وكانت جد مناسبة .

2 ـ مآخذ الموريسكيين على محاكم دواوين التفتيش :

أ) محكمة الشيطان :

عندما يذكر الموريسكيون محاكم دواوين التفتيش، كان ذلك دوما بلهجة النقد اللاذع ، وتجاهها ، لا يجدون الاوصاف القوية جدا ، فحكامها يعتبرون بالنسبة للموريسكيين « ذئابا مفترسة ، دون رحمة . وديوانهم هو من المتعجرف والاختلاس واللواط والفجور والشتيمة والجحود والغرور والتكبر والاستبداد والسرقة والظلم » (63) . ان المخطوطات التي حررت بعد الطرد النهائي ، تعد نماذج رائعة حول هذا الموضوع وعلى الخصوص مخطوطة بيجارنو (Bejarano) والحنفي ومؤلف المخطوطات التالية : 9654 و 9653، 2 .

ان المخطوط رقم 9653 يقدم محكمة دواوين التفتيش وكانها محكمة الشيطان : « وحيث يحكم الشيطان الذى اتخذ من الخديعة والتضليل مستشارين له » (64) . وعلى اية حال وبالنسبة للموريسكيين ، كانت محاكم دواوين التفتيش تسير في خط ضد الحقيقة وفي خدمة الجهل والظلام ، ووضع احد الاشخاص في سجون محاكم دواوين التفتيش يعني اخفاء الحقيقة. وللتدليل على دور محاكم التفتيش المشؤوم ، يذكر الحنفي انه قدمت في مدريد مسرحية ، كان احد محاورها خوارق الرسول محمد . وانطلاقا من تمثيل الفصل الثاني تدخلت المراقبة . ومع هذا ذكر الحنفي أن المسألة تتعلق بمسرحية تاريخية ، معتمدة على كتاب كان قد وافقت عليه محاكم دواوين التفتيش : « فانه أثناء التمثيل دخل ممثلو محاكم التفتيش وأوقفوا المسرحية، بعد ان استولوا على كل الاوراق وأمروا بعدم تمثيلها مستقبلا . ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بتحريات للعثور على مؤلف المسرحية الذى حررها . وعندما عثروا عليه آخذوه على كتاباته ، غير أن هذا الاخير اعتذر قائلا إنها لم تكن مسرحية من تاليفه هو ، ولكن يوجد مؤرخ كان قد استعملها في كتابه ، ومع هذا ألم تعط الموافقة عليها من دواوين محاكم التفتيش ؟ » (65) .

اما « اسير تونس » فلم يعلق كثيرا على هذه القصة التي وصفها بانها محض تلفيق : لقد عارضونا في مدريد أن تمثل مسرحية حول احداث وحياة محمد ، وان أسياد محاكم دواوين التفتيش قد امروا بعدم تمثيلها ، وقاموا بإنذار المؤلف ، وان هذا الاخير اعتذر قائلا إنه عثر على كل ذلك لدى المؤلفين . وهي عبارة عن احدى هذه القصص التي يحكيها الاندلسيون عندما « تنطلق

---

(63) مذكور في : Baroja, Los Moriscos..., op cit., p. 25.

(64) B. N. M., ms 9653, f° 9 v°

(65) B. V. R., ms. lat. 14009, f° 50 r°-v°

عواطفهم المكبوتة » . وان الحقيقة هي نفسها بالنسبة لبقية المسرحية ايضا » (66) .

اما صاحب مخطوط S 2 ، فانه من جهته قد اكد أن حكام دواوين التفتيش يعتبرون حلفاء الشيطان « إن حكام دواوين التفتيش الكفار بفضل اسلوبهم الشيطاني ، وحيث دفعوا من طرفه ، فقد أرادوا أن يصبحوا حكاما على الارواح ، وقد دفعوا غيرهم بالقوة الى ان يتبعوا دينهم اللعين الذى لا يتمتع بأى أساس » (67) .

اما جيرمينو دو روجاس فقد اكد هو الآخر أن الملكة الكاثوليكية ايزابالا قد دخلت جهنم ، لأنها أسست محاكم دواوين التفتيش : « إنه كثيرا ما قال وأعاد القول بكثير من اللعنة والنقمة الكبيرة ، ان صاحبة السمو الملكة الكاثوليكية السيدة ايزابالا الموجودة في الجنة ، كما يرى ذلك المسيحيون ، هي الآن في جهنم في أسفل دركاتها مع اليهود والذين تحتم عدم خروجهم منها. وهم تحت رحى الطاحونة التي تطحن رؤوسهم ، ذلك أن ايزابالا قد اسست هذه « المظلمة » وهي اللفظة التي في الغالب تكون مقرونة بالخزى والاحتقار وحيث يستعملها جيرمينو دو روجاس ويرمز بها الى محاكم دواوين التفتيش » (68) .

إن أول واكبر المآخذ التي وجهها الموريسكيون الى محاكم دواوين التفتيش ، هي سعيها الى إدانتهم : وعلى أية حال ، وحتى تتم المصالحة عندما يتاكدون من « اتباع الدين المحمدى » فان الموريسكيين وجب عليهم أن يحلفوا بانهم تخلوا عن أخطائهم » وأن يقبلوا مسبقا كل توبة تاتي من المحكمة . وانه وجب عليهم ، بالاضافة الى ذلك ، مساعدة محاكم دواوين التفتيش في صراعها ضد البدع وحسب أحد الكتب : « إن البدع التي تصل الى علمي ، سوف ابلغها الى حكام دواوين التفتيش الذين يلاحقون البدع المخزية » . وبذلك فانهم لا يتهمون فقط بممارسة المذاهب الخاطئة ، ولكن بالاضافة الى ذلك أوخذوا بذنب المشاركة مع العدو ضد إخوانهم (69) .

ب) الدفاع عن طهارة العقيدة والقيم الاجتماعية :

اتهم الموريسكيون محاكم دواوين التفتيش باقتراف أشنع الفظائع ليصلوا بذلك الى خنق كل تبعية للاسلام ، وانهم لم يتراجعوا أمام أى وسيلة لتحقيق ذلك : « لقد كنا مضطرين أن نظهر لهم ما كانوا يرغبون فيه منا ، وعكس ذلك فانهم يسوقوننا الى محاكم دواوين التفتيش بسبب اتباعنا الحقيقة، لقد حرمونا من أحياة والأملاك والأبناء وزجوا بنا في سجون مظلمة لأتفه الاسباب . ونظرا لأفكارهم السيئة أيضا ، فإنهم يبقوننا سنين عديدة ، في الوقت الذى يستولون فيه على أملاكنا التي صادروها ويستغلوننا ، ثم يقولون ان لذلك الفعل مبررا، وعلى ضوء ذلك فانهم يخفون افكارهم السيئة وسريرتهم الضالة . أما أطفالنا، فانهم عندما يكونون يافعين ، يربونهم على

---

(66) B. N. P., ms. esp. 49, f° 117 r°
حول مؤلف هذا المخطوط الذى اطلقنا عليه « اسير تونس » راجع الفصل الاول — القسم الثانى .

(67) R. A. H., ms. S 2, f° 8 v°

(68) A. H. M., Inq., leg. 197, n° 5.

(69) A. I. C., leg. 369, n° 5214.

منوالهم ويصبحوا مرتدين ، أما إذا كبروا فإنهم يسعون للهروب . وبالاضافة الى ذلك فإن حكام دواوين التفتيش يفتشون عن كل الوسائل للقضاء نهائيا على هذه الأمـــة » (70) .

ومما لا شك فيه ، انه بإمكاننا أن نتســاءل حول اتهــام الموريسكييــن لحكام دواوين التفتيش باستعمال القوة والوحشية تجاههم ، وأنه من الصعب ان نضع حكما ذا قيمة بالنسبة لكل المحاكم ، وهذا بسبب فقدان عدد كبير من الوثائق ، ومع هذا فإنه بامكاننا أن نعرض عددا من الملاحظات .

وقبل كل شيء ، يبدو لنا انه لا توجد قواعد ثابتة لاسناد العقوبات ، فهذه قد تركت بادىء الأمر الى تقدير المحكمــة ، ثم الى « المجلــس الأعلــى » الذى يلتجأ اليه في آخر المطاف : ان الملابسات والرمــز النموذجــي للعقــاب وكذلك شخصية المتهم ، يؤثر كل منها على طبيعة القرار . وصحيح أن يتم إحراق شخص بسبب قراءته كتبا موريسكية (71) . وآخر صدر ضده حكم بالسجن . ولكن هناك مثال ، تمثل في صدور حكــم اتســم بالرأفــة : فدون فيليب دو اراقون (Don Felipe de Aragon) ، ابن أمبراطور فاس والمغرب الأقصى الذى وصل إسبانيا صغيرا ، قد اعتنــق الديــن المسيحــي : والذى كلفه ــ دون فارنندو دو اراقون ، نائب ملــك بلنسية ــ وهو ابن ملــك نابولي فريداريك الثالث ((Frederic III)) غير أن الإسلام استمر محتفظــا لديــه بشيء من الميــل ، وقد اتهمته محاكم دواوين التفتيش بكونه « صانعا وشريكا في البــدع وساحرا » وقد ادانتــه بثلاث سنين سجنا في أحد الأديرة ، وارتدائه لباس العار طوال كل هذه المدة برســم مختــوم بقــرنيــن كبيرين وشيطانين كانا قد صورا عليه » (72) .

وهذه الادانة خفيفــة جدا اذا قــورنت على العمــوم بغيرها من الحــالات المشابهة لها . وعلى ضوء الملابسات ، كانت الأحكــام تتــراوح بين القســوة واللين . ففي سنة 1560 أديــن عدد من الموريسكييــن الغرنــاطيين بجلدهــم ووضعهم كجدافين في السفن ، وهذا بسبب جريمة انشقــاقهم وارتدادهــم : وقد حاولوا التحول الى المغرب العربي : « ليصبحــوا عــربــا » . وقد شرحت محاكم دواوين التفتيش هذا القــرار : « في هذه المحاكم استعملنــا دوما هذا التعبير : « بسبب جريمــة الانشقــاق نجلدهــم ثم نضعهــم كجدافيــن في السفن » (73) . غير انه في نفس هذه السنة كانت الهجــرات عديــدة جــدا : وقد قررت السلط الرسميــة والدينيــة أن تتخذ اجراءات للعقاب . وقد بوغت 17 موريسكيا عندما كانوا يستعدون للتحول الى المغرب العربي ، وحيث حكم على اثنين منهم ، وهما المسؤولان ، بالموت من طرف النقيب العام للمحكمة » . وطالبت محاكم دواوين التفتيش الحكم ضد الآخرين ، وتسليمهم حالا الى النقيب العام للمملكة « وفقا لما جاء في تصريح ملكي من جلالته ، كان قد وجه الينــا » . وعليــه فقد تمــت محــاكمتهم من طــرف محكمــة دواوين التفتيش و « سلمتهم الى المحكمة الأولى لتنفيذ حكم الاعــدام الذى صــدر ضدهــم » .

---

(70) R. A. H., ms. S 2, f° 10 v°.

(71) Llorente, **Historia critica...**, **op. cit.**, t. II, p. 153.

(72) المصدر السابق ، ص 287 .

(73) A. H. N., Inq., leg. 2603, I.

أما الآخرون فسوف يحاكمون فيما بعد . وفي نفس الوقت سلم أحد المرتدين الى السلطة المدنية ، بسبب رجوعه الى أسبانيا للغزو على سواحل المونكار ((Almunecar)) ، وقد القى القبض عليه اثناء ذلك (74) .
كما اننا نلاحظ أيضا أن الاحكام الصادرة ضد المرتدين كانت على الخصوص قاسية جدا . أما الاشخاص الذين سيعدمون حرقا ، فانهم في الغالب من المرتدين ، ولكل ما يتعلق بمحكمة كوانكا : « فقد قدموا تقريبا كل الشخصيات القليلة (وهم اقل من عشرة) وهم المفرج عليهم الى السلطة المدنية » (75) .

ويبدو أن هذه العادة كانت مقبولة من طرف كل محاكم دواوين التفتيش. من ذلك أن محكمة لوقرونو (Logrono) أحرقت موريسكية سنة 1576 ، بعد أن تم تنفيذ عقاب العار فيها وهو الشنق . ان هذه السيدة كانت قد أعفى عنها سنة 1571 ، لانها تعد احدى موريسكيات غرناطة التي استفادت من العفو العام الذى أعلن عنه بعد حرب البشرات . وأسقف كالاهورا (Calahorra) من جهته ، فرض عليها توبة سرية . أما الآن فقد أصبحت « من المرتدين الى دين محمد » ، وهو السبب الذى من أجله سلمت الى السلطة المدنية وتم احراقها (76) .

لنوضح هنا أن محاكم دواوين التفتيش لم تكن هي التي تصرح بحكم الاعدام ، بل هي تكتفي « بتسليم الاشخاص الى العدالة والسلطة المدنية التي نتوسل اليها بكل خشوع ، في نطاق القانون الذى يسمح لنا بذلك ، على أن يتم التصرف معه بكل رأفة وشفقة » !

واخيرا باستطاعتنا ملاحظة أن كل المرتدين لم يسلموا الى السلط المدنية. ويبدو أن عدد من أحرق من الموريسكيين نسبيا اقل من عدد اليهود والبروتستانت، ولا شك أن مرد ذلك حتما الى وجود قوانين العفو التي منحت للموريسكيين ، وبامكاننا عن طريق استعمال المعلومات التي وفرها لنا للورانت (Llorente) أن نضع هذا الرسم الذى يحتوى على عدد من أحرق في مرسية ما بين 1557 و 1563 (77) .

محاكم دواوين التفتيش بمرسية
الاشخاص الذين أحرقوا

	الاشخاص الذين احرقوا	الذين احرقوا على صورة تمثال	الذين تلقوا عقوبة
1557	11	—	43
1559	33	5	43
1560 (1)	14	22	29
1560 (2)	16	8	48
1562	23	—	17
1563	17	4	47

(74) المصدر السابق .
(75) حسب : Loupias, Bernard, « La pratique secrète de l'Islam dans les evêchés de Cuenca et de Siguenza aux XVIe et XVIIe siècles », in **Hesperis Tamuda**, Vol. IV, 1965, p. 121.
(75) Llorente, **Historia critica...**, **op. cit.**, t. IV, p. 229.
(77) المصدر السابق ، ج 11 ، ص 150 — 153 .

ان هذه الارقــام لا تمس فقط الموريسكيين ، ولكن ايضا الاشخاص الذين عوقبوا لاسباب مختلفــة : من ذلك من بين 48 « شخصا أحرق » خلال عمليــة تنفيذ الحرق في سنــة 1560 ، فــان 22 منهم كانوا بسبب يهوديتهم ، و 12 بسبب اسلامهم و 5 بسبب لوثريتهم و 7 بسبب تعدد زوجــاتهم و 2 بسبب الشتم الصادر عنهمــا . ومن بين 17 شخصا الذين أحرقوا سنــة 1563 ، فان 16 منهم كانوا بسبب يهوديتهم وواحدا فقط بسبب الاسلام .

أما اتهامات المغــاربة فكانت مماثلــة : ذلك أن الاسرى الذيــن رجعوا من الجزائر ذكروا قصصا مرعبة جدا عن أسرهم . وفراى دياقو دو هيدو انطلاقــا من صقلية ، كان قد جمع ما قصه عليه الاســرى الرجعــون من المغرب العربي وقد وضع كل ذلك في كتابه : (Topografia e Historia General de Argel مثلا ما يلي : « كل الجزائر وكل الاماكن والمنازل والشوارع والحقول والمينــاء وبواخره ، ليست سوى المسكن الحقيقي الطبيعي للشيطان وحيث منــذ الأزل والى الأبــد ، لا تسمع الا الضرب والتعذيب والآلام المتكــررة والعديدة ، وهي التي كانت على مستوى كل الاختراعات القــاسية والوسائل الغير الانسانيــة لقتل المسيحيين » (78) .

وقد ذكر بدقة أيضا أن أخطر الاشيــاء بالنسبة للمسيحيين ، هم العرب القادمون من اسبانيا في مختلف الأزمنــة والذين يقطنون حاليــا الجزائر وهم « المــدجنون » أصيلو غرناطــة أو الانــدلس أو التغــارينوس (Tagarinos) أصيلو أراقون ، وبلنسية أو كاتالونيا (79) . وجميعهم في الغالب يعد أكبر وأقسى الاعداء من المسيحيين المتواجدين في المغرب العربي، ذلك أنهم لا يشفى غليلهم وليس من السهل تهدئة عطشهم لاراقة الدم المسيحي .

كما انه أثــار أيضا المعاملة التي يتلقاها المسيحيون الذين أجبروا بالقوة على التجــديف في السفــن الشراعيــة التي تقــوم بحمــلات علــى السواحــل الاسبانية : « ان المعــاملة بالضرب بالعصى وباليــد وبالرجل والسياط ، ثــم الجوع والعطش مع استعمال عــدد لا يحصى من وسائل القسوة اللا انسانية والمستمرة ، كانت متداولــة مع المسيحيين التعساء الذين يبقونهــم يجدفــون دون أن يمكنوهم من نصف ساعة راحة ، فانهم يشقون بقسوة ظهورهم وهذا الى درجة نزف دمائهم ، وسمل عيونهم ، وقطع أوصالهم ، وكسر عظامهم ، وقطع آذانهم وجدع أنوفهم، وهذا الى درجة اغتيالهم بقسوة وقطــع رؤوسهم ورميهم في البحر ، وكل هذا ليتسنى لنوتية السفن من أعمال النهــب أكثــر مــن عمليــة الابحــار نفسهــا » (80) .

جشــع محــاكــم دواويــن التحقيــق :

ان المآخذ الآخر الذى وجــه الى محاكم دواوين التفتيش هو سعيهــا الى ابتزاز أموال الموريسكيين . وقــد كتب أحد المهــاجرين الى تونس ، من نفس المخطوط المذكور سابقــا S 2 : « بواسطة عدالتهم المتعسفة ودواوين ومحاكم

(78) Haëdo, **Topografia..., op. cit.**, f° 97.
مذكور فى : Bauer y Landauer
مدخل نشر العمل : Col. Bibliofilos Espagnoles, p. X.
راجع أيضا : ج 1 ، ص 178 .
(79) **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 50 — 51 .
(80) **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 86 .

تفتيشهم القاسية ، ونظرا لاتعسف والعقوبات التي يلحقونها ، فانهم يضعوننا تحت رحمتهم وينهكوننا ويحرقون آباءنا وأصدقاءنا ، ويستولون على أملاكنا بكل قسوة واستبداد ، ثم يضغطون علينا وعلى أبنائنا لنفقد أرواحنا . ولنشكر العناية الإلاهية ألف مرة لأنها انقذتنا من وسطهم » (81) .
وبالفعل فان حالات الاتهام « بالتبعية للدين المحمدى » التي كانت امتحانا عسيرا ، قد كوفئت على العموم بالطرد ، والذى يمكن أن يرفع في حالة الارتداد واستصدار الاملاك ، وهذه الاخيرة تبقى نهائية . ان صيغة الاتهام هي التالية : « للوقوع تحت طائلة الحكم بالطرد الأكبر وبكل العقوبات الاخرى ، التي يتعرض لها الملحدون الذين ، تحت صفة واسم المسيحيين ، يقومون بمثل هذه الجرائم ويتم استصدار أملاكهم ، وحيث نطبق عليها نظام المجلس وأداء جلالته ، وكذلك على جابي تلك المقادير ... » (82) .

ندرك اذن جيدا الآن ، أقوال ايزابال دولينان التي دفعت من كان موقوفا معها الى انكار أنهم مسلمون ، اذا رغبوا في عدم فقدان كل أملاكهم (83) .

الا أنه عندما يوقف مفتشو دواوين التحقيق احد المشبوهين بتهمة « الارتداد الفاسد والكفر » ، فانهم يصادرون كل أملاكه في الحال . ان الصيغة التي وضعت لذلك وطبعت في أواخر القرن السادس عشر ، قد سلمت الى المأمور ، تنص على ما يلي : « ثم تصادرون كل املاكه المنقول منها والعقار ، أين وجدت ، يساعدكم في ذلك جابي محكمة دواوين التفتيش » (84) .

وبالاضافة الى ذلك فان المأمور وجب عليه أن يستولي في نفس الوقت ، من السجين نفسه مبلغ 20 دوكا : واذا لم يتمكن من جمع هذا المبلغ ، فانه يلجأ عندئذ الى بيع علني لبعض أملاك الموريسكي ، « حتى يستكمل ذلك المبلغ » (85) .

وتسلم قيمة هذا المبلغ الى محاكم دواوين التفتيش ، لتصرف جزءا منها على السجين ، وتحتفظ بالاضافة الى ذلك ، بنسبة قيمة الاملاك المصادرة ، ومقابل ذلك تقوم بتسديد مصاريف موظفي المحكمة ورواتب مختلف العمال الذين بعهدتها .

لم نتمكن لحد الآن من العثور على النص الذى سيسمح لنا بدقة بمعرفة نسبة الاملاك المصادرة التي استولت عليها محاكم دواوين التفتيش : ويمكن

---

(81) R. A. H., ms., S 2, fº 5 rº وقد ذكر جيرومينو دو روجاس : « حتى من اجل سخائف الامور ، فان هذه المحكمة تنتزع منهم أملاكهم » راجع :
A. H. N., Inq., leg. 197, nº 5. واذا لم يتمكن الموريسكيون من الدفع ، فانه يزج بهم فى السجن : من ذلك أن ماريا ذو هاروديا دو سوكوالماموس (Maria de Heredia de Socuellamos) قد حكم عليها بتسديد مبلغ 10.000 مارافيدس كغرامة سنة 1585 . ونظرا لعدم استطاعتها تسديد هذا المبلغ ، فقد بقيت فى السجن حتى سنة 1600 . وقد أعطى الكاردينال دون فارنندو نينو دو قوفارا (Cardinal don Fernande Nino de Guevara) المفتش العام ، الامر باطلاق سراحها ، راجع : A. I. C., leg. 303, nº 4358

(82) A. I. C., lef. 369, nº 5214.

(83) المصدر السابق ، رقم 5214 .

(84) راجع القضية المذكورة أعلاه .

(85) A. I. C., leg. 369, nº 5214.

أن تكون عشرة في المائة اذا اخذنا بالاعتبار قيمة الأملاك التي سلمت الى محاكم التفتيش ، بسرقسطة لحظة الطرد النهائي . وعليه فاننا نقرأ في أحد مصنفات حسابات المملكة سنة 1613 ما يلي : « لقد سلم الى محاكم دواوين التفتيش لملكة اراقون ، وهذا وفقا لأمر جلالته وكتعويض لما فقدته نتيجة الطرد النهائي للموريسكيين ، مبلغ 471.533 جنيها (86) .

ويبدو ، على أية حال ، ان الجزء الذى سلم الى محاكم دواوين التفتيش بغرناطة قد ارتفع ، ففي رسالة وجهت الى المجلس الأعلى سنة 1564 اشتكى كاتب عدل المحكمة من المداخيل الغير الكافية « عندما يستلم ثلث الاملاك المنقولة ، وهذا شيء قليل » وقد أضاف : أن الاملاك العقارية ، والاحرى عدم اثارة ذلك ، باعتبار أن الموقوفين يعدون فقراء .

وهذا ما يجعل تغطية « تكاليف ورواتب موظفي محكمة دواوين التفتيش» مستحيلا على الرغم من الزيادة التي تأتت عن الغرامات المفروضة من أجل تغطية المصاريف الضخمة لمحاكم دواوين التفتيش (87) .

ومن جهة أخرى نعلم أنه بين 1550 و 1570 ، كانت محاكم دواوين التفتيش الغرناطية ، تستولي سنويا على أملاك سبعين موريسكيا . وقد ذكر المؤرخ جراد (Garad) أن حركة محاكم دواوين التفتيش ، استمرت متبنية هذه الطريقة ، على اساس ارتفاع المبالغ كل سنة ، وهذا الى درجة وصولها الى قمتها خلال الخمس سنوات التي سبقت ثورة البشرات ، وهي الثورة التي كانت في الواقع تعبيرا أو سببا مباشرا لانتفاضة الموريسكيين ضد مصادرة أملاكهم (88) . كما أنه وجب القول أيضا أن مشاريع محاكم دواوين التفتيش الغرناطية كانت على الخصوص مزدهرة الى سنة 1570 : حين كانت ترسل دوريا مهمات مراقبة لدى العائلات في أهم المراكز ، وتكلفها بالتأكد من درجة اعتناق الموريسكيين الدين المسيحي . ففي احدى الرسائل التي وجهها المبعوثون الى مالاقا ، يخبرون محاكم دواوين التفتيش الغرناطية في سنة 1560 : أنهم ارسلوا تحت الحراسة المشددة 18 سجينا وانه « بسبب العدد الضخم من السجناء الذين تحت رقابتهم الآن فانهم لم يرسلوا الان اكثر من ذلك العدد ، وان لديهم بالاضافة الى ذلك 200 حالة بسيطة أخرى ، وأنهم دفعوا حوالي 200.000 مارافيدس (Maravedis) مقابل توبتهم » (89) .

وفي سنة 1536 قرر جلالته عدم مصادرة أملاك الموريسكيين الاراقونيين في المستقبل ، وسوف يؤكد هذا القرار البابا جول الثالث (Jules III) (90) وحين لا يذهب الموريسكيون الى التفكير أن الامر يتعلق باجراءات تتعلق بالمال تتخذ ضدهم ، فان الحاكم العام قرر ان الحاق العقوبات المالية باراقون لا يمكن أن تنطبق على محكمة دواوين التفتيش ، وعلى وزرائه ولكن يمكن الحاقها لفائدة الاعمال الخيرية أو مساعدة المحتاجين . وبالاضافة الى ذلك ،

(86) B. N. M., ms. 7797 وهي مخطوطة غير مرقمة .
(87) A. H. N., Inq., leg. 2603, I.
(88) Garad, K., « La Inquisicion y los Mariscos Granadinos (1526-1580) » in, **Bulletin Hispanique** t. LXVIII, nos 1 et 2, pp. 63-77.
(89) A. H. N., Inq., leg. 2603, I.
(90) A. H. N., Inq. leg 1791, II.

فان هذه العقوبات المالية يجب أن تكون « قليلة ومعتدلـة » ، وقد برر الحاكم العـام اذن هذا العفو الخاص بدرجة بقـاء منطقة أراقون اسلامية ، وهذا بعد اعتناقهم الدين المسيحـي : « ان الامر لصعب جـدا بالنسبـة لأولئك الذيـن ربوا وولدوا على ديانة وأسلوب معين ، ثم اعتنقوا ديانة أخرى ، أن يتمكنوا في ظرف قصير جدا من اعتناق الديانـة الجديدة على الوجـه الأكمل ودون أن تبقى بعض الرواسب لديهم » .

ان نظام المحاباة هذا ، قد تحصل عليه وعلى الخصوص بفضل مساندة النبلاء الذين كانوا يشغلون الموريسكيين ، والذين ليس لهـم أى فائـدة في إزعاجهم من طرف محاكم دواوين التفتيش . وقد طبقت هذه الإجراءات كذلك في مملكة بلنسيـة وإمارة كاتالونيـا . وقـد ذكر الملك فيليب الثـاني بهـذا الخصوص أنه من خلال تسامح دواوين التفتيش تجاههم هذا بفضل المحاباة والعفو الخاص ، فقد تقرر أنه خلال أربعين سنة ، لا تحاكم دواوين التفتيش الذين اعتنقوا ديانتنا الكاثوليكية المقدسة ، ولا ضد أشخاصهم واملاكهم . إن الهدف المقصود من ذلك في هذه المناطق « أن لا يبقى عربي واحد ولا كافر ما عدا الأشخـاص المسجونيـن » وقد الح ايضا على الفائدة الكبيرة المتمثلة دوما في تعليم الموريسكيين . وعليه فقد قرر الملك أن أملاك المسيحيين الجدد لا يمكن أن تصادر بسبب جريمة البدع أو الكفر وهذا حتى بالنسبة للفقهاء العقائديين او المرتدين . إن العقوبات المالية لا يمكن أن تتجاوز العشرة دوكا ، وهي التي طبقت على الكنيسة من اجل الأعمـال الخيريـة في هذه المنطقـة . وقد كان هذا القرار نافذ المفعول بالنسبة للتغاريين (Tagarins) المقيمين منذ عشر سنوات بمملكـة بلنسيـة . وهذه الغرامـات تجلب نسبيا حوالـى 500 جنيه كل سنة لمحاكم دواوين التفتيش ببلنسية .

غير انه وجب على هاته المحاكم أن تعيش وعليه ، فقد أجبر الموريسكيون على أن يدفعـوا « 50.000 صولـة ((Sols)) بعملـة بلنسيـة » علـى دفعتين إحداهما بتاريخ 30 سبتمبر والاخرى بتاريخ 30 مارس من كل سنة . وهذا ما يسـاوى بعملـة قشتـالة 2.500 جنيـه . وحتى يتمتعوا بنفس هذه الامتيازات ، فقد وجب على موريسكيـي أراقـون ، أن يسـددوا الى محـاكم دواوين التفتيش بسرقسطـة ما قيمتـه : 32.171 صولـة وديـناران (91) . إن هذه المبالغ القارة سوف تختفي لحظة الطرد النهائي وعمليا فان الوضعية بالنسبة لمفتشي دواوين التحقيق ستصبح على ضوء ذلك ، مقلقة . وقد وجه عدد من محاكم الدواوين المذكرة تلو الأخرى الى الملك فيليب الثالث ، للحصول على الإعانات المالية . اما محكمة بلنسية فقد حددت أنها خسرت ، بالاضافة الى المبلغ القار الذى يسـدده الموريسكيـون « الضـرائب التي كان يسددهـا الاشخاص الذين يؤجرون اراضيهم للملك : وفي مذكرة كانت قد وجهتهـا الى الملك في سنة 1614 حول الخسارة الفادحة التي نتجت عن الطـرد النهـائي للموريسكيين وللمبالغ المستحقة حتى ذلك التاريخ « وقد قدرت تلك الخسارة بما قيمته : 18.509 جنيه و 2 صولة » (92) ومنذ سنة 1610 طالبت محكمة بلنسية من جلالته الا يكون شحيحا تجاهها ، وخاصة وان المحكمة تستحق تقدير الدولة : وإذا كان الملك قد استطاع ان يطـرد بسهولـة الموريسكيين ،

(91) A. H. N., Inq. leg. 4671, I.
(92) المصدر السابق ، 4671, I

فإن الفضل مرده الى نشاط محكمتي دواوين التفتيش ببلنسية وبسرقسطة اذ بفضلهما ، أمكن تجريد الموريسكيين ، ولو لم يكن كذلك ، لتسببوا في مشاكل كثيرة » وبالاضافة الى ذلك ، ذكرت محكمة بلنسية خدمات محكمة أراقون « اذ بسبب المجاورة مع فرنسا وبيارن ((Béarn)) فإن عملها أصبح مضاعفا » ، وإذا لم يقرر الملك تقديم المساعدة إليها ، فإنها سوف لن تتمكن من الاجور التي وجب عليها تسديدها للموظفين (93) . وقد وجب الاعتقاد بأن الأمور تحتاج الى الوقت ليتم تسويتها ، ذلك لأن المسؤول عن محكمة دواوين التفتيش ببلنسية قد كتب بتاريخ 28 جوان 1616 (94) الى « مجلس جلالته بمحكمة دواوين التفتيش بمدريد » يحيطه علما ان عليها مبلغ 230 جنيه كرواتب متأخرة ، تتعلق بأربعة مفتشين وقاضي الأملاك و 15 ضابطا مختلفين .

أما محكمة دواوين التفتيش بغرناطة ، فقد عرضت نفس هذه المشاكل المالية سنة 1571 لحظة الانتفاضة العامة بتاريخ 2 جوان 1571 : « هذه المحكمة لها كثير من الضرائب ورأس مال كل أملاك الموريسكيين المصادرة في كل القرى التي ثارت في مملكة غرناطة ، غير أنه نظرا لحالة الانتفاضة ، فقد تعذر جمع الضرائب ، هذا فضلا عن عدم وجود من يجمعها » ، وعليه فقد طلبت من جلالته اتخاذ الاجراءات التي تسمح لها بالتعويض عن هذا النقص الذى قدر بما قيمته : خمس عشرة وحدة حسابية و 300.000 مارافيدس » (95) .

وقد تبين لنا بسهولة كيف أن دواوين محاكم التفتيش كانت تعيش في جزء كبير من نفقاتها من الموريسكيين ، غير أنه وجب القول على الخصوص ان مصلحة الضرائب الملكية هي المستفيدة من ذلك : ومحاكم الدواوين لم تكن سوى الجهاز الإداري لها ، وهي بالإضافة الى محافظتها على وحدة العقيدة ، كانت توفر مداخيل ضخمة الى التاج ، وهذا ما يفسر أيضا كيف أن البلاط الملكي قد تردد كثيرا في طرد الموريسكيين .

الدور الحقيقي لمحاكم دواوين التفتيش

أ) الدفاع عن وحدة العقيدة والقيم الاجتماعية :

ان الدور الرئيسي لمحاكم دواوين التفتيش هو المحافظة على وحدة العقيدة ضد كل ابدع . وعلى ضوء ذلك فقد عمدت الى تنظيم وحداتها ضد الموريسكيين ، وهذا وفقا لحركة تصاعدية بمطالبتهم باعتناق الدين المسيحي ، ليصبحوا مسيحيين صادقين ، وقد ظهرت هذه المحاكم في عدد كبير من الولايات أين يقطن الموريسكيون كرد فعل رسمي بعد المعارضة العنيفة في بعض الأحيان، والتي أظهرها الموريسكيون ضد الاعتناق القسرى.

ففي غرناطة حيث بدأ المشكل في اول وهلة ، وكان له اتجاهان متعارضان أحدهما وهو الذى تبناه أسقف غرناطة فراى هارنندو دو تالافيرا الذى يعد من انصار النظام القديم والمتمثل في المحافظة على « الوضع كما هو عليه » بين المدجنين والمسيحيين وهو القاضي بالانتصار قبل التعميد . اما الاتجاه الثاني

---

(93) المصدر نفسه .
(94) المصدر نفسه .
(95) A. H. N., leg. 4670, III.

فهو الذى تبناه فراى فرنسسكو جيماناس دو سيثيروس (Fray Fransisco Jimenez de Cisneros) وهو القاضي بتطبيق سياسة اعتناق منظمة وسريعة للموريسكيين . ومنذ سنة 1499 ، طبق الاتجاه الثاني والذى انتج التعميد الجملي (96) .

وفي سنة 1501 حدثت انتفاضة الموريسكيين ، وهي التي تسببت في اتخاذ القرارات التي نعرفها عن تعميد ودمج كل الموريسكيين . وعندما اتخذ المبدأ ، يبقى أمر تطبيقه : فأحيانا كانت السلطة تستعجل الامر وفي بعض الأحيان الاخرى تمنح آجالا حول بعض النقاط المحددة . من ذلك في سنة 1508 ، تقرر أن يترك الموريسكيون أزياءهم التقليدية ، غير أنهم قد منحوا مهلة سنة أو سنتين وارفقت بأخرى (97) . وسوف نصادف هذا النوع من الحوادث في مختلف المناطق التي يوجد فيها الموريسكيون : فأولا : قرار التعميد القسرى ثم انتفاضة الموريسكيين وأخيرا ردود الفعل الرسمية : ثم القرارات للحصول على اندماجهم الكامل وفي نفس الوقت منحهم مددا اضافية .

وعلى اثر اتخاذ قرار لتعميد القسرى ، فان دازا المفتش العام الثاني قد رغب في اقامة محكمة تفتيش في غرناطة . وقد رفضت ذلك الملكة، الا أن السلطة القضائية بقرطبة قد امتدت حتى غرناطة ، وقد تم ضبط الأمر التالي : إن الموريسكيين لا يمكن أن يلاحقوا من أجل ارتداد حقيقي (98) . وفي كثير من الأحيان وخلال القرن السادس عشر ، كان دور الملوك يقضي ، إذن بالحد من حمية محاكم دواوين التفتيش . وعليه فإن الملك شارل الخامس قد وصل الى اسبانيا بفكرة القضاء على محاكم دواوين التفتيش ، غير أن الكاردينال ادريان (Adrien) ، وهو المفتش العام الرابع وأسقف طرطوشة ، سوف يكون المدافع عن هذه المؤسسة وسوف يقنع الملك بالدور الهام الذى يمكن أن تقوم به في اسبانيا . وعليه فان المحكمة سوف لا تستقر اذن بغرناطة إلا ابتداء من سنة 1526 ، وفي نفس الوقت ببلنسية واراقون ، وسوف يمنح الموريسكيون قرارا بالعفو خلال ثلاث سنين ، وبإمكانهم الاستفادة منه إذا تراجعوا واعترفوا باخطائهم .

وفي أراقون لم ينفذ قرار الملوك الكاثوليك بإجبار كل موريسكيي إسبانيا باعتناق الدين المسيحي . وقد أجبر الملك على التراجع تحت ضغط الاقطاعيين الذين كانوا اشعروا الملك بالخسارة الفادحة التي تحل بفلاحتهم ، وهذا نتيجة هجرة الموريسكيين الذين سيتخلون عن الأماكن الخاضعة للقانون الإقطاعي وقد عثر على حل بمنطقة كورتس دو مونزون سنة 1510 ويقضي بأن عرب أراقون وكذلك عرب بلنسية سوف لن يتم طردهم وسوف لن يجبروا الآن على التعميد : « ان العرب لن يطردوا ولن يغادروا مملكة بلنسية وإلا الاماكن أو المدن الملكية التابعة لها ، ولن يجبروا على اعتناق الدين المسيحي » (99) وفي سنة 1519 بمنطقة مجلس سرقسطة تم تجديد هذا التعهد .

(96) راجع : Baroja, **Los Moriscos...**, op. cit., pp. 14-15

(97) المصدر السابق ، ص18 — 19.

(98) Llorente, **Historia critica...**, op. cit., t. II, p. 147.

(99) نشر هذا النص من طرف :
Fernandez y Gonzalez, **Estado social...**, op. cit., p. 441.

غير أنه في سنة 1526 ، أمر الامبراطور بوجوب تعميد كل الموريسكيين في نفس هذه السنة ، وعليه فقد اخذت محاكم دواوين التفتيش على عاتقها تنفيذ هذا الأمر . إلا أنه في بلاط دو مونـزون سنة 1528 ، طلـب الملـك من محاكم دواوين التفتيش أن لا تقوم بشيء ضدهم ، وحتى بالنسبة للحالات « الاسلامية » البينة ما دام الموريسكيون لم يلقنوا جيدا تعاليم الدين المسيحي. بل ان براءة بابويـة قد صدرت بهذا المعنى بتاريخ 2 ديسمبر 1530 (100) . أما في بلنسيـة ، فإن تطور الوضع كان ممـاثلا وقد تحول الأمر تدريجيا من التسامح الى الاعتناق القسرى . وفي بعض الأحيان ، ساهمت الأحداث المحلية الى توالي ا قرارات من ذلك فإن حرب « الجرمانياس » (Germanios) أو المجموعات الشعبية كان لها نتائج على مصير الموريسكيين .

وهذه المجموعات كانت عادة تنتمي كلها الى الشعب الذى كان يعـارض طبقة النبلاء . وبالتحديد، فقد رغبوا في إلحاق المضرة لمالكي الأراضي الكبيرة، بجعل الموريسكيين التابعين لهم مسيحيين . وبهذه الصفة فإن الموريسكيين سوف لن يدفعوا للنبلاء إلا نصف الأداء المفروض عليهم تسديده ، وعليه فإن 160.000 عربي قد اعتنقـوا الديـن المسيحـي . إلا أن الامبراطور قد نجح في التقليل من الانتفاضة الشعبية : وقد عمـت الفوضـى والرعـب في صفـوف المجموعة الموريسكية ، خوفا على المصير الذى ينتظرهم . ونتيجة لذلك فإن عدة آلاف منهم قد التجأت الى الجزائر سنة 1523 (101) .

واثناء ذلك ، قرر شارل الخامس التخلص من سيـاسة التسـامح تجاه المسلمين باسبانيا . وقد طلب من ا بابـا المغفرة لنقض العهـد الذى أخذه على نفسه بعدم إزعاج بقايا المسلمين بأراقون وبلنسية ، وقد منحه البـابـا ذلك بتاريخ 12 مارس 1524 ، إلا ان البابا طلب من الامبراطور مقابل ذلك أن تعمل دواوين محاكم التفتيش على تعميدهم. اما اذا رفضوا، فقد وجب عليهم مغادرة البلاد ، وعكس ذلك سوف يعرضون انفسهم الى العبودية الأبدية « وأن يتم تحويل الجوامع الى كنائس وان الأملاك المحبسة لها ، سوف يصبح جزء منها ملكـا للاقطـاعيين كتعويـض لهـم . وفي شهر ماى 1525 كان المفتش العام دون الفونسو مانريك (Don Alfonso Manrique) الذى خول صلاحيات السلطة بالنسبة لمملكة بلنسية لدون قاسبار دو افالوس (Don Gaspar d'Avalos) وهو أسقف قاواديكس (Guadix) والذى أمر بأن كل الموريسكيين الذين تم تعميدهم ، وجب أن يزوروا كاتدرائية بلنسية ليبرؤوا من تهمة البدعـة والكفـر ، وهذا دون ان يلحقهـم اى عقوبـة ولا أى مخالفة أخرى . اما في حالة الارتداد، فإنهم يعاقبون بالموت وتصادر أملاكهم، وقد نتج عن ذلك ان فصل الصيف الموالي لاتخاذ ذلك القرار ، كـان شديدا : اذ التجأ عدد كبير من الموريسكيين الى سيارا دو برنيا (Sierra de Bernia) غير أن جيوش الامبراطور قد انتصرت عليهم .

وبتاريخ 13 سبتمبر من نفس هذه السنـة ، أمر الامبراطور بتعميد كل الموريسكيين . ففي رسالـة كان قد وجههـا الى « عرب بلنسية » قـال لهم : لتعلموا أننا محـاطون بعناية وهداية الخـالق وانه في كل ممالكنا وولاياتنـا

(100) Llorente, **Historia critica...**, **op cit.**, t. II, p. 270.

(101) **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 257 .

التي هي تحت رعايتنا ، نحافظ ونطبق دينه المقدس من أجل انتصار وثناء اسمه المقدس ، فمن أجل ذلك نرغب في انقاذ أرواحكم وانتزاعكم من الضلال الذى تعيشون فيه . وعليه فاننا نطلب منكم ونعظكم ونأمركم أن تعتنقوا جميعكم الدين المسيحي ، وأن تتلقوا ماء التعميد المقدس » . وقد درس الامبراطور وسيلتين لتحقيق هذه الغاية : ان الذين يقبلون ذلك سوف يتحصلون على كل الحريات والاعفاءات التي يتمتع بها المسيحيون ويتلقون كل الامتيازات وحسن المعاملة الممنوحة للرعايا المؤمنين . أما الشق الرافض لذلك ، فانهم يجبروننا على معالجة الامر بطريقة أخرى » (102) . وبتاريخ 16 أكتوبر 1525 تقرر أن كل الموريسكيين وجب أن يحملوا على قبعتهم : « نصف هلال من قماش أزرق وبحجم برتقالة » . وبتاريخ 18 نوفمبر أجبر الجميع أن يبلغوا عن الاشخاص الذين رجعوا الى الاسلام . وأخيرا بتاريخ 8 ديسمبر اوضح ان كل الموريسكيين وجب تعميدهم جبرا قبل 31 جانفي 1526 . وقد نتج عن هذا القرار الاخير انتفاضة شارك فيها 26.000 عائلة موريسكية. وأهم مركز للتحرك كان لاسيارا دو اسبادان **La Sierra de Espadan**
وأخيرا ، فان الموريسكيين قد قبلوا التعميد شريطة منحهم نفس التسهيلات الممنوحة لموريسكيي غرناطة : على أنهم لم يطالبوا قبل عشر سنوات أخرى بارتداء الزى المسيحي ولا التخاطب باللغة الاسبانية. وبتاريخ 12 جانفي 1534 أمر الامبراطور محكم دواوين التفتيش ببلنسية بعدم مصادرة أملاك الموريسكيين بتهمة البدع وهذا خلال مدة أربعين سنة . وفي سنة 1535 اضاف المجلس الأعلى عدم تطبيق جريمة « الحرق » على الموريسكيين وكذلك على المرتدين (103) .

على أن أول من نظم عقوبة دواوين التحقيق ضد الموريسكيين ، كان المفتش العام الخامس دون الفونسو مانريك ، أسقف اشبيلية والذى أصبح فيما بعد كردينال الكنيسة الرومانية ، وقد فتح جبهة مكافحة اليهود واللوثريين والموريسكيين . ونظرا لوجود قائمة بالمواد الخاضعة للوشاية ضد اليهود ، فان دون الفونسو مانريك قد وضع قائمة بالاتهامات ضد الموريسكيين (104) . كانت هذه القائمة تنشر كل سنة على شكل قانون في أحد أيام صيام الأحد : وحيث نص فيه انه وجب على كل المسيحيين الاعلام ، خلال ستة ايام اذا لم يقوموا بذلك تكون العقوبة الصارمة نتيجة ارتكابهم لخطإ فادح ، عندما لا يخبرون عن كل ما سمعوا او رأوا لدى الموريسكيين مخالفة للعقيدة المسيحية ، على ان يرفق هذا القانون بالقائمة التي نقرأ فيها ما يلي :

« ولكل ما يتعلق بالموريسكيين والملحدين المحمديين ، فاليكم المظاهر والاشياء التي وجب الاخبار عنها :

- « واذا سمعنا ان الدين المحمدى هو الأحسن .
- وانه لا يوجد غيره للوصول الى الجنة .

---

(102) نشرت هذه الرسالة من طرف :
Fernandez y Gonzalez, **Estado social...**, op. cit., p. 443.
(103) Llorente, **Historica critica...**, op. cit., t. II, p. 283
(104) **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 240 — 248 . نشر المؤلف 36 تهمة ضد الموريسكيين : راجع أيضا الجزء الثانى ، الفصل رقم 12 ، ص 250 — 290 .

ـ وأن المسيح كان نبيا وليس إلاهـا .
ـ وأن والدته لم تكن عـذراء .
ـ وانه اذا سمعنا أو رأينـا ان المسيحيين الذين تم تعميدهم يقومـون ببعـض طقـوس أعيـاد الديـن المحمـدى مثـل الاحتفـال بيـوم الجمعـة بأكلهم اللحم وقولهم بأنه حلال وكذلك تزيينهم بقميص نظيف وألبسة أحسن من بقية الايام الاخرى .
ـ اذا ذبحوا الدواجن أو الحيوانات ، قـاطعين العنق بسكين ، وتاركين اشارة على الرأس ، ومحولين وجهة الرأس نحو الشرق وقـائلين « باسم الله » ورابطين أرجل الحيوان المذبوح .
ـ اذا رفضوا أكل لحم الحيوانات الغير المذبوحة او تم ذبحهـا من طرف النسـاء .
ـ اذا ختنوا ابناءهم أو لقبوهم بأسماء عربية أو اظهروا الفرح بتلقيبهم بتلك الاسماء ونادوهم بهـا .
ـ اذا قالوا انه وجب الايمان بالله وبمحمد نبيـه .
ـ اذا حلفوا بكل الايمان القرآنيـة .
ـ اذا قـاموا بصيام رمضان ، وراعوا ذلك أثنـاء عيـد الفصح وسلموا بعض الصدقات وأنهم لم يأكلوا ولم يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الاولى .
ـ أنهم اذا قـاموا بالسحور ، واستفاقوا ليـأكلوا قبل طلوع النهـار أو غسلوا أفواههم ورجعوا الى فراشهم .
ـ أنهم اذا قـاموا بالوضوء ، وغسلـوا السواعد والأيدى حتى المنـاكب والوجه والفم والانف والاذنين والساقين والاعضاء الجنسية .
ـ اذا قـاموا بالصلاة وحولوا وجهتهم الى الشرق وتم ذلك فوق حصير أو قطعة قماش ، ثم قـاموا ونفضوا رؤوسهم ، قائلين بعض الكلمات العربية وقائمين بغيرها من الصلوات المحمدية .
ـ اذا احتفلوا بعيد الاضحى بعد قيامهم بالوضوء .
ـ اذا تزوجوا على المنهج المحمدى .
ـ اذا غنوا الأغـاني العربية ونظموا حفلات او رقصـات وغنوا بـآلات موسيقية ممنوعـة .
ـ اذا وضعوا على أبنـائهم أو أشخـاص آخريـن شكل يد بهـا خمس اصابع كذكرى للأوامر الخمسة .
ـ اذا احترموا تعاليم الاسلام الخمسة .
ـ اذا غسلوا موتـاهم ولفوهم في كفن من قمـاش أبيض ، ودفنوهم في ارض بكـر او في قبـر عميـق وأضجعوهم فيـه ، وواضعـين حجـارة تحت رؤوسهم ، وتاركين على اللحـد غصونـا خضراء وشيئـا من العسل والحليب وأكلات أخرى .
ـ اذا تذكروا محمـدا عنـد الحاجـة ، وانـه نبي الله ورسولـه وأن اول معبد لله هو بيت مكة ويقولون إن محمدا دفن بها .
ـ اذا قالوا ان العربي ينقذ بالتجائه الى دينه وان اليهودى الى عقيدته.
ـ وان احدهما اجتاز الى بلاد المغرب أو غيرها وارتد عن المسيحية .
ـ اذا قالوا أو فعلوا أي شيء مرتبط بالدين المحمدى » .
ندرك اذن كيف أن الباب كان مفتوحـا للوشاية والحقد والانتقام . ومع هذا فان الاسقف مانريك ، حسب رأى لورانت (Llorente) عرف كيف يلطف صرامة محـاكم دواوين التفتيش : « لقد أشفق على الموريسكيين ، وقد جنبهم

كل الاضطهادات التي قدر عليها ، وهذا وفقا للوعد الذى قطعه الملوك الكاثوليكيون بعدم تسليمهم الى محاكم دواوين التحقيق ولا معاقبتهم من أجل أمور بسيطة » وأثناء مروره ببرغش ، سعى الموريسكيون لملاقاته بتاريخ 28 أفريل 1524 ، وشرحوا له كيف أنهم سددوا كفالات للحكام العامين السابقين حتى لا تقع متابعتهم لأسباب بسيطة ، كما انهم اشتكوا من صرامة دواوين محاكم التفتيش تجاههم : « بتنظيمهم القضايا وبسجنهم لأسباب تافهة . وقد تحصلوا من مانريك الوعد باعطائه الامر باستعمال العطف تجاه الموريسكيين » (105) .

ان الاتهامات الموجهة ضد الموريسكيين ، كانت تتعلق في نفس الوقت بالظواهر الدينية والاجتماعية . وقد أخذ على الموريسكيين من جهة نقصان ايمانهم بالعقيدة وممارسة دين حقير . ومن جهة أخرى أخذوا لأن لديهم تقاليد وعادات مخالفة للمسيحيين وأنهم لا يحترمون العادات التي يراد فرضها عليهم .

انه من الحقيقة القول أن التمييز بين المجال الروحي والدنيوى ، لم يكن أمرا متصورا في ذلك العصر وقد كان ذلك أمرا متعسفا وهذا بكل ما يتعلق بالموريسكيين والمسيحيين يومئذ . والدين بالنسبة اليهم ظاهرة اجتماعية وسياسية ، وهو عبارة عن الأسمنت الذى يوحد الامة ، كما انه يتمثل بشكل طبيعي في الممارسات الدينية التي لم يناقش احد شرعيتها . وفي هذا السياق وهو اللافت للنظر ، كيف انه في عدد كبير من القضايا تم وضع تحريفات العقيدة وعدم احترام الآداب الكنيسية في نظام القربان المقدس ، على نفس المستوى . من ذلك أن ايزابال لوباز لوقوردا (Isabel Lopez la Gorda) سوف تكون مذنبة . وعلى ضوء ذلك هل ستتناول القربان المقدس ؟ ومن اجل القيام « بواجبات اجتماعية » لا تعتقد أن القربان المقدس يمثل حقيقة الرب » . غير انه في نفس الوقت، أوخذت على عدم احترامها جيدا نظام الصيام القرباني : ذلك انها في وضعية معينة بعد أن افطرت ، فانما قامت بتناول القربان المقدس ومع ذلك ، فانها تعرف جيدا كل هذه التعاليم ، خصوصا وقد كانت يوما جد مريضة ، فقد حمل اليها القس سر القربان المقدس غير انها رفضت تناوله بحجة انها تناولت ادوية » (106) . وعليه فقد كان الموريسكي ، مبدئيا ، متهما بالبدع ، ولنفس هذا السبب ، كان الاتهام مختلفا كما لو كان الامر متعلقا بمسيحي عريق ، وبالنتيجة فان التوبة مثلا ، لا يمكن أن تكون مماثلة .

من ذلك سوف يتابع الموريسكي دياقو دو طوريس (Diego de Torres) بتهمة اتباعه الدين المحمدى « وهذا بسبب استعماله بعض الجمل مثل : اذا رأيت امرأة ورغبت في مضاجعتها ، فان ذلك لا يعد اثما » أو قوله : « اذا كانت له علاقات جنسية مع احدى النساء اللاتي يمتهن البغاء ، مسددا لها قيمة ذلك ، فان ذلك لا يعد إثما » (107) . وانه اذا لم يهرب فانه سوف يحاكم ولا شك ، شانه في ذلك شان اغلب الحالات المماثلة ، ويصدر الحكم

(105) المصدر السابق ، ج ، ص255 .
(106) A. H. N., Inq. leg. 193, n° 4.
(107) A. I. C., leg. 255, n° 3456.

بمصادرة أملاكه وبالسجن . وكان بالامكان الصفح عنه قبل الارتداد . ومن أجل جمل مماثلة حوكم أيضا المسيحيون ، غير أن الاتهام لا يشمل سوى هذا الطعن « خطا حول البند السادس من التعاليم » وهذا ما يؤدى فقط بفرض غرامة مالية معتدلة وبالتكفير عن الذنوب : من ذلك أن ميكال لوباز (Miguel Lopez) أحد حد دى كوانكا ، اضطر الى ان يسدد ، لاتهام من هذا القبيل ، مبلغ 3.000 مارافيدس فقط ، والاعتراف علنيا بخطئه (108) كذلك الفرنسي انطون مورانزال (Anton Moranzal) الذى كان يشتغل بكوانكا ، اضطر الى أن يعترف علنيا بذنبه : أثناء العملية القادمة لحرق الملحدين ، فسوف يخرج « راكبا حمارا ومشدودا الى حبل ، واسفله عار » وقد حكم عليه بالنفي مدة سنتين (109) .

وعليه فان المأخذين اللذين عبرت عنهما محاكم دواوين التفتيش ، كانتا : خيانة لعقيدة المسيحية وخيانة المجتمع الاسبني . غير أن هذين المأخذين كما بينا سابقا ، لا يشكلان الا مأخذا واحدا . وقد ظهر ذلك بوضوح في الصيغة التي استعملها النائب العام في بداية قرار الاتهام ، ضد أحد الملحدين المضادين من اجل « الحاده وارتداده عن ديننا الكاثوليكي المقدس وعلى الرغم من تمتعه بكل الامتيازات والحريات والاستثناءات الممنوحة للكاثوليكيين المسيحيين ، فانه أهان ربنا المقدس وكنيسته المقدسة وامنا ، وكذلك خزيه واحتقاره الشعب المسيحي » (110) .

ان كل مشكل دواوين التفتيش ، كان بالتحديد ان يجعل من الموريسكيين مسيحيين صادقين ومؤمنين : وليس فقط أنها كانت ترغب في ادخال نظام اجتماعي وديني ، ولكن أيضا ، كانت تطمح الى كسب نظامهم الحقيقي (111) . وعلى هذا الاساس فانها ادعت جس الكلى والقلوب : وسوف يحكم على الموريسكي بأنه مسيحي سيء ، لانه لا يمارس لطقوس البتة أو شيئا قليلا : واذا تحول الى القداس ، فسببه عدم التفكير أنه يقوم بذلك فقط خوفا من العقاب وليس من أجل الورع والنسك . من ذلك أن جوان مارشين (Juan Marchin) أحد الموريسكيين (Benaguacil) من مملكة بلنسية « لم يرد الذهاب الى القداس يوم الاحد ، وأيام الاعياد الضرورية ، غير أنه تحول في بعض الاحيان ، وذلك بسبب خشيته من العقاب الذى سيفرض عليه . ولو افترضنا أن ذلك لا يحتم العقوبة ، فانه حتما ما كان ليحضر القداس (112) .

ان محاكم دواوين التفتيش ليس لها أن تؤثر على الموريسكيين وهذا بسبب الظاهرة الوحيدة المتمثلة في مضمون الخطيئة ضد قانون الكنيسة ، والتي كانت أجنبية بالنسبة لهم ، وعلى العكس ، فان المحكم لها تأثير

---

(108) **A. I. C.**, leg. 255, nº 3453

(109) **A. I. C.**, leg. 255, nº 3447.

(110) راجع مثلا : **A. H. N.**, Inq., leg. 191, nº 7

(111) فى أول الامر ابدى فراى طوماس دو تيلنيانا (Fray Tomas de Villanueva) أسقف بلنسية الارتياح والرضى لممارسة الموريسكيين الدين المسيحى « ولو ظاهريا » مع الامل ، ولا شك ، فى تامين اعتناقهم الحقيقى والكامل . راجع :

Boronat y Barrachina, **Los Moriscos espagnols...**, **op. cit.**, t. 1, p. 204.

(112) **A. I. C.**, leg. 250, nº 3372.

أخلاقي قوى على المسيحيين . ان شهادات الاشخاص الذين وشوا لدى محـاكم دواوين التفتيش بالسلوك البدعـي للموريسكي ، يحمل غالبا هذه الجملـة : « للقيام بما يمليـه علي ضميرى » (113) . ومثلا هاتـه البنت الصغيرة دون الثلاث عشرة سنـة ، تحدثت ، خـلال عملهـا في الحقول ، مـع بنت صغيرة موريسكية ، كـانت قد سخرت من معتقداتها الدينيـة . وعليـه فقد اعترفت لبنت الاولى لأحد الكهنـة بذلك ، وطلبت منـه أن يخبـر محـاكم دواويـن التفتيش « حتى تريح ضميرها » . وعليه فقد كتب الكاهن الى محاكم دواوين التفتيش ذاكرا هو الآخر انه قـام بذلك وفقا لما أمـلاه عليه ضميره » . الا أن البنت الموريسكية الصغيرة سوف تبرأ لعدم وجود أدلة على ذلك (114) .

ان عدم الخوف من محـاكم دواوين التفتيش ولا تهديدات هاتـه الاخيرة وعدم اخبار المحكمة بالملحدين الذين يتعرف عليهم ، سوف يعتبر إثما فادحاً . على أن القضايا ضد الموريسكيين كانت عديدة بسبب اخفائهم الموريسكيين . من ذلك أنا دو لينان (Ana de Linan) التي بالاضافة الى اتهامها « باتباع الدين المحمدى » قد رفضت الادلاء بشهادتها ضد بعض معارفها : « أنها أخفت الملحدين وأن الاشخـاص الذين تعرفهـم ، ثـم تخبـر عنهم محـاكم دواويـن التفتيش ، بالنظر الى أنهـا مجبرة ، وعلى العكس فعلـى الرغم من التزامهـا بالقيام بذلك أثناء استجوابها فانما حنثت في وعدها » (115) .

ب) الطـــرد والارتـــداد :

ان محاكم دواوين التفتيش ، تتمتع اذن بسلطة الموت والحياة الفكريـة على المسيحيين ، وعدم التعـاون معهـا ، معنـاه الوقوع تحت رحمـة الطـرد وبالنتيجة فان ذلك يؤدى الى الهلاك المؤكد . والطرد يقضي بقطع كل علاقـة دينية وبالتالي اجتماعية ، للمحكوم عليه مع المجموعة المسيحية . وفي الحالات الخطيرة جدا يعتبر الحرق العقـاب الأمثل ، وهو في نفس الوقت رمز الصفـاء (ويرمى خلالها بأقضبة مـوت كرمـة الخـالق !) ، وهذا الحرق يجسم نار جهنم المخصصـة لكل الاشخـاص الذين انشقوا عن الحيـاة ، التي منحتهـا الوحدة مع الكنيسة .

وفي هـذا المضمـار فـان الطرد الذى تـم بعد مـوت جوان دوهينسطوزا (Juan de Henestosa) يعـد ، على الخصوص غنيـا بالمعلومات ، ففي هـذه الحالـة نلاحظ فقط أن الشخص المعني دخل جهنم وعليـه فقد اتخذت اجراءات عقاب تجاه أبنائه وعائلتـه والتي عزلت هي الاخرى عن هذا المجتمع « لقد أمر باخراج جثمانه وعظـام بعض الأكواخ من الاماكن المقدسة ، حيث دفنت ليتم حرقها ، وهذا كعلامة على الاحتقار لاثم خطير وجريمة كبيرة أيضا ، خاصة اذا أمكن تمييز ما بين عظـام الكاثوليكيين المسيحيين الآخرين . ومن جهـة أخرى فـان ذريتـه وسلالته سوف تكـون ، محرومـة من التمتـع بكـل الخدمـات والامتيازات العمومية والشرفية والكنيسية الدنيوية » (116) .

---

(113) A. I. C., leg. 305, nº 4411
(114) المصدر نفسه .
(115) A. I. C., leg. 250, nº 3376.
(116) A. H. N., Inq. leg. 194, nº 4.

وبفضل الارتداد الذى تم على يد محاكم دواوين التفتيش ، فان المتهم ، سوف تتم مصالحته مع الكنيسة ويبرأ « من كل علامات لطرد ويستعمل على ضمه الينا وندمجه ضمن كنيستنا الكاثوليكية المقدسة ونسترجعه للمشاركة في قربائنا المقدس وتعميد المؤمنين والكاثوليكيين المسيحيين » (117).
ن مثل هذه المصالحة مع الكنيسة لا تعني بالضرورة تحرير المتهم ، وحيث وجب عليه تأدية عقوباته التي حددتها المحكمة ، وصادق عليها المفتش العام ، وهي العقوبات التي تؤدى الى السجن الابدى . ومن ذلك فان انا دولينان ، بعد ارتدادها ، سوف تحاكم « بالسجن وبارتداء البسة ابدية غير قابلة للغفران ، وأن ترتدى هذا اللباس من فوق بحيث تغطى كل الألبسة الاخرى » (118) .

الخاتمة : الحقد والخوف وهما شعور الموريسكيين ضد محاكم دواوين التفتيش :

ن أول شعور الموريسكيين الذى يعبرون عنه تجاه محاكم دواوين التفتيش هو الشعور بالحقد . ومن هذا المعنى كتب مفتشو محاكم دواوين التفتيش بغرناطة الى البلاط الملكي بتاريخ 24 أفريل 1568 : « أنهم يحملون لمحاكم دواوين التفتيش حقدا وكرها ابديين ، وبادىء الامر أخذوا يهاجمون محاكم لتفتيش والحق كل الضرر الممكن بها » (119) . وبتاريخ 1 مارس 1567 توجهت محاكم دواوين التفتيش بغرناطة الى المجلس الاعلى لتبلغه حالة عدم الامن التي يعيش عليها رجال محاكم دواوين التفتيش : « ان الخطر الناتج عن ممارسة هذه الوظيفة يتضاعف كل يوم » . وحتى في ضواحي غرناطة ، فاننا لسنا في مأمن من « جماعة قطاع الطرق » . وعليه فقد طالبوا منحهم حرسا اضافيا : « ذلك أن الحارس الذى يقوم بتوقيف احد أو جابي الاداءات عندما يقوم ببيع الاملاك المصادرة اى اعوان الضرائب الذين سيتحصلون على دخل انتاجهم ، فقد وجب علينا منحهم الحماية التي يطالبون بها وأن مداخيل محاكم دواوين التفتيش المحلية لا تكفي لتغطية ذلك » (120) .

وفي حالات أخرى ، برز هذا الحقد من خلال الانتفاضات المسلحة أو هجوم عائلات محاكم دواوين التفتيش . وقد حدث ذلك بالخصوص في منطقة أراقون حيث يشعر الموريسكيون بأنهم اقوياء . وماريا صولواد كاراسكو اوقواتي (Maria Soledad) (Carrasco Urgoiti) قد ذكرت هذه الحادثة التي وقعت سنة 1559 في احدى قرى أراقون وحيث كان نساء احدى القرى الموريسكية قد هاجمن بضربات بأيديهن وبأسنانهن احد القرويين ، كان قد أوقف أحد أطفال القرية الصغار . وعليه فان الرجال من جهتهم قد وصلوا متسلحين . ثم ان خادم الملك ، على الرغم من أنه مسيحي ، فانه قد نشر بيانا بضرورة تسليح الناس جميعهم ، ونظرا أن كل ساكني القرية هم من المعتنقين ، فقد ثاروا نتيجة ذلك ، وقدموا في حالة غضب وهذا الى درجة ان

---

(117) راجع مثلا : A. I. C., leg. 250, n° 3376.
(118) المصدر السابق ، رقم 3376 .
(119) A. H. N., Inq. leg. 2603, II
(120) المصدر السابق leg. 2603, II

كل الاشخـاص المـالوفين وكـاتب محكمـة دواوين التفتيش ، اضطـروا الى الخروج ، تـاركين المكان وهم ملاحقون من طرف المعتنقين الذين أساءوا اليهم وأغلظوا لهم الكـلام (121) . غير انه اذا كـان الحقـد يسكن القلوب ، فهو لا يظهر الا نـادرا . وعلى العموم هنـاك شعور آخر يجعلهـا مخفيـة ، ألا وهو الخوف الذى توحيه محاكم دواوين التفتيش . ان محضر جلسة أحد الزيارات التي تمت خـلال أربعـة أشهر من طرف مفوضي محـاكم دواوين التفتيش في منطقة مالاقا سنـة 1569 ، كان دالا جدا ، وقد هنـأ هؤلاء المفوضون أنفسهـم نتيجة لخوف المثـالي الذى تسببوا فيـه لدى وصولهم . وقد جمعوا على اثر دخولهـم القريـة ، الموريسكيين في الكنيسة الخورانيـة . وهنـاك أخـذوا في التدقيق في معلوماتهم الدينية ، وكلما أعلن عن وصولهم ، فان الناس جميعـا وحتى العجائز منكبـون على تعلم العقيدة المسيحية : « بسبـب هذا الخوف ، فانهم يتعلمون العقيدة في ظرف وجيز جـدا ، كما لاحظنـا ذلك بالتجربـة » . كذلك « عن طريق الخوف من محـاكم دواوين التفتيش فـان النساء ارتديـن اللباس القشتيلي » و لاطفال تحولوا جميعهم الى المدرسة .

وقد استفـاد هؤلاء المفوضون أيضـا لتلقين الآبـاء درسا « ذاكرين لهـم أقوال محـاكم دواوين لتفتيش . وقد أظهروا الخوف وحيث يعتقدون فيـه ، ومع هذا فهم لا يخشون أى عدالة الا عدالة محاكم دواوين التفتيش » (122) . وبالنسبة للموريسكيين فان محاكم دواوين التفتيش تمثل اذن أداة السلطـة التي وجب مكافحتها . الا أن السلطة العادية التي يجسمها السلطان العثماني هي القـادرة وحدهـا على مجابهتهـا . وهذا مـا ندركه من خـلال قصـة أحد الموريسكيين التي شـاعت في اسبانيـا ، لحظـة الطرد النهـائي ، والتي على ضوئها لم يتمكن الموريسكيون من التخلص من مخالب محاكم دواوين التفتيش، الا بفضل تدخل السلطان العثماني ، الذى انزعج من المعـاملة التي تمارسهـا المحـاكم ، وقد ذكر السلطان : « من هو اذن الذى يشجـع ملك اسبانيـا على انشاء محـاكم دواويـن التفتيـش ، ليتركوا اذن كل شخـص يعيش وفقـا لديانته » . وعليه فقد قرر أن يقدم المساعدة الى موريسكيي اسبانيـا . ومن أجل ذلك أقـام في الساحـة الرئيسية لاستانبول « منصة كبيرة كما فعلوا في طليطلـة وغيرها وحيث توجد محكمـة دواوين التفتيـش للاحتفال بالاعـدام بالحـرق » . وبحضور كل وزرائـه ، فقد استجلب كـل الاسرى المسيحيين ، وحمـل كل واحد منهم حزمـة من خشب . وقد كـان مستعدا لاحراقهـم « اذا لم يعط ملك اسبانيا الامر بارجـاع كل العرب الموجودين في أراضيه » . وقـد كتب الاسرى اذن الى البابا شارحين لهم الوضعية : وعليه فقد أمر هذا الاخير ، حالا ملك اسبانيا بطرد الموريسكيين ، وهذا ما تم فعلا (123) .

---

(121) Carrasco Urgoiti, **El problema morisco... op. cit.**, p. 30.

(122) **A. H. N.**, Inq., leg. 2603, I.

(123) **A. H. N.**, Inq., leg. 198, nº 1.

الفصل الثالث

الموريسكيون والبروتستانت

الموريسكيون والبروتستانت : توافق حول العقيدة ؟

ان فرنسسكو دو كوفيدو (Francisco de Queved») في كتابه : Sueno del Juicio Final (1608) قد وضع « محمدا » صحبة الشرير لوثر ، وكليهما مع انصاره ونسائه » وعليه فقد استحقا نفس مآخذ المؤلف (1) . ان هذه المقارنة من طرف كوفيدو لم تكن عفوية ، ذلك اننا نقرأ في مكان آخر : « انه الحقيقة بعينها : لقد شاهدت موسى وهو مستعد للمحاكمة وكذلك محمدا ولوثر » (2) . وعلى ضوء ذلك فان كوفيدو كان يترجم عن مشاهدات عصره : ان اسبانيا القرن السادس عشر والسنوات الاولى من القرن السابع عشر كانت ترى في الموريسكيين والبروتستانت خطرا مضاعفا على الوحدة الاسبانية . وقد واجه الاسبانيون هذين الخطرين سعيا منهم للمحافظة على صفاء العقيدة الدينية والدولة .

وعليه فانه لا يمكننا أن ندرس المشكل الموريسكي ، دون ان نتساءل عن نوعية العلاقات القائمة بين الموريسكيين والبروتستانت : ويمكننا هذا البحث على الخصوص بالسماح لنا بتحديد ما إذا كانت مجادلة الموريسكيين كانت بالفعل ضد المسيحيين أو هي فقط ضد الكاثوليكيين .

ولا بد أن نلاحظ بادىء الامر أن انشقاق المسيحيين بعضهم عن بعض يشكل بالنسبة للموريسكيين حجة على المجادلة ، عندما تساءلوا : كيف يمكن لدين يأوى فى طياته التناقض ان يكون دينا حقيقيا ؟ ان محمدا الكازر الذى تناول هذا المشكل في كتاباته قد أوضح أنه يعرف جيدا المذهب البروتستانتى ، ذلك أن عدة مسائل من العقيدة والتى حولها أظهر هو الآخر معارضة تلفت اهتمامه على الخصوص : « ان المخالفين لآرائه هم الكلفانيون واللوثوريون والقائلون باعادة التعميد (Anabaptiste) وكل الذين يعارضون البابا وإقامة الصلاة والقربان المقدس والتماثيل والاعترافات وكل الاشياء التى تعتقد فيها الكنيسة الرومانية ، وهذا حسب تقليد الحبر

(1) Quevedo, **Obras Completas**, t. 1, Obras en prosa, Madrid, Aguilar, 1958, p. 162.

راجع ايضا حول هذه النقطة :

Flecniakoska (Jean-Louis), « La figura de Herejia y Demonio al servicio de la propaganda politica en los autos de Mira de Amescua ». **Hommage à Rodriguez Monino** ستصدر فى :

وقد مثل المؤلف فى هذه الاسماء المجهولة وكذلك فى أعمال لوب (Lope) مثلث : الهرطقة ودين محمد والكفار .

(2) Quevedo, **Obras... op. cit.**, t. 1, p. 130.

الاعظم وقداسات البابا وحيث اداتها المعارضون » (3) . ولا شك ان مثل هذا الاتهـام ضد الكاثوليكيين من طرف البروتستانت من شانـه ان يرضي الموريسكيين !

وحتى اهتمـام الموريسكيين للبروتستانت فكان هو الآخر جدليـا ، هذا ما يعكس عزل الكنيسة الكاثوليكية في رأيهم . إن المؤلف الموريسكي للمخطوط رقم 9655 يبين أن المسلمين يعدون قريبين جدا للبروتستانت عندما سعـوا للبحـث عـن الحقيقـة مـن خـلال النص الكـامل للتـوراة و « التـآليـف البابوية » (4) . وقد لاحظ أيضا ، أنه للعمل على عزل الكنيسة الرومانيـة أكثر ، فان اللوثيريين هم اكثر قربا لليهود من الكاثوليكيين ، خاصـة وأن الذى يجمـع بينهمـا هـو قـراءة العهـد : « ان اللـوثيريين هـم اقـرب الى رجال الكنيسة منهـم الى اليهـود » وحول هذه النقطـة فقد وجبت المقارنـة أيضا مع مـؤلف بروتستانتي سنتكلم عنـه بعـد حين الا وهو سيبريـانو دوفاليرا (Cipriano de Velera) الذى كتب : « نحن والمؤمنـون بالعهد القديـم تتمتع بنفس العقيدة » (5) .

1) التقـارب كـان جدليـا :

على أن الأهم من ذلك هو ملاحظـة ودراسة التقـارب العجيب الذى تـم بـين الموريسكيين والبروتستانت من خـلال احـداث القـرن السادس عشر والثلث الاول من القـرن السابع عشر . وللعمل على فهمـه يمكننا أن نتقـدم بتغييرات مختلفة : وأولها أن الوضع الاجتماعي والسياسي كان يترجم عـن كثير من التشابه : اذ هما يعدان فرنسا وأسبانيا ، بلدى اقامتهما الجديدة ، مجموعتي الاقلية . وحيث وجب عليهما مواجهة السلط ، وكلاهما يطمـع الى المزيـد من الحرية ويسعى الى محاربة الانظمـة القائمـة .

ويبدو أيضا أنـه كانت توجد بعض الاختلافات حول المستوى العقائدى . على أن نفس الحساسية الدينية تجعلهما يرجعان الى الكتـاب السمـاوى ، وهذا خـارج عن أى كنيسة منتظمة ومقننـة . كما أنهمـا ترجعان يومـا الى سلطـة الكتاب المقدس المتميز ضد سلطـة الكنيسة ، حتى ولو كـانت نفس لكنيسـة .

ومن جهـة اخرى وبالنسبة للنجـاة فكلاهما يؤكـد على ضعف الانسان امام سمو وعظمة الله : وعلى ضوء ذلك فان فكـرة محمد الكـازر الذى يشرح فيـه قوة الله على البشر ، سوف لن ينكرهـا اللوثـريون : « إنـه على ضوء الامر والهدف المقدس وحسب حكمه الذى هيأ البعض واختار البعض الآخـر

(3) B. N. M., ms 9074, f° 42 v°
(4) B. N. M., ms 9655, f° 206 v°
(5) Cipriano de Valera, **Los dos tratados del Papa y de la Misa escritos por... y por él publicados el a 1588, luego el a 1599, y ahora fielmente reimpresos**, t. IV, Collection, **Reformistas Antiguos Espanoles**, publiée par Luis Usoz y Rio, Madrid, 1851, p. 517.

لنفسه ، موفرا الأسباب لنجـاتهم ومقدمـا بنفسه العفـو ، وكل ذلك بفضل رحمته وحكمـة اللامتناهي ، وهو في نفس لوقت قد ابعد عنـه عددا آخـر . بعد ان بـرر ذلك مظهرا الاستقامـة والعدل ، فانه لـم يقـم بذلك فى كلتـا الحالتين إلا بفضل هذه العزيمـة الحرة والحازمة كمولى ومهندس مشرف على كـل اجـزاء الآلـة » (6) .

ونظـرا الى أن هـاتين المجموعتـين لهمـا نفس العدو ويتمتعـان بنفس الحساسية الدينيـة المتشابهة حول كثير من النقـاط ، فانهما سوف يتخذان مواقف مشتركة . إن البحث عن المهـم في الدين قـد أداهما مثـلا الى إدانـة استعمال التماثيل في الكنائس على أن احـد الموريسكيين مثـلا مستندا الى الكتاب المقـدس كتب : « في اى كتاب مقـدس ، اكتفوا انـه يمكن أن نقـدم للتماثيل الادعيـة والاحترام بهذه الطريقـة التي يؤدونهـا ثم ركوعهـم لهـا ورفعهم أمامها طاقية الرأس ويفعلون ذلك لمجرد رؤيـة التماثيل » (7) . إن نفس المؤلف بالاضافـة الى ذلك ، وبشكـل دقيـق يقابـل : « المسيحيين البابويين الذين يقيمون التماثيل لقدسيهم ويغـالون في عبادتهم ، في مواجهة مع المسيحيين اللوثيريين الذين يعلمون أن طريقة عبادة التماثيل محرمة باى شكل من الأشكال ، فانهم لم يقيموا تلك التمـاثيل ولم يقبلوهـا بل إنهـم يحطمونها اربا اربا اين يجدونها ، شأنهم فى ذلك شأن ما يفعله الفرنسيـون اليوم حيث شاهدنا بأم أعيننا عددا من التماثيل الحجريـة قد حطمت قطعـا اثناء فتن الحروب » . ومما لا شك فيـه أن الامر هنـا يتعلق بموقف عـادى مشترك دون ان يكون لـه تأثير متبادل . على أننـا نلاحظ مع ذلك أنـه منذ 1504 ، حرر مفتي وهران رسالـة الى الموريسكيين البـاقين باسبانيا ومـن ضمن المبـادىء القرآنيـة الكبرى التي ذكرهم بهـا ، يوجد المبـدأ التـالي : « تـذكروا ان التمـاثيل ليست إلا خشبـا متقن الصنـع وهي أيضـا مـن الحجـر » (8) .

لقـد وجد الموريسكيون والبروتستانت بعضهـم البعض أيضـا في نقـد الكنيسة الرومانية التي ترتـزق من وعود السمـاء وتسمح بشراء المغفـرة . وكانا يريان بنفس الطريقة في البابا شخصية ضد المسيحية وعليه فقد أدانـا تجاوزات رجال الدين (9) . لقد تم كل ذلك بذهنية مختلفـة والحق يقـال . واذا كان البعض يفتش العثور على الكتاب المقدس فى أصوله الكاملـة ، فان البعض الآخر يستهزىء بدين ، حكم عليه بالفساد والضلال، واذا اراد البعض الاصلاح فان البعض الآخر يريد التخريب .

---

(6) **B. N. M.**, ms 9074, f° 3 v°

(7) **B. V. R.**, ms lat 14009, f° 17 v°

(8) **R. A. H.**, ms T 13, f° 29. r°

(9) هذه التسمية مستعملة جدا لدى البروتستانت فى القرن السادس عشر .
راجـع :
Valera, **Los dos tratados..., op. cit.**, pp. 329-330.
ويشهد لنا بذلك ايضا للمخطوط رقم 454 بالمكتبـة التاريخيـة للمذهـب البروتستـانى الفرنسى ، باريس ، f° 106.

ثـانيـا ـ نقـاط الالتقـاء بين المجموعتيـن الاقليتيـن :

3) ـ تأثير الكتابات البروتستانتية على النصوص الجدلية :

إن هذ التشابه وصل الى حد أن بعض النصوص الجدليـة الموريسكية قد استعارتها من عـدد من المؤلفين لمصلحين الاسبانيين في ذلك العصر ، من ذلك أن المخطوطتين رقم 9067 و 9655 والتـابعتين للمكتبة الوطنية بمدريـد قد استوحتا من عدد كبير من فقرات معاهدة لبابا وكذلك من معـاهدة القداس لسيبريانو دوفـالارا ، وهي الفقـرات التي ذهبوا حتى إلى إعـادة نسخهـا مباشرة (10) . إن هاتين المعاهدتين قد عرفتا ذيوعـا كبيرا باسبانيا ، وهذا سبب وجودهمـا في كل فهـارس لكتب التي حـرمت والتي حررتهـا مختلف محاكم دواوين التحقيق الاسبانية منـذ اواخر لقرن السادس عشر واوائـل القرن السابع عشر (11) .

ان قائمة لكتب المحرمة والتي استولى عليها ، قد قدمت لنا ، بالاضافة الى ذلك عدة إيضاحات إضافية عندما قدمت هذا العمل : « يحمل هذا الكتاب العنوان لتالي : **المعاهدتان** : أولاهما عن لبابا وسلطته ، وهذا انطلاقا من طبيعة الحياة والعقيدة . وكلاهما قد كتب على ضوء شروح المجامع الدينية والأساتذة المختصين ولكتابات المقدسة . وبالإضافة الى ذلك هناك مجموعة من الخوارق الكاذبة والتي عن طريقها كانت مريم العذراء وصلاة أنوسيادا (Anuncioda) لشبونـة قد خدعت كثيـرا من الاشخاص وكيف انها اكتشفت وتمـت محـاكمتهـا . وقد طبـع هـذا الكتـاب لـدى ريكـاردو دال كمبـو (Ricardo del Campo) سنـة 1599 » . ومـن خـلال هذه الاسطـر ، نكتشف إذن أن هذا التأليف قد طبع ووزع دون ذكر لاسم مؤلفه ، وقد منع باسبانيا خلال لسنوات الاولى للقرن السـابع عشـر وليس كما اشيع سنـة 1640 كما يؤكده المؤلف أدولفو دو كاسترو (Adolfi de Castro) (12) . (12)

أن طبعـة سنـة 1599 قد ظهرت بلندن لدى النـاشر ريشـارد فيلـد (Richard Field) وريكـاردو دال كمبو ليـس سـوى الشكـل الاسبانـي لهذا الاسم . وهذه هي الطبعة الاولى التي ادخلت وعرفت باسبـانيـا ، لكن الواقع يؤكد وجود الطبعة الاولى بلندن سنة 1588 (13) .

---

(10) ذكر هذا الحادث من طرف :
Eduardo Saavedra, **Discurso... op. cit.**, pp. 18-19.
وقد تابل ذلك ماننداز بلايو (Menendez Pelayo) في :
Historia de los Heterodoscos espanoles, lib. V, Cap. III, Madrid, éd. 1928, p. 343.

(11) يمكننا ان نرى هذا الموضوع في الرزمة رقم 4226 بالارشيف التاريخي الوطني لمدريد ، والذى هو عبارة عن قائمة الكتب الصادرة من طرف محـاكم دواوين التفتيش بطليطلـة ومرسية وبرشلونـة واشبيليـة وكوانكـا ولوقرونو وسان جاك من سنـة 1583 الى 1609 .

(12) **Adolfo de Castro, Historia de los Protestantes espanoles y de su persecucion por Felipe II**, Cadiz, Libreria de la Revista Medica, 1851, p. 307.

(13) ـ [illegible] على معلومـات اكثـر حول هـذا المـوضوع في مقدمـة لوى ازوس و ريـو (Luis Usoz y Rio) في نشر الحديث لهاتين المعاهدتين .

وهناك تاثير محتمل أيضا ، كما ظهر لنا ، من كتاب (Breve Tratadi de Doctrina) والمنسوب الى خوان بيريز (Joan Pérez) لمطبوع سنة 1560 . ويبدو أن مؤلف المخطوط رقم 9067 قد اعتمد عليه عندما ذكر : « عقيدة لوثر » (14) . إن تعليم الدين المسيحي الذى كان احد الأعمدة الهامة للمذاهب العقائدية الإصلاحية الاسبانية ، كان له تاثير كبير جدا : وقد تمكن نتيجة لذلك من لذيوع بسهولة خلال مدة زمنية وهذا بفضل اذن مدلس بالطبع من طرف محاكم دواوين التفتيش (15) .

وفي قائمة فهارس الكتب المصادرة من طرف محاكم دواوين التفتيش من سنة 1583 الى سنة 1609 ، توجد أيضا كتب اخرى بروتستانية : « قد منعت واعطى الامر بمصادرتها » وهي الكتب التي تمكن الموريسكيون من الاطلاع عليها مثل كتاب : « المؤسسات » لكالفن (Calvin) والذى ضبع بانقلترا باللغة لقشتالية . كذلك الإنجيل البروتستاني لعدد من « الملحدين في هولندا وزايلندا » ، وقد صودر من طرف محاكم دواوين التفتيش باشبيلية منذ 1598 . أما سنة 1599 فقد صودر كتاب اسبانيا Avisos a los aficionados a la yglesta romana » رأى الى ماسكي الكنيسة الكاثوليكية » التي تشرح ان هذه العقيدة ضد الكاثوليكيين (16) وعليه فإن الموريسكيين كانوا على علم بالمذاهب البروتستانية بفضل عدد كبير من لكتب التي دخلت اسبانيا بطريقة سرية . وإنه لمن المفيد ملاحظة ، حتى ولو كان الامر متعلقا بصدفة بسيطة بان مراكز دخول أعمال لوثر الى اسبانيا (عن طريق بلنسية واراقون وغرناطة وقشتالة) وهي الولايات التي يعيش فيها الموريسكيون بكثرة (17) .

ومع هذا فلا بد من ملاحظة أن الموريسكيين كانوا يستعملون الحجج البروتستانية بشكل خاص وهذا بعد ان أعطوها معنى مخالفا جدا . وكمثل على ذلك ، فإذا كان البروتستانت ، بتاثير لوثر ، قد انكروا على الكنيسة حق ممارسة شرح الانجيل وحدها وقد ذكروا جملة كان قد نطق بها القديس بول : « إن الرجل الروحي هو ذلك الذى يحكم كل شيء ولا احد يمكنه ان يصدر حكمه عليه » (18) . وهذا ما يعنى المطالبة بحق كل مؤمن بادراك الكتابات المقدسة . وقد استند الموريسكيون على تأكيدات البروتستانت وذكروها بعد أن شوهوها وهذا وفقا لنظرياتهم . ومن حرية قراءة الأناجيل يمرون الى نسبية النصوص ليختموا بنفي صحتها . وفي هذا الاطار ، كتب

(14) B. N. M., ms 9067, f° 196 v°

(15) Adolfo de Castro, **Historia de los Protestantes... op. cit**, pp. 153-154.

(16) A. H. N., Inq., leg. 4426

(17) حول دخول كتب لوثر الى هذه الولايات راجع :

Augustin Redondo « Luther et l'Espagne de 1520 à 1536 » in, **Mélanges de la Casa de Velazquez**, t. 1, 1965, pp. 131-137.

راجع أيضا :

Ignacio Tellechea Idigoras, « La reaccion espanola ante el Luteranismo », **Arbor**, juillet-août, 1971, C.S.I.S., Madrid, pp. 6-19.

(18) الانجيل ، 1 Cor., II, 15

مؤلف مخطوط رقم 9067 : « أن المسيحيين واللوثيريين يؤكدون أنهم لا يمكنهم التأكيد ولا التسليم بصحة الكتابات وبالتالي فانها لا تستحق لقبول » (19) . وعليه فان لخطوة التالية سرعان ما تم اجتيازها : وفي هذا الإطار ، نحن أبعد ما نكون عليه من حمية لوثر المسيحية ورغبته الشديدة للعثور من جديد على صفاء الإنجيل .

4) أهمية ومحدودية هذا التقارب :

وللتدليل على ما ذهبنا اليه ولنلمس أهمية وحدود استعمال الموريسكيين للكتب البروتستانية وعلى الخصوص لمعاهدتي فاليرا ، يبدو لنا من الأهمية أن نقوم بتقريب صفحة واحدة لمخطوطة موريسكية ، للنص الذى استوحيت منه ، وسوف نكتشف على اثر ذلك أولا : أنه من خلال النصين يوجد نفس التركيب ، ويظهر لنا ذلك جليا من خلال التصور الذى سوف نقدمه أسفل هذا : فالفقرة الأولى تدرس تطور بعض الكلمات (تيرانو Tirano وسوفستا Sophista وهوستيس (Hostis) ، أما الفقرة الثانية فقد تطور الفكر الجدلي الذى أشرنا اليه ؛ في حين ان الفقرة الثالثة تشتمل على الحجج المتعلقة بالفكرة التى ذكرت فى الفقرة الثانية (Pfoffen, Suidas, Papaous).

ان نقاط التضارب والاختلاف يمكن بسهولة ملاحظتها : أما الفقرات الاولى والثالثة فهى تمثل نقاط التقارب ، والفقرة الثانية التى هى محور العرض ، فانها تختلف تماما . ويرجع هذا الى ظاهرة أن المؤلف الموريسكي كان ينشر أساسا ، فى الكتاب الذى استعمله على المعلومات . وهذا ما يفسر ذكر نفس المراجع . كما يوجد أيضا لدى المؤلفين نفس الهدف : هو الرغبة للتدليل على بطلان وجهة نظر العدو ، وهذا ما أدى الى تجانس التركيب لنفس هذه الفكرة الجدلية .

النصان الاجماليان

1 لقد حصل لهذا الاسم الباب ، ما حصل لغيره من الاسماء ، وقبل ذلك كان استعماله جيدا ، واستعماله مثل الالقاب الشرفية ، غير أنه مع الزمن ، اسيىء استعماله . ومثلا فكلمة المستبد كانت تعنى الملك ، وعليه فان الملك اللاتيني التى نص عليه الشاعر فرجيل (Virgile) السابع (Aeneid) ، قد سمى (Enée) ويعنى بها الصداقة والمستبد . اما السفسطائى فكان يعنى به العالم ، اما الان فهى تعنى المضلل أو الغير الامين . اما لفظة (Hostis) فكانت تعنى : الاجنبى ، والآن فانها تعنى العدو .

1 منذ القديم ، كانت لفظة المستبد حسب فرجيل السابع تعنى نفس معنى الملك ، وبذلك يطلق على (Enée) المستبد . والان فان المعنى الذى اعطى لهذه اللفظة كان مسيئا ومحقرا . والسفسطائى هو ذلك الذى يطلق عليه فى السابق العاقل . أما الان فيعنى المضلل . ولفظة (Hortis) التى تعنى الاجنبى ، فهى الان مرادف للعدو ، ويوجد عدة امثلة على ذلك .

(19) B. N. M., ms 9067, f° 206 r° et B. N. M., ms 9655, f° 234 v°

2 وبالنسبة لكلمة البابا ، فقديما كان استعمالها طيبا ، وقد منح هذا اللقب للاساقفة أو الوزراء . ذلك انه في بداية الكنيسة ، كان الاساقفة والوزراء والرعاة يمثلون شيئا واحدا . الا ان الاغنياء هم الذين حددوا الفرق الذى نلاحظه اليوم : راجعوا لهذا الغرض رسالة سان جيروم (Saint Jérome) الى ايفاتريو (Ivagrio) الجزء الثاني .

3 اذا كانت لفظة البابا تعنى ما كنت قد استعملته ، فانه يمكن التدليل به من خلال فصول العلماء الاقدمين امثال : سان سيبريان (Saint Cyprien) ودونيس (Denis) والكسندر (Alexandre) وجيروم (Jerôme) وامبواز (Amboise) واغسطان (Augustin) وسيدوان (Sidoine) وأبولينار (Apollinaire) وكذلك عن طريق بقية المجامع الكنسية .

ان اليونانيين حتى يومنا هذا يطلقون على اساقفتهم باباورس (Papaous) والالمان (Pfaffen) والفلامان (Ffamand) يطلق عليهم بابو (Papou) . وكل هذه التسميات متفرعة من كلمة بابا (Papa) والتى حسب سويداس (Suidas) تعنى الاب في اللغة الصقلية *

2 وعليه ، فان لفظة باتر (Pater) شانها في ذلك شان بقية الالفاظ ، قد حقرت . وقد تخصصت الان لتعنى اب السلالات ، مجتنبين الواقع ، وكذلك المعنى الحقيقى الذى كان مستعملا قديما ، وبالفعل فقد كان يطلق ذلك على الولاة وعلى امناء بعض الوزراء الاخرين .

3 ان هذا الامر يمكن التدليل عليه ، ذلك انه حسب سيوسداس (Suidas) الجزء الثانى ، تعنى نفس معنى كلمة الاب ، ولا يطلق ذلك المعنى حسب الاجيال ، ولكن بالاعتبار الحالة وزير الكنيسة او امناء الارواح والولاة ، وكذلك فانه حتى يومنا هذا منح لقب الاب الى الاباء وليس بسبب التوالد . واليونانيون حتى يومنا هذا يطلقون على أساقفتهم (Papas) وله نفس معنى الاب وليس ذلك بسبب التوالد . اما الالمان فيطلقون على اساقفتهم (Phaf) وليس ذلك ايضا بسبب التوالد **

ان التحليل الدقيق بما توحيه هذه الصفحة الموريسكية ، سوف يمكننا بالاضافة الى ذلك من عدة معلومات . وأولها كما بين ذلك سابقا هو أن الفكرة الرئيسية الجدلية تختلف فى كلا المخطوطين. فادى سبريانو دو فاليرا ، كان الامر يتعلق بنقد المؤسسة البابوية وهذا من خلال دراسة كلمة « البابا » . وعليه فان المتهم هنا هو المؤسسة البابوية.

وفى مرحلة اولى آخذ سبريانو دو فاليرا على اصطلاح « البابا » الفاظا أخرى استعملت في الأصل بطريقة جيدة . غير أنها تطورت نحو مدلول منحط وحقير . وفى مرحلة ثانية يشرح لنا أن كل أسقف أو كل كاهن يطلق عليه « البابا » ، وهذا ما يسمح له بالوصول الى أن المؤسسة البابوية الرومانية هى نتيجة لتطور مساير لصورة التطور اللفظى للكلمة . وعليه فان الاسم أصبح مرادفا للدناءة حيث استأثر به أسقف رومة وأن هذا اللقب « البابا » قد رفض منحه للآخرين . وقد ختم فاليرا فى خاتمة كلامه : أن انفراد رومة بهذا اللقب ، جعل هذه الكلمة تصبح « شنيعة ومضرة لكل المسيحيين (20).

(20) Valera, **Los dos... op. cit.**, p. 25.

** من مخطوطة : Ms. 9655, f° 15 r°.

* من كتاب : Tratado del Papa y de su autoridad, pp. 24-25.

وفى المخطوطة الموريسكية ، كان الهدف الجدلى يختلــف تمامــا . وبالفعل استعمل المؤلف صفحة سبريانو دو فاليرا. هذا فى حين كان ينتقد، خلافا لهذا الاخير ، الوهية المسيح وبالتحديد بنوة المسيـح التى ، حسب وجهة نظر المسيحية ، توجد بين الله الاب والمسيح . وقد أعطى الموريسكى بادىء الامر أمثلة عديدة تشرح ان كلمة « الاب » المنسوبة لله ، قد استعملت فى الانجيل أيضا بنفس هذا المعنى العام. الله هو ابو كل المخلوقات. وقد وضع الموريسكــى اذن الى استعمال صفحة سيبريانــو دو لافيرا فى اتجاه مخالف تماما : فالالفــاظ ، كما قال فى فترة أولى ، تتطور ويجــب ان نأخذ بالاعتبار معانيها المتفرعة عن ذلك . وقد ذكر أمثلة ثلاثة تشرح وتقدم الفكرة الرئيسية لذلك : تطورت لفظة « الوالــد » فى الاتجاه الاول ثم يثيــر فكرة « التناسل » ، غير انه فى المعنى الثانى لا يحمل الا معنى « الحامى والمدافع والوالــى » .

وفي الفقرة الثــالثة استعمل المؤلف الموريسكي معلومات ثلاثــا كان قــد استقاهــا مــن فاليــرا ، وهــى الاشــارات الــى سيــوداس (Suydas) واليونانيين والالمان ، وهذه الامثلة الثلاثة قد جعلت هذا الموضوع ، موضوع الساعة . واذا كانت المعلومات الاولى ذات دلالة لفظية ، فان هاته الاخيرة تخضع الى علم الاجتماع اللغــوى .

ولا بد أن نلاحظ أن المؤلف الموريسكــي قد ترك عمدا ، كل الشواهــد المستمدة من النصــوص الدينية : الاناجيل والرسائل التقويــة واعمال كهنة الكنيسة ونصوص المجامع الدينية . وهذا في حين أن سيبريانو دو فاليرا فى مجادلته ضد الكاثوليكييــن ، قد توجه الى المسيحيين ، امــا الموريسكى فقد كتب هو الاخــر الى اخوانه المسلميــن .

وفى هذه الصفحــة استعمل المؤلف عــددا من المفاهيـم التى يمكــن أن يتقبلها الجميــع . ولدى معالجته المشكل الدينــى ذا التأثير العام ،استمــد حججه من الميادىــن التى بامكان قرائــه أن يدركوها . وقد اكتفــى بعرض الحقائق المجردة . وعليه هل اضطر الى ان يأخذ حرية وتصرفا كبيرين للنص الذى اتخذه كنقطة للانطلاق ؟ ان هذه الحرية هى على أية حال هامة جدا . وبالفعل نفس السطريــن الذين سبقا الصفحة التى تهمنا ، أثــار سيبريانو دوفاليرا الثالوث المقدس : « أن ذلك سيتم بمساعدة عظمة الله ، الأب والابن وروح القدس وحيث ندافع عن قضيتهم هنــا . » وعليه فاننا أبعد مــا نكون عن استعمال الذى مارسه المؤلف الموريسكى للاسطر الموالية ، وبالفعل لقد استعمل صفحة للمجادلة لغرض هو فى الحقيقة ضد أفكار المؤلف المذكور على أن الذى يثير انتباهنا أكثــر هو أن البروتستانت والموريسكيين يتفقــون في نقــد البابويــة .

ويحق لنا أن نتساءل لماذا اذن قدم هذه الحجــج ؟ ويبدو لنا شرح ذلك بفضل المميزات نفسهــا لهذا النوع من المجادلــة . إن المجادلة كمظهر ادبــي

لها جذورها فى الواقع الحاضر ، وليس فقط فى مظاهـــرة لا يمكن ان تبرز الا فى الحاضر ، خاصة اذا ما بقى ساخنا ، ولكن أيضا من وجهة نظر المؤلف ، الذى كان في اللحظة المحددة ، قد اختار لاطلاق سهمـه ، وقد طالب واثار كل الحجج الممكنـــة لمواجهتها ضد العـــدو . وعليه فان المجادلة تبدو كانهـــا نوع حر من الممارسة فالحجج كما بدت لنا فى هذه الحالة بالـذات قد سخرت وفقا لتجميع الافكار التي في نفس اللحظة يمكن ان تبرز في ذهن المؤلف . وفي هذا النوع ، كما لاحظنا هنـــا ، فان تكيف الأسهم مـــن كل خشب ، وكل خشب (الحجة إنما ماتاها) يمكن أن يصبح سهما .

إنه من خلال هذا المثـــال ، نلاحظ أيضا أننا نجد في المجادلة ، بالاضافة الى ذلك مجالا واسعا للبرهنــــة والتدليل . وليس هذا متناقضـــا مع ظاهرة هذا النوع الحر تمامـــا ، ولكنه مكمل له . ان المحاجج كما بدا لنـــــا فى هذين النصين ، الذى وضع وجها لوجهــه ، قد انطلق مـــن المؤشرات العامـــة جـــدا ليشرح فكره الجدلي ومدعما ذلك بالأمثلة . ويبدو أن غنى الأمثلة المصحوبة بالتدعيم والبرهنة القوية ، كانت تعد إحدى مميزات هذا النوع من المجادلة . وعليه فإن الموريسكي المجادل قد استعمل ، ليس فقط الأمثلـــة التي استمدها من فاليرا ، ولكن من المؤكد ، ويبدو أن ذلك مـــن شدة حرصـــه على الطـــابع العلمى ، انه استعمل ذلك ليقتنع اقناعا جيـــدا ، وقد استجاب من اجل ذلك حججـــا شخصيـــة أخـــرى . وعلى ضـــوء هذا وللدلالـــة على ان لفظـــة تتمتع في الأصل بمعنى واسع جـــدا . وقد درس مختلف المعـــاني التي يمكن أن تتفرع عـــن أصل هذا اللفظ اللاتينـــي : « ان لفظـــة Pater باللاتينيـــة معناها المحامـــى والمدافع والوالـــى : من ذلك يطلق برومـــة على الشيـــوخ الرومـــانيين « آبـــاء الوطن » وهـــذه التسميـــة « أب » لا تفتـــرض اى فكـــرة للتناسل ، بـــل هي للدفـــاع والاعجاب . اما لكل مـــا يتعلق بوطننـــا الأم ، كلغتها فهي متفرعة عن اللغـــة اللاتينية بعد أن حرف معناهـــا الأصلي الاول والعادى عن كلمة (Pater) ، وقد اعطى معنى ثان متفرع عن المعنى الاصلى لكلمة « أب » للنسل .

لقـــد استعمل الموريسكيون خاصة عمل فـــاليرا لهجومـــه ضد البابوية التي ياخذونها بشكـــل أساسي على ثلاثـــة اشياء : انهـــا افسدت الكتابـــة المقدسة وانها كانت وراء العقيدة ، أى أنهـــا خولت لنفسها اختيـــار قـــوانين العقيـــدة وانهـــا أنشـــات مـــن لا شيء كـــل صيـــغ العبـــادة وعلـــى الاخص القـــداس (21) .

ويمكننـــا أن نتساءل هـــل هـــذا التقـــارب الذى تـــم بين المـــوريسكيين البروتستـــانت عرضـــى وهو بالتالـــى سطحـــى أم هو يستجيـــب لـــدى البروتستانت أو الموريسكيين لأسباب عميقة جدا .

نلاحظ بادىء الامر أن الامر يتعلق بمشكل عام يهم في الحقيقة العلاقات بين البروتستانت والمسلمين . وبعض أصحاب اللاهوت الكـــاثوليكيين قـــد أخذوا على البروتستانت ، ليس فقط في البلـــد والفترة الزمنيـــة التي تهمنـــا

(21) لا نلح هنا حول مختلف هاته النقاط التى سوف تعالج فى وقتها .

هنا ، ولكن في أماكن وازمنـــة أخرى ، علاقاتهم العقـــائدية مع أنصار محمـــد فنودوفيك مـــاراجي (Ludovic Marricci) المتوفي سنـــة 1700 وهو صاحب أهم التآليف الجدلية العربية ضد القرآن ، ومن بينها :

Prodomi od refutotiomen Alcoroni وكـــذلك Refuento Alcirani

وقد أطلق عليهـــم : « Genuini mahometanorum filii ac discipuli »

ومعنى هذا إهمال أهم القضايا الجدلية لعلمـــاء اللاهوت البروتستانت ضد القرآن ، ومنهم تيودور بيبليانذر (Theodore Bibliander) خليفـــة زويقـــل ، (Zwingle) على كرسي علـــم اللاهوت بزوريـــخ والذى نشره ببـــال سنـــة 1543 ، كما نشر عدة تآليف أخرى .

ولا بد أن نذكر ايضا أن الموريسكيين باسبانيا قد استعملوا لمجادلاتهم الحجج المستمـــدة من أعمال غير موجهـــة لهم ، وهذا ما ادى الى الاســـاءة للمسلمين إساءة كبيرة .. وكمثـــال على ذلك معاهدتنـــا سيبريـــانو دوفـــاليرا . وحيث ذهب حتى الى إبـــداء تأسفه أن عددا من عـــادات الكنيسة الرومانيـــة قد منعت العرب والكافرين الآخرين من اعتناق الدين المسيحي : « إن عـــددا كبيرا مـــن العرب واليهود والأتـــراك يمكن أن يعتنقـــوا الدين المسيحي لولا الفضيحة التي ستلحـــق بهـــم والمتمثلـــة في عبـــادة الأصنـــام المـــوجودة في الكنـــائس » (23) . وبالاضافة الى ذلك فـــان إشارتـــه للرسول لا تـــرضي المسلمـــين البتـــة . وعليـــه فانـــه عندما اشـــار بابويـــة بونيفـــاس الثـــالث (Boniface III) في أوائل القـــرن السابـــع ، كتب يقـــول : « لقد حدثت ثلاثـــة اشياء في ذلـــك الوقت : إن امبراطورية الشرف الأكبـــر بدأت في الخفـــوت ، وبـــدأت البابويـــة في الصعـــود وقيـــام الديـــن المحمـــدى . وعلـــى أنقـــاض الامبراطورية ، سوف ترتفـــع هاتـــان الدابتـــان اللتان سوف تلحقـــان كبير الضرر بكنيسة السيد المسيح » (24) .

على أن ملاحظة هامشية قد حددت بشكل جيد هاتين « الدابتين » وهما بابا ذلك العصر ومحمد . ومن جهة أخرى فقد حيا الواقعة التاريخية المتمثلة في اخذ غرناطة واعتبرها انتصار المسيحية ضد الاسلام : « إن اخذ غرنـــاطة قد أفاد كثيرا اسبانيا عندما خلصها من الحروب المستمرة ومن الحروب التي كانت تقع بين المسيحيين والعـــرب ، وهذا عندما أطردت ملة محمـــد الكاذبة مـــن اسبانيـــا » (25) .

ان وضعية فـــاليرا تجاه الاسلام هي إذن واضحة جـــدا . فالموريسكيون لم يحتفظوا الا بالانتقادات ضد الكنيســـة الرومـــانية وهذا دون أن يهتمـــوا بمشكل الاعتناق اثارها المؤلف تجاههم أو حول أحكامهم التاريخية .

---

(22) **Prodromi ad refutationem Alcorani**, t. II, p. 70.
والمذكور في : Distionnaire de Théologie Catholique de Vacant (A) et Mangenot (E), Paris, Libraisie Letouzez et Ané, t. III, Colonnes 1839-1840.

(23) Valera, **Los dos tratados..., op. cit.**, p. 19.

(24) المصدر نفسه ، ص 47 .

(25) المصدر نفسه ، ص 20 .

أما مواقف بروتستانت فرنسا فهي اكثر وضوحا ، ذلك انه بعد عـــدة سنوات من مرور الموريسكيين حددوا أثناء مجمعهم الكنسـي بشـارنتون (Charenton) سنـــة 1645 ، المسائـــل الستـــة التى وجب القـــاؤها على « المحمديين » الذين يرغبون في التعميد . ومن يرغب في التنصـر وجب أن يرد بنعم على الأسئلة التي تشرح من جهة رفضهم لدينهم الأول ، ومن جهة أخرى ، انضمامهم للعقيدة المسيحية : ولم يمنـح أتبـاع محمـد أى تنـازل عقائدى ، وهذا وفقا لعقلية العصر ، وهذا ما يعكس ، بصراحة اللهجة الجدلية المستعملة . والسؤال الأول يعرض إذن انضمام المعتنق الأول : « ألا تعتقد ان الكتابـــات المقدسة القديمة والجديـــدة هى مستوحاة من عند اللـــه وانها تنضمن إرادته التي ترتبط بإنقاذ البشر وما هي القاعدة التـامة والوحيـدة لعقيدتنا وحياتنا ؟ » . أما السؤال الخامس فقد رفض المعتقدات القديمة : « ألا تعتقد أن محمدا كان كاذبا وأن قرآنه عبارة عن جملة مدنسة لعدد كبير من الأفكار السفيهة والحمقى ، وقد اخترعـت لغـرض إقـامة ديـــن كـاذب وبغيض ؟ » (26) . ومن الواضح إذن انه لا يمكننا أن نؤخذ البروتستانت بمنح أى تنـازل عقائدى للموريسكيين .

على أن هناك مأخذا آخر قد وجه هذه المرة للموريسكيين : الا وهو الرغبة في تحقيق عمـل توفيقـي بين الديـن الاسلامي والبروتستانتية . وبانـواى رواتا (Pano y Ruota) فى مدخل طبعتـــه لكتاب : المقاطع الشعريـــة للحاج بيـاى مونسـون (Paro y Ruata) المرسل الى مكـة في القرن السادس عشـر (27) . Coplas del Peregrini de Puey Monçon, Viaje à la Meca en S. XVI كان يرى في هذا أحـد أسبـاب طـرد الموريسكييـن : ذلك أن المسيحيين كانوا يخشون بهذه الوسيلـة دخول البروتستانتية الى اسبانيـا . وبالفعل فقد كتب : « إلا أن هذا الاتجاه الوحدوى ينطوى في طياته على خطر يمكن أن يجلب لاسبانيا تعقيدا خطيرا جدا : إن نتيجة هذه القوى العاملة والتـي أثـرت على هذا الموضـوع الهام قد ولـدت اتجاهـا بروتستانتيـا اكثر منه أرثودكسيا . من يعرف ما اذا كان مجمع لـوى فليـب الثالث قد أحس بمثل هذا الخطر وكان وراء السبب الذى جعله يؤيد طرد الموريسكيين ! »

أما سافيدرا (Saavedri) في كتابه (Discorsa) فله رأى اكثر دقة عندما نبه الى عدة نقاط للاتصال بين الديانتين وقد فرض وجود تأثير بروتستـانتي . وعلى ضوء ذلك ذكـر هـذه الأبيـات لخوان اراقـونـاس (Juan Aragonés) والتي تعتبر دعوة للنقد الحر :

سـوف لـن يكـون مرتـاحـا
مـن يـاكـل بيـد غيـره
لنقـم بتجاربنـا الشخصيـة

(26) Aymon, **Tous les Synodes nationaux des Eglises Réformées de France,** La Haye, Charles Deo, 1710, II, p. 645.
(27) Pano y Ruota, **Las Copias..., op. cit.,** pp. 31-32.

دو ورس واحاطوه علما بأن لديهم كثيرا من الاسلحـــة المخفية ، كي ارسلوا في نفس الوقت الى الأتراك سفارة لطلب المعونة المالية .

بتجرياتنا في النصوص المقدســة
وســوف نكتشــف انــه ليــس
كريهـــا عنـــد اللـــــه
ان الانسان يسعى للعثور على نفسه » (28) .

ومن المؤكد أننا سنجد في المخطوطـات الموريسكيـة هذه المشـاكل المتعلقة بحرية التثبت والتبرئة بواسطة العقيدة والرعاية والأعمـال الخيـرة والتسامح ، وهي المواضيع التي تعود عليها البروتستانت . ومع هذا وعلى الرغم من التاثيرات المؤكدة التي اشرنـا اليهـا ، فاننا لا نعثر البتـة على محاولة واعية للوصول الى حركة توفيقية دينية . وتأكيد عكس هذا الأمر ، معناه الايمان بأن العدد الاكبـر من الموريسكييـن الذين لاحقتهـم دواويـن محاكم التفتيش لأسباب مثل الانتقادات الموجهة ضد القساوسة أو مؤسسات الكنيسة كانت خاضعة للتاثير البروتستانتي !

ان الشيء الوحيد الذى بقي صحيحا هو ان الموريسكيين والبروتستانت يجد بعضهم البعـض على نفس المواضيـــع وان الموريسكيين كانوا يتلقـون بسرور الحجج الجدلية التي يمنحها إياهم البروتستانت

أما العمل التوفيقي الديني ، فاننا نعثر عليه في بعض الأحيان قد تحقق لدى الأشخـاص المعزوليـن ، ولكن ذلك خاصة على المستـوى العـام بين المسيحيـــة والاســلام من بعض النصـــوص ، الا ان ذلك لا يعنـــي البتـــة البروتستانتية : وقد اشرنا الى (Libros plumbeos) الذين خصوا بدراسة كانت نتائجها النهائية هي تلك التـي نـــادى بهـــا الأب كـابـانـولاس (Pere Cabenelas) (29) .

2 ـ الموريسكيـون والبروتستـانت : لقـــاء تـاريخـي :

اسبـانيـا : 1) مـوريسكيـو اراقـون وبروتستـانت بيـــارن .

بعد ان رأينا نقاط الالتقاء بين الموريسكيين والبروتستانت لكل ما يتعلق بالعقيدة ، وذلك لاستعمالاتها الجدلية ، وجب علينا أن ندرس الان العلاقات التاريخية الموجودة بين المجموعتين والتساؤل عن سبب القـوة الجـاذبة الحقيقية التي يجسمها البروتستانتية بالنسبة للموريسكيين .

وفي الحقيقة فإن دواوين محاكم التفتيش كانت تخشى وجود علاقات بين الموريسكيين والبروتستانت . ودواوين سرقسطة مثلا كانت منشغلة منذ بداية عهد فيليب الثاني بمصير الموريسكييـن والذين كانوا طوال القرن السادس عشر ، يغادرون اسبانيا ويلتجئون الى بيارن . وقد لاحظ مفتشو

(28) Saavedra, **Discurso... op. cit.**, pp. 34-35
(29) P. Dario Cabanelas, **El Morisco Grenadino Alonso del Castillo**, Granada, Patronato de la Alhambra, 1965, pp. 197-232.
وقد وجب ذكر عمل مانصيو دو اريفالو ، وحول هذا المؤلف راجع :
Saavedra, **Discurso.... op. cit.**, pp. 15-18.
وكـذلك : Batronat y Barrachina, **Los Moriscos espanoles... op. cit.**, I, pp. 383-384.

دواوين التحقيق : « أنه بالنسبة إليهم ، كان ذلك بمثـابة إغـراء كبيـر ، لأن لديهم مرجعا قريبا منهم على الحدود نفسها لهذه المملكة ، وإنه في ظرف وجيز جدا يستطيعون أن يجتازوها » (30) . أثناء محاكمة احد القضايـا ، طلبوا من أحد الشهود ما اذا كان على علم بمصير بعض العرب الذين اجتازوا أراقون متوجهين الى فرنسا : « وانه اذا كان يعلم انه يعيش في هذه المنطقة اللوثريون أو من يعطف عليهم ، فإنه قد سمع بذلك » . وفي إجابته الغامضة اكتفى الشـاهد بالتـأكيد أنه في بيـارن « التي هي ملك للسيد دوفونـدوم (Da Vendime) يوجد عدد كبيـر من اللوثريين » . الا أنه ، مع ذلـك ، لا يعلم شيئا مؤكدا حول اعتناق الموريسكيين المحتمل والذين يعيشون في هذه المناطق (31) .

يبدو أن هذه العلاقات بين الموريسكيين وبروتستانت بيارن قد استمرت طوال حكم فيليب الثاني ، ووجـود ملف تابـع لمحاكم دواوين التفتيـش بالأرشيف التاريخي الوطني بمدريد ، يقدم لنا بخصوص هذه النقطة معلومات ثمينة جدا حول المؤتمرات التي حيكت خلال سنتي 1575 .

وفي هذا التاريخ كان والي بيارن هو السيد دو روس (De Ros) وكانت أطماعه التوسعيـة معروفـة جـدا . وقد ذكر لمن يرغب في الاستماع اليه : إننا بعد ذلك سنلتحق باسبانيا وسنهاجم هذه الأرض وسنستولي على بلد النافار (Navarre) . وقد أظهـر الموريسكيـون رغبتهـم فى مساعدته . ومن اجل ذلك قام موريسكيان بالتحول الى بيارن ، غير أنهما أثناء الرجوع أسر احدهما وتم شنقه بجاكا (Jaca) . وتلك لا تمثل الا سفارة من عدد آخر من السفارات : وبالتحديد أرسل موريسكيو أراقون الى بيارن مبعوثين عنهم لاقامة عقد محالفة .

أما المبعوثون فانهم يسلكـون فى بعض الاحيان الطريـق المعاكس : وفى نفس هذه السنة 1574 كان احد البيارنيين والمتزوج بأراقون قد نقل رسالة الى السيد دو روس من الموريسكيين : وقد طلب عشر آلاف أو اثني عشر الفا من اللاكو (Ecus) مقابل تقديم مساعدته العسكرية . وقد اجتمع الموريسكيون في مجلس لهم ـ (Almonacid de la Sierra) وهو المركز الموريسكي حيث اكتفوا بعد طـرد الموريسكييـن بمدة كبيرة ، عـددا من المخطوطـات الموريسكية الخاميادية . غير أن الموريسكيين كانوا يساومون حول الثمن ، فهم لا يقـدرون على اعطاء هذا القدر من المـال ، ولكنهم يلتزمون بتسديـد « ما يقدرون عليه » . وقد أرسلوا إذن رسولا محملا بهذا المعنى الى السيد دو ورس وأحاطوه علمـا بأن لديهم كثيرا من الاسلحة المخفيـة ، كما أرسلوا في نفس الوقت الى الأتراك سفارة لطلب المعونة المالية .

---

(30) A. H. N., Inq., leg 1213
وقد نشر النص من طرف ماريا صولاديد كارسكو أورقواتى
(Maria Soledad Carrasco Urgoiti)
« Apendices Documentales » de **El problema morisco... op. cit., p. 144.**

(31) **المصدر نفسه** ، ص 123 .

وعليه فإننا امام هذا الوضع ابعد ما نكون عليه من العطف العقائدي المتبادل والذي اشرنا إليه سابقا : إن هذا التحالف فرضته نتيجة الملابسات السياسية الظرفية ، ونلاحظ من جهة رغبة الموريسكيين في التحرر من الكابوس الاسباني ومساعدة الأتراك ، ومن جهة أخرى نلاحظ وجود لأطماع التوسعية لبيارن والتي ، من المحتمل ، أن تخدم الموريسكيين .

لقد عرف حكم فيليب الثاني ايضا هذا النوع من المؤمرات . ويبدو أن محاولات التآمر هاته قد أخذت بعدا جديدا . وبالفعل إذا كان هنري الثالث دونافار ، قد أصغى بادىء لامر انطلاقا من أنه بروتستانتي ، بعطف لقضايا الموريسكيين منذ سنة 1587 (33) ، فقد أصبح الان هنري الرابع ، ملك فرنسا . وعليه فان الموريسكيين قد توجهوا بابتهاج عظيم الى الملك هنرى . وقد تجب ملاحظة ان ذلك قد تم على الرغم من اعتناقه الدين الكاثوليكي . وقد أصبحت هذه القضية قضية سياسية بحتة . وعليه فليس موريسكيو أراقون اليوم هم الذين توجهوا الى جارهم النافاري القوى ، ولكن الأقليات الموريسكية باسبانيا الذين يتعاملون مع ملك فرنسا : من ذلك أرسل موريسكيو بلنسية مذكرة الى باريس سنة 1602 طلبوا فيها من ملك فرنسا الموريسكيون انقاذهم من المصاعب التى اثارها ضدهم الاسبانيون وحيث أخذوهم لكثرة ارهاقهم بالضرائب وعدم ممارسة الحرية الدينية . وقد ذكروا عن أنفسهم أنهم أخوة الشقاء : دفاريين أراقون ومادافالاس قشتيلة (Madegales de Castille) (34) . وعليه وضعوا مصيرهم بيد الملك هنرى الرابع ، وقد صرحوا له : « إننا أصحاب بلنسية ، نعد ستة وسبعين الف بيت ، واكثر من هذا ، فانا أصحاب السيادة ولا نريد أن نسمع شيئا غير عزيمة ملك فرنسا » .

وقد أعطت تلك المذكرة بعض النتائج ، من ذلك أن السيد دوبانيصو (Sieur de Panissault) الذى تنكر في لباس بائع قد تحول الى بلنسية بأمر من هنرى الرابع . وقد تمكن أن يحضر اجتماع توقا (Toga) الذى يضم مندوبين عن القرى البلنسية التى يسكنها الموريسكيون . وقد سجل دوك دولافورص (Duc de la Force) والي بيارن ، في مذكراته عددا من هذه السفارات (35) .

أما الاسبانيون فقد بقوا محترسين وقد نجحوا في كشف عدد من المؤامرات . وقد علم فيليب الثالث في الأخير الاسباب الحقيقية لسفر

---

(32) A. H. N., Inq. leg 4529

(33) حسب ماتورا : Mathorez, **Les étrangers en France sous l'ancien Régime**, Paris, E. Champion, 1919, p. 161.

(34) المصدر نفسه ، ص 161 .

(35) تحدث فرنسيسك ميشال (Francisque Michel) حول مختلف هذه السفارات ، مستعملا : **Les Mémoires du Duc de la Force** وهذا لدى تحرير كتابه : **Histoire des races maudites de la France et de l'Espagne**, Paris, A. Franck, 1847, II, pp. 56-62.

(36) المصدر نفسه ، ص 60 .

دوبانيصو الى بلنسية (36) ، ومن جهة أخرى مسك باسكال دوسانت استان (Pascale de Saint Estève) وكيل دوك دولافورص ، ببلنسية بتاريخ 23 أفريل 1605 ، وقد أقر تحت التعذيب بكثير من البيانات التى حثت الاسبانيين ودعتهم الى مضاعفة الحيطة والحذر .

كما يمكن أن نرى مؤشرا آخر فى نوعية العلاقات السياسية القائمة بين الموريسكيين والبروتستانت من خلال علامة برزت في كل ثلاث صفحات ضمن رحلة موريسكية الخاميادية : وبالفعل فقد ذكر لهؤلاء الموريسكين الملتجئين الى الدول الغربية خط تحولهم مرورا بمنطقتي لينكودوك (Languedoc) وبروفنس (Provence) : « أمير كوندى (de Condé - Prince) وراس اللوثوريين » . إن هذه الكلمات القليلة تبدو وكانها نوع من الانذار للهاربين وحيث نصحوا للعثور على مساعده وبالاحرى سند لدى البروتستانت بدل الكاثوليكيين .

2) حالات الاعتناق الفردية :

إن تخوفات محاكم دواوين التفتيش تبدو حقيقية ، قد بينا ذلك في قضايا محاكم دواوين التفتيش بطليطلة حيث تعرضنا الى عدة حالات من اعتناق الموريسكيين للمذهب البروتستانتى . من ذلك حالة قونزلو التردى (Gonzalo el Gordo) وهو حداد بالماقرو (Almagro) وحيث اتهم سنة 1578 بانه كان « لوثريا ملحدا » (38) . وعندما كان يعتقد أن مراقبة الكنيسة الكاثوليكية : « لا تقر أو لا تفرض مراقبتهم » فقد تجرأ ليطلب تسليمه للسلطة المدنية . ما هي المآخذ التي أوخذ بها ؟ أولا : انتقاداته ضد الكنيسة الكاثوليكية وإظهار نزعته للانضمام « الى طائفة لوثر » . ويبدو أنه تنبأ بقرب اعتناق اسبانيا للمذهب البروتستانتي : « إنه قبل سنة 1578 ، سوف نصبح جميعا من اتباع لوثر » . وقد وجهت انتقاداته الى العقيدة المنتمية الى رجل تعد خاطئة ، لأنه يكفي أن نعترف لله الذى باستطاعته أن يستمع الى الواعظ حتى ولو كان في أعماق كهف . وقد انتقد ايضا جشع كهنة الكنيسة : « كان يرى أن قانون المسيحيين سيء والغفران البابوى يمكن أن يقتنى بالمال والذى يسلمها هو مخلوق يمشى على الارض » إن قيمة تسديد الاعتراف بالمال هو أمر مرتفع جدا .

كما نلاحظ أيضا أن هناك بعض الاضطراب فى استعمال قونزلو القردو عندما يتحدث عن « قانون المسيحيين » وكان المذهب البروتستانتي ليس

---

(37) ذكر فرنسيسك ميشال فى الملحوظة عدد 1 من الصفحة 57 من كتابه السابق الذكر ، هذه الجملة وهذا انطلاقا من مقال :

D. Pacual de Gayangos, « Language and Literature of the Moriscos » in, **The British and Foreign Review**, n° 15, janvier 1839, pp. 63-95.

ان هذا المخطوط الذى كان على ملك قاينقوس (Gayangos) يوجد الآن بـ **R. A. H.** المخطوط T 16 وقد علق فرنسيسك ميشال على هذه الجملة بقوله : « ألا تدل هذه الملاحظة أيضا على بدء المباحثات مع البروتستانت ؟ » ان بحثنا هذا يجيب بالايجاب على هذا التساؤل ويؤكد فرضيات قاينقوس التى نقلها عن ساندرا من خطابه.

(38) **A. H. N., Inq., leg 196, n° 6**

هو الآخر من الدين المسيحي . إن هذا الاضطراب هو أكثر وضوحا من هذه الجملة من المآخذ الذى عبرت عنه المحكمة ضد المتهم بقولها : « مذهب لوثر افضل من الدين المسيحي » . على ان الذى يقابل فقدان ثقافة المتهم ، تعكس جملة المشاهد التي سلمها الى محاكم دواوين التفتيش ، وتسلم تلك الجملة من مخاطبيه وفقا لتركيبة فكرة : وبالنسبة اليه لا يوجد دين مسيحي آخر غير مذهب الكاثوليكيين والبقية عبارة عن مذاهب وعقائد أجنبية عن الانجيل . ومما لا شك فيه أن الموريسكيين يرون هم الآخرون في البروتستانتية عدو الدين الرسمي ، وهذا دون أن يتعمقوا في المسائل المطروحة . وهناك حالة اخرى هو جوليان « العربى واللوثرى » وهو عبد لدياقو دويالا (Diego de Ayala) وهو نائب مجلس بلدية طليطلة . وتعتبر هذه الحالة غريبة جدا لعدة اسباب : لقد تمكن من القيام برحلة الى فرنسا أربع مرات . وفي إحدى إقاماته بالخارج اشتغل ككاتب « لجلالة الملك » ، وكل الدلائل تشير الى أن المعني بذلك هو ملك نافار . وخلال كل زمن خدماته ، لم يذهب الى القداس الكنسي لأن الهه احاطه علما أن كل هذه الاشياء ليست سوى مزاح ، وإنه يجب العثور على مبادىء السلوك فى كتاب العهد القديم وان التماثيل ليست سوى الرعب والخوف وأنه وجب عدم احترامها . وذكر أيضا أن هذا الكاتب كان يصوب ضدها طلقات مسدسه وأن التماثيل هي عبارة عن أشياء اصطناعية وأن ذلك لا يجدى شيئا إذا تمت عبادتها واحترامها ، غير ان المهم من كل ذلك هو تسليم النفس الى الله » (39) .

وقد اعترف أنه اعتنق المذهب البروتستانتي نتيجة تعليم أستاذه واستماعه الى وعظ صحبته ، وقد وجد أن هذا الدين طيب وانه فى إطاره سوف يقوم بأداء واجبه وأن مبادىء هذا الدين تعتبر افضل من تلك التى يؤديها « مسيحيو اسبانيا » .

وقد تم اكتشافه نتيجة تدخله في محادثة انتقد فيها البروتستانت وقد صاح بحدة : إن اللوثريين هم رجال طيبون جدا وانه وجب عدم ذكرهم بسوء وأن اديكم دوما سيئاتكم بعد العرب واللوثريين ، في حين أنهم افضل المسيحيين منكم وأن اللوثريين هم رجال خيار . ومن الغريب ان يحتفظ جوليان بكل هذه الممارسات العربية : « الوضوء والصيام والصلاة » . وفي نفس اللحظة التي تم فيها إيقافه ، كان يستعد للاقلاع في اتجاه الجزائر . « ليخدم السلطان التركي والعمل على محاربة هؤلاء المسيحيين الكلاب » .

نحن إذن أمام حالة فريدة من نوعها : إن جوليان يعد شخصا عاديا ، بدون ثقافة دينية ، وهو محمول على أن يتحسس النقاط التي يتقارب فيها المذهب البروتستانتي مع الاسلام ، اكثر من اختلافهما ، وانه من هذه الناحية ينسجم بسهولة مع احدى المجموعتين ، دون أن يرفض الثانية : غير أنه لا يوجد شىء يمنعه ان يغنى فى بيته « الاغانى اللوثيرية » وهذا بعد

(39) المصدر نفسه ، leg. 194 n° 19

قيامه بصلاة اسلامية . ان هذا التاليف التوفيقى الدينى يبقى على أية حال سطحيا جـدا (40) .

على أنـه يوجد عدة موريسكيين مشهورين ويستحقون الذكـر ، كانوا قد اعتنقوا المذهب البروتستانتي ، فجون قونزلاز (Juan Gonzalez) (44) الاشبيلي قد وقع منذ طفولتـه في نزاع مع محـاكم دواوين التفتيش . وقـد مثل أمام محاكمها بالفعل وهو في سن الثانية عشرة سنة بتهمة ذكر أقـوال طيبـة عن الدين الاسلامي . ولم يمنعـه ذلـك أن يصبـح قسا ومن أشهـر الدعـاة . وقد تحول إثر ذلـك الى البروتستانتية وقد نجـح في الدعـوة الى الاصلاح بإشبيليـة . وقد احـرق من طرف محـاكم دواويـن التفتيش مـع اختيه ، خلال تنفيـذ حكم الاعدام بالحرق باشبيليـة بتاريخ 14 ديسمبـر 1559 .

على أن اشهـر موريسكـى كان قد اعتنـق البروتستانتيـة ، هو ولا شك كازأودورو دولارينا (Casiodoro de la Reina وهو موريسكي غرنـاطي كان قد درس بالجامعة واصبح بعد ذلك راهبـا لينتهي لوثريـا . وقد أرسل بتاريخ 4 أوت 1569 الى ستراسبورغ (Strasbourg) من مدينة بال ، حيث كان يقيـم ، اربعـة براميل مشحونـة بالانجيـل الى الواعظ كونـرادو هوبـار (Conrado Hubert) : « للغرض الذى يعلمـه » وقد أوضح ميننداز بالايـو (Menendez Pelayo) ذلك بقوله : ان الغرض لادخالها الى فلنـدرا (Flandres) ومـن هنـاك الـى اسبانيـا » (42) . وحـول ذلـك درس هنـرى كمـان (Henry Kamen) بشكـل متـوازن مـوقف بعـض « المعتنقـين » وبعـض لموريسكيين في مواجهة مع البروتستانتية : « إنـه مهـم أن نرى البعض قـد اعتنق البروتستانتية وأن أبرزهم كانوا مـن المسيحيين الجدد ، وهـذا ما يسمح باقامة علاقة بين بـدع المعتنقين وبين البروتستانتيين » (43) . ان عائلة كازلا (Cazalla) شانها في ذلك شان قسطنطينو (Constantino) كانت من أصل « المعتنقين » بينما كازا أودورو قد برزت من الأقلية العرقية الأخرى ، الا وهي الموريسكيون .

3) إغراء البروتستانتية للمجموعة الموريسكية :

إن هذه العلاقات القائمة بين الموريسكيين والبروتستانت قد تجاوزت مستوى العلاقات البسيطة بين شخص ومجموعة مختلفـة عنـه : فالمجموعة

(40) Baronat y Barrachina, **Los Moriscos espanoles... op. cit.**, I, p. 175.
يذكر حالة الموريسكيين البلنسيين الذين اعتنقوا البروتستانتية مقدما بعض التحفظات حول اعتناقهم ذلك : « ان عددا من القضايا ضد الموريسكيين واللوثيريين والداعيـن لهذه البدعة قد ادعتها محاكم دواويـن التفتيـش ، غير اننا لا نعثر فى أى واحدة منها على ممارسة واضحة وجلية للداعى » .

(41) Castro, **Historia de los Protestantes...**, op. cit., p. 16.

(42) Menéndez Pelayo, **Historia de los Heterodoscos...**, op. cit., Lib. V, Cap. III, p. 350.

(43) Henry Kamen, **Histoire de l'Inquisition espagnole**, Paris, Albin Michel, 1966, p. 89.

الموريسكية ، كما رأينا ذلك ، قد توجهت مرارا الى الملك هنرى الرابع بواسطة مبعوثين رسميين ، وذلك لطلب مساعدته للعمل على القيام بانتفاضة عامة باسبانيا (44) . وقد كتب سولي (Sully) حول هذا الموضوع في مذكراته : « إن موريسكيي اسبانيا يرغبون بحرارة العمل على التحرر من العبودية التي لا تطاق وهذا بواسطة انتفاضة عامة ، كلما لاحظوا وجود أمير قوى وجار لهم مستعد أن يحتضنهم ... خاصة وأنهم قد أمنوا على حريتهم لدينهم وأملاكهم واشخاصهم . وانهم مستعدون أن يعتنقوا ثقة المسيحيين المصلحين (والتي يؤمنون ان هناك إلها واحدا يعبد ويصلى له ويبتهل إليه ، وأنه لا توجد صور له بينهم ، ولا تعبدوا أوثانا وهم يكرهونها جدا) وهذا اكثر من تحملهم محاكم دواوين التفتيش الاسبانية القاسية » (45) .

إن اعتناق البروتستانتية المحتمل ، يبدو إذن بالنسبة إليهم وكأنه حركة تحريرية وعمليا كوسيلة للتخلص من اضطهاد محاكم دواوين التفتيش . وهذه الظاهرة لا يمكن أن تخفى عنا ايضا مارانس انفار (Marranes D'Anvers) الذين أجبروا على التنصر ، والذين كانوا هم الاخرون يرون فى البروتستانتية وعلى الخصوص في لوثر ضمان الحرية (46) . إن الاحتمال الاعتناق العام للبروتستانتية وجب تقريبه للتصريح الذى أدى به في مرقان (Morgan) سلالة الموريسكيين الملتجئين الى تونس (47) ، وقد ادعوا أن آباءهم قد اعتنقوا البروتستانتية وهذا أفضل لهم من اجبارهم أن يبقوا كاثوليكيين . وهذا التناقض يخضع الى التكتيك السياسى أو بشكل بسيط الهروب من النكاية اكثر منه الرغبة فى الاعتناق المتبصر .

ب) في فرنسا 1) اعتناق الموريسكيين للبروتستانتية :

إن مشكل اعتناق المسلمين للدين الصالح قد بدأ من الجانب الفرنسي في عدة نصوص ترجع الى أواخر القرن السادس عشر أو النصف الأول من القرن السابع عشر : والعدد الكبير من تلك النصوص قد تناول هؤلاء الموريسكيين الذين كنا قد تحدثنا عنهم سابقا والذين فروا من اسبانيا فى اتجاه بيارن أو بعض المناطق الفرنسية مثل لنكدوك (Lanqueduc) وهذا ما جعل المجمع الكنسي الوطني بمنطبون (Mantaubon) سنة 1594 (48) يذكر أنه باستطاعته تعميد « الأطفال المتشردين (البوهيميين) والعرب والمصريين » وهذا ممكن « شريطة أن لا يقع أى ادعاء بأنهم عمدوا سابقا » وعليه ألا يتهم هذا التحديد بشكل خاص ابناء الموريسكيين الذين عمدوا من قبل باسبانيا ؟

(44) راجع الملحوظة رقم 35 املاء .

(45) **Suite de la troisième partie des Mémoires ou Cérémonies royales d'Etat de Henry le Grand**, Rome et Paris, MDC LXII, IV, p. 381.
مذكور فى : Francisque Michel, **Histoire... op. cit.**, II, p. 58

(46) Redonda, « **Luther... op. cit.** », p. 120.

(47) Saavedra, **Discurso... op. cit.**, p. 18.

(48) Aymon, **Tous les synodes nationaux... op. cit.**, p. 177

ومن جهة أخرى وبتاريخ 1 مارس 1599 فإن قسا شابا قد وصل مؤخرا الى باريس ليصبح من اكبر وعاظ الكنيسة البروتستانتية في ظل الملك هنرى الرابع ، وكان قد زوج « عربيا وعربية » تحت رعاية السيدة أخت الملك، التى لم تقتف بأثر اخيها فى اعتناقه المذهب الكاثوليكى . وبالفعل فقد كتب قس مولان (Moulin) في سيرته الشخصية : « أنه من الغد ، كنت اعظ في اللوفر (Louvre) أمام سيدتي وحيث زوجت عربيا بعربية : وقد كان هناك خلق كثير » (49) . ان حضور هذا العدد الكبير من الناس المشدودين لرؤية هذا المشهد الشاذ ، ليدلنا بالفعل أن الامر يتعلق بحدث فريد من نوعه . ومع هذا فلا بد أن نلاحظ أن جاك بانيي (Jacques Pannier) يذكر في كتابه : L'Eglise reformée de Paris sous Henri IV عددا آخر من هذه الحالات ، التي هي على أية حال قليلة ، والمتمثلة في تعميد العرب والأتراك واليهود بمعبد ابلون (Ablon) وهو مكان العبادة المرخص قرب باريس .

واثناء الطرد الموريسكي من اسبانيا ، سمح هنرى الرابع بادىء الامر للموريسكيين بالإقامة في فرنسا شريطة أن ينضموا الى « الديانة الكاثوليكية البابوية الرومانية (50) ويبدو أن اى احتمال لاعتناق الموريسكيين للكنيسة البروتستانتية كان بعيدا . غير أنه في وقت لاحق ، ونظرا لقدوم الموريسكين الى مملكته ، فقد قرر طرد كل الموريسكيين من مملكته وهم الذين عقدوا العزم على الإقامة بها . وعلى الرغم من هذا الأمر ، فقد نجحت عدة عائلات موريسكية فى الاقامة فى عدة ولايات (51) وعلى الخصوص فى لانكدوك (Lanquedoc) وفي بروفنس واكيتان (Aquitaine) وبالاخص ببوردو (Bordeaux) حيث بشر فيهم الكاردينال دو صوردى (De Sourdis) (52) كما أقاموا ايضا بباريس . إن هؤلاء الموريسك الذين تمكنوا من البقاء بفرنسا رغم أوامر المنع الرسمية ، كان أغلبهم من الفقراء . وعلى الرغم من فقدان مواردهم الاقتصادية فقد حاولوا الإقامة حيثما حل بهم السفر ، وأكبر مشكل عانوا منه هو سعيهم لضمان معاشهم .

وبتاريخ 4 أفريل 1612 طلب مجلس الأربع والعشرين بمونبلييي الى « السادة الكاثوليكيين » و « اجتماع الكرادلة » أن يقوموا ببعض التحريات عن « الغرناطيين الذين أفسدوا المدينة والأسقفية » (53) .

(49) « Antobiographie de Pierre du Moulin », **Bulletin de la Société d'Histoire du Protestantisme Français**, 7ᵉ année, Vol. I, Paris, 1858, cité in, Jacques Pannier, **L'Eglise Réformée de Paris sous Henri IV**, Paris, Honoré Champion, 1911, p. 74.

(50) يمكن ان ندرس هذا النص فى رسالتى :
L. Cardaillac, **Le passage des Morisques en Languedoc**, Montpellier, 1970, pp. 94-96.

(51) المصدر نفسه ، ص 100 — 101 .

(52) Francisque Michel, **Histoire des races maudites... op. cit.**, II, p. 93.

(53) مذكور من طرف :
Le Roy Ladurie, **Les paysans en Languedoc**, Paris, S.E.V.P.E.N., 1966, p. 108.

واذا كان الانضمام الى المذهب الكاثوليكي قد لوحظ في بوردو ومونبلييي ولونال (Lunel) فإنه يبدو أن العدد الأكبر قد اعتنق البروتستانتية . وحسب السيد بونوا (Monsieur Benoit) وهو مؤرخ البروتستانتية في القرن السابع عشر ، فإن اعتناقهم كان ولا شك عن قصد وسوف يتحول بعد قليل « الى اتجاه عمومي للمكر » . « ذلك أن المساكين لم تقع مساعدتهم في الكنيسة الرومانية ، وعوض أن يعلن عن مساعدتهم بكثير من النظام والاحسان ، فان كل المتوسلين اصبحوا من الموريسكيين وهم المعتنقون لدين آخر . وقد أخذوا يجوبون الكنيسة تلو الاخرى لجمع الصدقات ، وقد دفعوا مجالس الكرادلة والمجامع الكنسية لاتخاذ الإجراءات للاتقاء من هذا النوع من النهب » (54) .

ان مجمع الكنيسة بمنطقة فيترى (Vitré) سنة 1677 قد قرر اتخاذ إجراءات لإصلاح هذا الوضع . إن المراسلة الأخيرة التي بقيت لنا تعد بمثابة إنذار : « لقد أخطرت كل الكنائس أن تحتاط بكل عناية من العرب المطرودين من اسبانيا والذين يجوبون الكنيسة تلو الاخرى ... » (55) . وقد أمر مجمع الكنيسة نتيجة لذلك بعدم احتضان الموريسكيين بكثير من السهولة والبساطة . وقد اتخذت عدة اجراءات وقائية حتى لا يستغل الموريسكيون احسان وبر مختلف المجموعات .

وهكذا منحوا شهادات ، كانوا قد استغلوها للحصول على الأموال ، هذا بعد « دراسة جيدة لنمط حياتهم ومعتقداتهم » . وصيغة الشهود التى سلمت لهم كانت دقيقة : بحيث وجب ذكر عدد اطفالهم مع التنصيص هل عمدوا وفي اى سن كان ذلك وباى الصفات يمكن أن نتعرف على نفس هؤلاء الأشخاص ، مع وجوب ذكر ذلك في نفس هذه الشهادات . وهذا ما يترجم على أن الريبة والحذر تجاههم كانت كبيرة جدا .

ومن جهة اخرى ولكل ما يتعلق بهم ظهر مشكل عقائدى كان قد اثير من طرف نواب ولاية سانتنجه (Saintonge) : إن هؤلاء الأشخاص الذى عمدوا سابقا على يد رجال البابا ، دون أن يلقنوا اى تعليم عن عقائدنا والنقاط الأساسية للدين المسيحي ، هل وجب اعادة تعميدهم بعدما لقنوا تعليم الدين ؟ وقد رد المجمع الكنيسي بالنفي على هذا السؤال منتقدا في نفس الوقت نظام التعميد ، وقد وجب على الكنائس التي وجه اليها هؤلاء الأشخاص ، ان يستعملوا كل نفوذهم « ليعوضوا هذا النقص باستعمالهم التعاليم الطيبة والجيدة » .

ويبدو إذن ان مشكل اعتناق الموريسكيين البروتستانتية قد خدم ، في مرحلة لاحقة ، طرد عدد كبير من الأشخاص ، ذلك أن عددهم الكبير كان قد

---

(54) Benoist, **Histoire de l'Edit de Nantes jusqu'à l'Edit de Révocation en octobre 1683**, Delft, 1693, II, pp. 229-230.
(55) **Bibliothèque de la Société d'Histoire du Protestantisme Français,** Paris, ms 57, f° 819.

استلفت المجمع الكنيسي الوطني ، وهذا على ضوء طلب عدد من المجامع الكنيسية للولايات (56) .

وعلى اية حال يبدو ان ذلك الامر قد حل عمليا ابتداء من سنة 1617 ، وعليه فاننا لم نعثر بعد على إشارة للموريسكيين في محاصر جلسات المجامع الكنيسية الوطنية بعد ذلك التاريخ . وعندما اهتم المجمع الكنيسي لشارونتون (Charenton) سنة 1645 باعتناق محتمل للكفار ، فإنه لم يقع استعمال الكلمة العامة للمحمديين الى جانب اليهود والفرنسيين (57) . كذلك عندما اثيرت من جديد مسالة الشهادات الممنوحة للأشخاص البؤساء ، من طرف مجامع الكنيسة لولايات بلنكودوك الجنوبية (Bas-Lanquedic) ، فان الحديث لم يعد يثار الا « للمتشردين والفقراء » دون اى اشارة للموريسكيين (58) .

ويمكننا إذن أن نفترض أن الشكل الذى وضعه الموريسكيون ، كان مشكلا عابرا ، وانه قد سوى باندماجهم في المجموعات التي استقبلتهم أو فى المجموعات الفقيرة المجهولة السرية ، أو بالنسبة للاخريين ، ولاغلبهم ولا شك ، فى التحول التدريجي نحو أراضي الاسلام ، وعليه فان اعتناقهم البروتستانتية لم يكن سوى ظاهرة عارضة اثناء هجرتهم الجماعية .

2) إثارة الموريسكيين والبروتستانت قضية التسامح بفرنسا :

ولا بد أن نشير في الخاتمة الى ان تدوم الموريسكيين الى فرنسا لحظة الطرد النهائي قد أثار لدى عدد من الشخصيات مشكل التسامح ... نحو البروتستانت . وعليه فقد اتحد في ذهن عامة الناس الموريسكيون والبروتستانتيون . من ذلك أن أحد سكان مونبليي قد صرح « بكثير من الجمل الوقحة ضد اتباع هذا الدين ، ذاكرا على الخصوص أنه وجب على الملك شأنه فى ذلك شأن ملك اسبانيا طرد أتباع دين فرنسا ، وهذا اسوة لما تم بالغرناطيين . وبالاضافة الى ذلك وجب القيام بيوم آخر كيوم سانت بارتليمي (Saint-Barthélémy) » (59) .

وبنفس هذه الطريقة اتفق الموريسكيون والبروتستانتيون دوما حول موضوع التسامح ، ولكن بطريقة ورؤية مختلفتين كما كان ذلك فى ذهن الكردينال دوسات (Cardinal d'Ossat) احد المكلفين بشؤون السفارة

---

(56) ان اعمال مجالس الكنيسة للولايات ، فى معظمها ، لم تصل الينا . على أن كلية الالاهيات بمونبليي تضم دفترا لاعمال مجالس الكنيسة ببالنكدوك (Bas-Languedoc وسافان (Cevennes) والتى حسب عنوانها قد غطت السنوات التالية من سنة 1593 الى 1683 (المخطوط رقم 121) . غير انه مع الاسف ، لاحظنا ضياع القسم الذى يغطى السنوات التالية من 1610 — 1640 . ولا يوجد شيء كذلك فى مكتبة الجمعية التاريخية للمذهب البروتستانتى الفرنسى .

(57) Aymon, **Tous les Synodes nationaux..., op. cit.**, II, p. 665.

(58) Bibliothèque de la Faculté de Théologie Protestante de Montpellier ms 121, f[os] 590, 791 et 835.

(59) **Archives Communales de Montpellier.** Délibérations du Conseil des Vingt-Quatre, Registre n° 68, 1607-1621, f° 115 v°.

الفرنسية بروما (60) . وقد رد هـذا الاخير قبل عدة سنوات ، أى سنة 1597 ، على البابا الذى استفسره هل قـامت فرنسا « بشيء مـا لصالح الملحدين » رد أنه للمحافظة على السلم بيـن الفرنسييـن ، نشر مرسـوم فى اطار برلمان رووان (Rouan) سنـة 1577 لفـائدة البروتستانت . وان ذلك المرسـوم قد صودق عليه بعد ذلك من طـرف برلمان باريـس السنـة الموالية . وعندما علم البابا بذلك « تغيرت سحنته وارتبك » وقد رد السفير على ذلك بأن ملك فرنسا له نفس اهداف بابويته القاضية : « أن يرى كل رعاياه متحدين تحت الكنيسة الكاثوليكية معه » . وقد ذكر ان مرسوم اعادة السلام لم يتم قبوله من الملك المرحوم الا مضطرا » ، وقد اضاف الى ذلك : « وحتى ملك اسبانيا اليـوم وهو المعروف بنزعتـه الكاثوليكيـة المفرطـة والذى يساند الدين الكاثوليكى ، شأنه فى ذلك شأن مساندة أطلس (Atlas) للسمـاء » اظهـر اليوم لتسامـح ، في ولايتي بلنسيـة وغرناطـة ، تجـاه الموريسكيين واسلامهم . وقـد نسي دوسات أن يذكر أنـه إذا تسومح مـع الموريسكيين ، فان ذلك في حالة اعتناقهم الرسمي للديانـة المسيحية وليس لأنهم من أتبـاع دين محمد : إن منطق دواوين السفارات ، لا يعكس حتمـا الدقة والضبط التاريخي .

لقد رأينا إذن خلال هذه الدراسة ولكل ما يتعلق بالعلاقات القائمة بين الموريسكيين والبروتستانت أن التحرك كان على الخصوص من الموريسكيين نحو البروتستانت ، إلا أن الاتصال بقي سطحيا . فالموريسكيون ، في أغلب الحالات ، قد استفادوا من البروتستـانت : من خـلال حججهـم الجدليـة ومساعداتهم ومساندتهم السياسية . وعلى الرغم من بعض الحالات الطارئة التي كنا قد درسناها (اعتناق شخصي أو جمـاعي) فان هذا التقارب لـم يتجاوز مستوى الحد الظرفي لمحاولـة الاعتناق . إلا أنـه بالاضافة الى ذلك قد مكننا من أحد مفاتيح مجادلتهم ، وفي ذلك أكبر الفائدة والغنم .

---

(60) مذكـور فـي :
Weiss, « Difficultés et obstacles que rencontra l'Edit de Nantes » in, **Bulletin Historique et Littéraire du Protestantisme Français,** 7ème année, nº 1, Paris, 1898, p. 271.

تقديم

ان ميدان الدراسات التاريخية العربية ـ الاسبانية ابان عصر النهضة وفجر العصر الحديث ما زال يحتاج الى تفاصيل النظرة التاريخية حول مختلف القضايا التى أثارها أفول نجم العرب بالاندلس وكذلك دراسة الابعاد الحقيقية لعملية الفصل الحضارى الذى عاشته اسبانيا قبيل طرد العرب وبعده بقليل ، ذلك ان البحث التاريخي حول هذه المواضيع ما زال متعثرا خاصة لكل ما يتعلق بقضية الموريسكيين . واذا أخذنا بالاعتبار بعض المحاولات لتقديم الاطار السياسى العام لهذا المشكل ، فان الجانب الحضارى الموريسكى والتأثير الذى أحدثوه فى مختلف المجالات باسبانيا نفسها هذا فضلا عن امريكا والمغرب والمشرق العربيين ، بقى ميدانا يشكو الفقر والضحالة ، بحيث ان عمق التغييرات السياسية على المسرح السياسى خلال القرن السادس عشر، قد لون هذه القضية بطابعها السياسى المعروف ، وغطى على الجوانب الجوهرية الحضارية منها على الخصوص .

وانه ليسعدنى ان أقدم لقراء مجلتنا الناشئة ، هذه الدراسة القيمة لموضوع طريف وجديد بالنسبة لاهتمامات المؤرخ العربى ، خاصة وأن موضوع الموريسكيين بأمريكا لم يلق من لدن الباحث والمؤرخ العربى اى اعتناء على الرغم من الاهمية التى يكتسيها مثل هذا الموضوع . ويكفى أن نعيش هذه الدراسة ليتأكد لدينا مدى عمق القضايا التى وجب علينا اليوم أن نساهم فى تناولها وحلها تعزيزا للبحث وتطعيما لنتائجه ، كما سوف توحى الينا بحتمية تعميق النظرة الشمولية للتاريخ العربى ـ الاسلامى ، والنبش عن مصادره انى كانت ورفض الاجترار . ان أشق وظيفة المؤرخ هو احساسه وشعوره ، اذا ما تناول قضية ما ، بان لديه عناصر جديدة خليقة بان تساهم فى تقدم البحث التاريخى .

هذه الدراسة كتبها الاستاذ لوي كارداياك . وقد أرسل الينا دراسته هاته مع التعبير عن امتنانه لو يتم نقلها الى العربية . وقد لبينا دعوته لايماننا ان هذا البحث يعتبر فتحا جديدا فى موضوعه وسيفتح ولا شك ، آفاقا جديدة للتاريخ العربى ـ الاسلامى .

تونس فى 10 جوان 1976 .

د . عبد الجليل التميمى

قضيـــة المـــوريسكيين بـــأمـــريكـــا

كان الموريسكيون يعيشون على هامش المجتمع الاسبانى لعصرهم ، وهذه حقيقة جد معروفة ، وكان الماخـذ الرئيـس الموجـه ضدهم يتمثـل فى عـدم مشاركتهم فى الاتجاهات السياسية والدينية الكبيرة للامة الاسبانية ، وكانوا يمارسون فى الخفاء دينا آخر ، محولين بذلك وجهة نظرهم الى اخوانهم بالمغرب العربى ، اما التركى فكان يمثل بالنسبة اليهم الامل الكبير ، ومن جهة اخـرى اختلفت عاداتهم وطريقة عيشهم ، وقد كان الحكام خلال القرن السادس عشر ، يحاولون ممارسة سياسة اندماجية ، ولكن بدون جدوى .

ففى سنة 1584 انتقدهم جوان روفو (Juan Rufo) فى هذه الابيـات من قصيدة الاغنية الاولى من الاستريبيادا (Austriada)

« لا يستطيع احد منهم ان يحتضن ابنا آخر ولا ان يجاهر بعفته
لا ولا يستطيع ان ينقطع الى الحياة الادبية او العسكرية .
ان تنقلاته وعدم استقراره لا يؤديانه حتما ان يجرب عالم المغامـرات البحريـة » (1)

وبذلك كان المؤلف يرى ان رفض الموريسكيين حياة التبتل الكنائسـى وعدم مشاركتهم المغامرة الحربية الكبيرة وكذلك المغامـرات الاستعماريـة لعصرهم ، يعتبر موقفا سياسيا محضا . على ان فران اغستان صالوسيـو (Fray Agustin Salucio) استاذ فى علم الالاهيات ودومينيكى ايضا : «ان الحروب والهدن والتحصينات بفلندره (Flandres) او ايطاليا لا تحول دون القضاء عليهم ، كما لا يتحول احد منهم الى رجل دينى ، راهب او قس ، هذا فضلا على انـه لايوجد ايضا من بينهم اخوات راهبات » (2)

وحتى سرفانتس (Cervantes) نفسه اعاد هذه الفكـرة مرتين احداهمـا فى كولولكيو (Coloquio) ثم فى بيرسيل (Persiles) : « ان الديـن والحروب وأمريكا لا تقلل من عددهم ! اذ كلهم يتزوج وكلهـم ينجب وبالتالـى ومنطقيا فان عددهم فى ارتفاع مستمر » (3)

واذا تبنينا وجهة نظر الكتاب المعاصريـن ، نذهب الـى الاعتقـاد ان الموريسكيين لم يشاركوا البتة فى الحملات بالهند ، غير ان قراءة دعاوى ديوان التحقيـق بليمـا (Lima) ومكسيكـو (Mexico) وكارطاجنـا (Cartagena) بانديا‌س (Indias) تؤدى بنا الى القاء اضواء جديدة على هذا الحكم ،

---

(1) Rufo, Juan, La Austriada, B.A.E. t. XXIX, p. 8 a.
نجد شرحا وافيا لهذه المسالة او الموضوع مع ذكر عدة مراجع فى الدراسة الهامة التالية :
Colonge, C, « Reflets littéraires de la question morisque entre la guerre des Alpujarras et l'expulsion (1571 - 1610) », in Boletin de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona, XXIII, 1969 - 1970, pp. 137-243.

(2) Fray Agustin Salucio, Discurso acerca de la justicia y buen gobierno de Espana en los estatutos de limpieza de sangle y si conviene o no, alguna limitacion de ellos (sin ano ni lugar) f° 22 et suivants.

(3) Cervantes, Obras Completas ed Aguilar, Madrid, 1965, pp. 1662 - 1663.

ولا يستغرب هذا الامر خاصة اذا تذكرنا ان المؤلفين السابقى الذكر ، كانـوا يترجمون عن صدى الراى العام لعصرهم . اما الحقيقة التاريخية فهى اكثـر تشعبا وسنحاول ان نحللها ونشرحها .

سنـدرس فـى مرحلـة اولـى وجهـة نظر المشـرع : اى مـاذا تقول مجموعة القوانين بانديـاس (Indias) وكذلك الوثائق حـول مرور الموريسكيين بالهند ؟ وبعد ذلك نتساءل حول تطبيق مختلف القوانين وسنحلل انطلاقا من اعترافات ديوان التحقيق عددا من الحالات المعينة ، ويبقى آخر الامر ، ان نوضح مختلف الاشكال التى طبعت هذا المشكل فى امريكا (العالم الجديـد) .

« يطرق هذا الموضوع لاول مرة ، اذ يوجد عدد من الدراسات التى تناولت هذا الموضوع ، ذلك ان عددا من مقـالات رويـار ريكـار (Robert Ricard) قد كان لها الفضل ان تكون السابقة الى هذا الميدان وان تفتـح هذا الطريـق المجهول ، على ان اخر ما ظهر من اعمال كان لرولف ريشار (Rolf Reicher) والذى نشر بمدريد فى مجلة المنـارة (Almenara) سنة 1971 بعنـوان : المسلمون بالبرازيـل » (4)

---

(4) Reicher, Rolf, « Muçulmanos no Brasil » in Almenara, Madrid, 1971, pp. 27 - 46.

يفترض رولف ريشار ، دون تقديم الحجـة ، ان الموريسكيين اضطروا الى الالتجاء الى البرازيل . وقد تناولت دراسته فترات اخرى من الوجود الاسلامى بالبرازيل .

غير انه من جهتنـا ، نذهب الى تحديد الاطار الذى فرضناه على انفسنـا لطرق هـذا الموضوع ، لكننا نذكر بمقال حديث كتبه أحد المؤرخين الجزائريين والذى يذهب فيه ان اكتشاف امريكا له سوابق عربية ، وحسب رايه ان اسم البرازيل ماتاه من كلمـة بنى برزل من مسيلة (الاطلس الاوسط) وان بقايا عربية قد عثر عليها بامريكا ، انظر :

فخار ، ابراهيم « بنو برزل بمسيلة فى البرازيل واسطورة كريستوف كولوب » ، بمجلة : الثقافة ، الجزائر ، عدد 20 ، 1974 ، ص 30 — 47 .

ومن جهة اخرى نكتفى بذكر دور الموريسكيين فى نقل المزروعات الجـديدة والتى ادخلت فى الهند الغربية حتى اسبانيا خلال القرن السادس عشر والتى تطورت فى بلدان المغرب خاصة بعد طرد الموريسكيين سنـة 1609 خلال القـرن السابع عشر والثامن عشر ، نذكر من ذلـك الـذرة الصفـراء والطمـاطم وبعض انواع اللوبيـا الخضـراء والفلفـل الاحمـر والهنـدى Figue de Barbarie نجد مثل هذه المعلومات القيمة فى الدراسة الهامة التالية :

Latham, « Towards a study of Andalusian Immigrations and its place in Tunisian History » in Les Cahiers de Tunisie, 1957, pp. 203 - 252.

لقد نشرت ترجمة فرنسية لهذه الدراسة فى :

Epalza et Petit, Etudes sur les Moriscos andalous en Tunisie, Madrid, 1973.

ويمكن أن نضيف الى هذه المنتوجات عـددا مختلفا من العقاقير الهنديـة والتى ادخلهـا (Mecoquan) (Mechoacan) الموريسكيـون الى تركيـا ودول المغـرب العربى ، كـذلك وهو النبات للاسهال ماتـاه ولاية المكسيك ثم (Chalapo) وهو نبات قد وصلنـا من ولايـة امريكية قـد استعمل بنفس التـاثير الذى احدثـه (Mechoacan . انظـر دراستنـا : (Morisques en Provence) قـد نشر فى كتاب ابلزا السابـق الذكـر ، ص 89 — 102 .

سوف لن نتطرق الى موضوع المدجنين بامريكا . وكما اشير اليه فى العديد من مقالات المركيـز دولوزويـا (Marquis de Lozoya) ، وجب رفض الاسطورة الشائعة القـائلة ان الموريسكيين قد ساهموا فى نشر فن المدجنين بامريكـا حيث نعثر على عدد من الآثـار لهذا الفـن وخاصة بالمكسيك وبيرو وكولمبيا والاكواتور وبوليفى . وفى القرن السادس عشر كـان أصحاب حـرف البناء والنجارة باسبانيا يعرفون انظمة الموريسكيين مع المحافظة على دينهم المسيحى » وعليه لم يحتج الى الموريسكيين لتشييد بناءات على نمط المدجن ، انظر :

Marquis de Lozoya, « Lo Morisco en América », in Archivos del Instituto de Estudios Africanos, Madrid, 1960, ano XIV, N° 53, pp. 23 - 27 .

الصـــــــورة القانونيـــة للمشكــــل

منذ بداية الهيمنة الاستعمارية ، فرض على الاشخاص الذين يتوجهون الى الهند ان يقدموا ضمانات تحدد تلقائيا ومع الزمن ، وفى نفس الوقت الذى كان فيه الملوك الكاثوليكيون يبعثون بمبشرين ، عبروا عن عزمهم منح السفر لاى فرد يشتبه في عقيدته ، وفي سنة 1501 اعطيت تعليمات لاوفندو (Ovando) عندما عهدت اليه مهمة الحاكم بولاية تيارافيرما Tierra Firme) ان يمنع دخول اراضيه الخاضعة قانونيا له ، كل الافراد الذين يعوقون نشر المسيحية لدى الهنود : « ان واجبكم هو منع العرب واليهود هراطقة كانوا ام اشخاصا تم اصلاحهم عن طريق ديوان التحقيق وكذلك كل الاشخاص الذين اعتنقــوا مؤخرا عقيدتنا ، من اجتياز الممالك التى فتحناها مؤخرا » ، غير ان هنـــاك استثناء محتملا لنوعين من العبيد : العبيد السمر وكذلك العبيد الذين ولدوا فى عائلة مسيحية (5) .

وبعد سنوات من ذلك اى سنة 1513 جدد الملك فرديناند (Ferdinand) هذا المنع وطبقه هذه المرة على الجزيرة الاسبانية . ان ابناء واحفاد اليهــود والعرب والمحكوم عليهم من طرف ديوان التحقيق وذرياتهم لا يمكنهم ان يقيموا بالجزيرة ، وقد برر الملك هذا القرار بحرصه على المحافظة على صفاء عقيــدة الهنود الذين اعتنقوا حديثا الديانــة المسيحيــة ، وبذلك لا يمكــن للجزيــرة الاسبانية ان تستقبل « الا المسيحيين الذين ثبتت عقيدتهم ابا عن جد وكذلك الاشخاص الذين اظهروا حمية وغيرة دفاعــا عن ديننــا » . (6) اما العــرب واليهود والمحكوم عليهم من طرف ديوان التحقيق والموجــودون بالجزيــرة ، فيحرم عليهم استقبال الهنود .

ارتبطت هذه الاجراءات باهتمام دينى وسياســى فى نفس الــوقت ، ان الاسبانيين لا يرغبون فى نقل المشاكل التى يعيشونها بالجزيرة الى امريكــا : وقد احتاطوا فى عدم اعادة نفس المشاكل والصـــراع الــذى حدث باسبانيــا بامريكا ، تلك المشاكل التى حرصوا على حلهــا عندما اتخــذوا قرارا بطــرد اليهود وتطوير ديوان التحقيق ، ان اسبانيا التى تبنت الدفاع عن وجهة نظر اتحادية ، سوف تطبق سياسة انتقائية لمجموعات المهاجرين .

وكان شارل الخامس ، الاول ، الذى امر منذ (Valladolid) بتاريــخ 15 سبتمبر 1522 منع دخول منطقة الهنود على الاشخاص الذين اعتنقوا مؤخرا الدين المسيحى وهم الذين سيطلق عليهم فيما بعد اسم الموريسكيين ، علــى

---

(5) مقتطفات من الاوامر المتعلقة بالهنــود :
Diego de Encinas, Cedulario Indiano, Madrid, édicion Cultura Hispanica, 1945-1946, t. IV.
انظــر كــذلك
Antonio de Herrera, Décadas, Madrid, ed. de la Academia de la Historia, 1934, t. II, p. 389.

(6) Konetzke, Richard, Coleccion de Documentos para la historia de la formacion de Hispanoamérica, 1493 - 1810, Madrid, C.S.I.C., 1953, t. 1, pp. 59 - 60.

انهم عرفوا فى ذلك الظرف « بالعرب الذين اعتنقوا حديثا الدين المسيحى » (7) . ولم يسمح لهم ولا لذريتهم ان يستقروا بالعالم الجديد ، دون ان يتحصلوا على اذن مستعجل من الملك : « لا حق لاى عربى او يهودى ولا ابنائهم ممن اعتنقوا حديثا ديننا الكاثوليكى المقدس ان يلتحق بالهند دون ان يتحصلوا على اذن مستعجل منا » (8) . على انه منذ سنة 1518 وبعبارات اكثر تعميما ، منع الملك دخول أمريكا الهندية على كل الاشخاص الذين اتهموا « بجريمة البدع » وحيث حكم عليه ديوان التحقيق بذلك . (9)

يجب الاعتقاد بان هذه الاوامر لم تطبق بحذافيرها ، ذلك انه فى سنة 1530 استعملت الامبراطورة التي كانت تحكم بمدريد نفس المصطلحات (10) وانه بتاريخ فى اكتوبر 1539 كان الامبراطور نفسه هو الذى جدد المنع على العرب واليهود الذين اعتنقوا الدين المسيحى حديثا . (11) وقد اشتكى من هؤلاء الاشخاص الذين يجتازون باعداد كبيرة ، ومحدثين بذلك « اكبر الضرر والاساءة » . وبالاضافة الى ذلك حدد الامبراطور ان هذه المقرارات تطبق على جميع الممالك : و « الجزر والاراضى ما وراء البحر الاطلنطيقى » (12)

لقد اذيع هذا القرار علانية في شوارع اشبيلية ، على ان ينفذ خصوصا ضباط المخالفات بأمريكا على ان تصادر املاك الاشخاص الذين امتنعوا عن تنفيذه ويتم ارسالهم الى اسبانيا . وخلال سنة اقالته اهتم شارل الخامس ايضا بهذا المشكل : وبطلب من الرئيس واعضاء المحكمة لملكة غرناطة الجديدة ، ارسل بتاريخ 12 فيفرى 1556 الى حاكم بوبايان (Popayan) رسالة يذكره بمشكل « من يحرم عليهم السفر » (13)

وفى عهد فيليب الثانى (Philippe II) شددت الرقابة اكثر على هذه الاوامر ، الوثيقة الاولى «للحكم» والمخصصة لهذه القضية وسلمت الى دار الوليد بتاريخ 13 جويلية 1559 ، اشير الى العرب واليهود ولكن ايضا ، هذا شيء جديد ، الى « البروتستانيين » وكان الهدف ، هذه المرة ايضا ، هو ايصاد الباب على اصحاب البدع وحيث تجمعت ضد هذا الامر ، بالدرجة الاولى اسبانيا العقد الخامس (وهى الفترة التى اشتهرت بمحاربتها للاصلاح) وهى فترة لوثر (Luther) وعلى هذا الاساس طلب الملك الى السلطات الممثلة فى نواب الملك والرؤساء واعضاء المجالس والحكام ورؤساء

---

(7) كان ذلك حوالى سنة 1560 عندما ظهر المفهوم الحالى لكلمة « الموريسك » (Morisco) ولتسهيل عرضنا ، تبنينا التحليل الذى يعطى لمفهوم الموريسكيين وهم كل المسلمين باسبانيا الذين بقوا فى الجزيرة بعد سنة 1492 واعتنقوا الدين المسيحى الكاثوليكى .

(8) Recopilacion de las Leyes de los Reinos de las Indias, ed de Madrid, Graficas Ultra, 1943 lib. 9, tit. 26, Leg 15, t. III, p. 312.

(9) Cedulario indiano, op.cit., t. 1, p. 454.

(10) Recopilacion, op.cit., t. III, p. 312, lib. 9, tit. 26; Ley 16.

(11) Konetzke, op.cit., t. I, pp. 192 - 193.

(12) المكتبة الوطنية بمدريد ، مخطوط : Ms 3045, f° 156, r° 159 r°.

(13) انظر اعلاه f° 156 V°.

الاساقفة والاساقفة الحذر الشديد : « ذلك انــه يمكن بفضل الدهاء الكبيـــر وخبث الشياطين ان يزرع البروتستانيون الذيـن وصلـوا الى الهند البـدع فى الدين المسيحى ، وكذلـك العرب واليهـود الذين يرغبـون فى الاستمـرار على ممارسة عقيدتهم وتقاليدهم : وانه وجب فى الامـاكن التـى ننشر فيهـا ديننا الكاثوليكى ان نظهر اكثر يقظة حتى لا تنفذ اى بدعة فى هذه الاماكـن ثم تـزرع فتتبـت ، وفي حالة عثورنا على شيء من هذا فانه وجب القضـاء عليه ومعاقبة المجرمين باكثر صرامة » (14) .

وقد ارسل الملك ، فى نفس هذه السنة 1559 ، وثيقة الى كل رؤســاء الاحبار بأمريكا ، طالبا منهم ارسال تقرير الى القصر حـول احتمال وجـود معتنقين جدد من العرب واليهود واللوثوريين موجوديـن باديرتهـم . علـى ان يعاقب الاحبار كل من يجدونهم منهـم ويتم ارسالهـم الـى اسبانيـا لتتم محاكمتهم على طريق ديوان التحقيق . (15)

تجد لحركة فيليب الثانى خاصيتين فى هذا الميدان : اولا : خلق اهتمـام دقيق للتثبت في تنفيذ القرارات ومتابعتها تفصيليا بعد ذلك . وثانيا : شمول مجال المنع على اللوثوريين بادىء الامر ، كما راينا سابقا ثم ايضا على انواع اخرى من الاشخاص كالجيطان (Gitans) مثلا حيث يمكن ان تكون طريقـة حياتهم مثالا سيئا للهنود » (16)

وحتى اواخر عهد فيليب الثانى ، كان هذا الاخير منشغلا بهذا المشكل ، وبتاريخ 20 مارس 1596 وقد ارسل بتعليمـات الى نائـب الملك باسبانيـا الجـديـدة ، دون قسبـار دوزونكـا (Don Gaspar de Zuniga) وكونت دومنتارى (Comte de Monterrey) بهذا الخصوص . (17) .

ويتعلق الامر بالوصايا التى تحث على نشر الدين المسيحى لدى الهنود. وقد ذكر الملك انه بين مرات عديدة فى « وثائقه للولايات » انه لبقاء الهنود على اعتناقهم السليم للدين المسيحى وجب ابعاد الموريسكيين عنهم وعدم الاتصال بهم مطلقا : وبذلك شددت الرقابة للتفتيش عن الموريسكيين الذين مروا الى الهند وهم موجودون باسبانيا الجديدة : اما الاشخاص الذين يعثر عليهـم ، فوجب ارسالهم فى الحال « دون السماح لاى واحد منهم بالبقـاء مهما كانـت الاسباب او الموانع لذلك » .

ان صورة الموريسكى تبدو لنا وكانها دودة وسط فاكهة سليمـة ، وهذه النظرة تتماشى فى الواقع مع فترة زمنية معينة ، وباقترابنـا من عهد الطـرد الجماعي ، كان التنافر بين المجموعة المسيحية والموريسكيين قد استنفد وتم

(14) Konetzke, op.cit., t. I, pp. 368 - 369.
(15) Cedulario indiano, op.cit., tome 1, pp. 454 - 455.
(16) Recopilacion de Leyes de los Reinos de las Indias op.cit., lib. 9, tit. 26, Leg 20, t. III, p. 313.
(17) Konetzke, op.cit., t. III, p. 35.

خلال الثلث الاخير من القرن السادس عشر، وكانت التدخلات ضد موريسكيي امريكا قد تعددت ، ذلك لان هذا المشكل اصبح باسبانيا اكثر حدة كل سنة . وفيليب الثالث ، من ناحيته ، لم يضف شيئا الى القرارات التى اتخذها سلفه، وهى كافية ومرضية تماما ، الا ان هناك شيئا آخر هو التفتيش بالهند عن الموريسكيين، وبصورة عريضة. وكما سنرى انطلاقا من حدث بسيط وعادى، سيستمر هذا المشكل خلال القرن السابع عشر ، خاصة اذا كانت التعليمات المختلفة والتى اعلنها الملوك السابقون بقيت نافذة المفعول .

وبالفعل ففى سنة 1696 ، علم الملك بعد ان اطلع على احد التقارير التى وصلته من المجلس الاعلى بالهند ان شخص فرنسكو قستللانوص (F. Castellanos) من « الامة الموريسكية » يعيش تحت سلطة دوتكباتتلان (De Tecpatitlan) وقد كتب الملك الى رئيس مجلس قوادالاريا (Guadalajara) وحيث تتبعها الولاية السابقة ، ليطلب منه تطبيق القانون ضد هذا الموريسكى وهذا تماشيا مع الاوامر (Recopilaciones) اى القوانين 15 الفصل 26 ، القانون 26 و 29 الفصل 25 والقانون 29 والتى يقضى بطرده. وقد رغب الملك فى ان يعلم من اين وصل هذا الموريسكى وتاريخ سفره لأمريكا وكيف كان اجتيازه باذن ام لا . (18) وقد رد رئيس المجلس على الملك من ان مفهوم الموريسكى قد تطور باسبانيا الجديدة وانه لم يعد يعنى فى قضاء ولايته الا الاشخاص الذين انجبوا من اب اسبانى او من خليط هجين من الابيض والاسود . وبالنتيجة فان فرنسسكو قستللانوص لم يوصف بهذه المعرة وبالتالى سوف لن يتم طرده .

ولتجنب مثل الخلط المؤسف ، قرر الملك اذن بتاريخ 27 جويلية 1700 ان لفظة « الموريسكو » لا يمكن ان تكون بهذا المحتوى المطبق بالمكسيك ، وعكس ذلك ، فان حاميه او الذين اعطوه هذا المفهوم سيتعرضون الى عقوبات مالية (19) : غير انه يبدو انه من اختصاص الامراء ان يعتدوا على حياة اللغة : ان الكلمات لدى الشعوب لها حياة صعبة ، وسوف نبقى طويلا نتحدث عن « الموريسكو » فى المكسيك المستعمر او اسبانيا الجديدة ، ان هذه الكلمة ستبقى دوما تعنى هذه الطائفة المميزة جدا والتى تاتت عن خليط نسبة 25% من السود و 75% من البيض . اما بشرته السمراء القامحة الحالكة فجعلته شبيها « بالموريسكو » الاسبانى وهذا مأتى التسمية على اكثر الاحتمالات . (20) على ان هناك مظهرا آخر لم نرد اثارته قصدا الا وهو

---

(18) المصدر نفسه ، ص 61 — 62 .
(19) المصدر نفسه ، ص 81 — 82 .
(20) ويبدو ان هذا الراى يتماشى مع انجال روسنبلات (Angel Rosenblat) فى كتابه : La poblacion indigena en el Mestizaje en América, الطبعة الجديدة ، بيونس أرس ، 1954 والذى ذهب فيه ان « الموريسك » حسب احدى صور ذلك العصر والموجودة فى المتحف الوطنى بالمكسيك ، هو ذلك الرجل « ذو

العبيد من العرب او البربر ، ان علاقة هذا المشكل مرتبطة مباشرة بقضية الموريسكيين ، ذلك ان قضية البربر كقضية الورسكيين تمثل خلال عدة حالات ، خطر دخول الاسلام لدى الهنود ، وبالاضافة الى هذا وكما سترى ، يوجد عدد من الموريسكيين ضمن العبيد الذين وصلوا امريكا .

ان قضية اجتياز العبيد العرب الى الهند قد اثيرت طوال القرن السادس عشر : ذلك ان عددا كبيرا منهم كانوا يعيشون فى اشبيلية واكثرهم كانوا من **المغرب العربي** وهم الذين كانوا يقومون بغزوات على السواحل الاندلسية (21) . ان الاسبانيين الذين حلوا بأمريكا ، قد جلبوا معهم عبيدهم وتغافلوا عن التصريح بانهم من العرب العبيد .

وكما راينا سابقا ان الامبراطور اصدر امرا سنة 1522 يمنع اجتياز الاشخاص الذين اعتنقوا الدين المسيحى مؤخرا ، من العبور الى أمريكا، كذلك فان الامبراطورة التى حكمت مدريد بعد ذلك ببضع سنين ، قد قررت بتاريخ 15 فيفرى 1530 منع مرور « كل شخص من اصل عربى او يهودى » (22) . ولنا ان نلاحظ من جديد ان لفظة موريسك لم يكن لها نفس المعنى والمدلول سنة 1560 : فعندما تثير الامبراطورة العقاب الذى يلحق الاشخاص الذين ساعدوا على سفر هؤلاء العبيد الى امريكا ، كتبت : « تلحق الاشخاص الذين يساعدون العبيد الموريسك على السفر الى أمريكا غرامة مالية قيمتها الف ذهبى » . وفى هذه الحالة تدل لفظة موريسك على مجموع العرب . وفى سنة 1531 ، ذكرت الملكة بانه يمنع اجتياز العبيد او البربر الى أمريكا ، على انه لا يوجد اى استثناء دون الحصول على اذن صريح بذلك ، وفى كل الحالات لابد ان يبين المولى اصل عبيده اذا رغب فى الالتحاق بأمريكا (23) .

السحنة النحاسية القاتمة المعتمة » . ومن جهتنا ، فقد تمكنا ايضا من مشاهدة عدد من الصور للقرن الثامن عشر بمتحف مدريد المختص بدراسة أصل الشعوب ، والتى كانت تمثل خليطا من الاجناس بالمكسيك ، فمثلا الصورة رقم 6 تحمل الاسطورة التالية : موريسكية مع اسبانى ينتج عنه ابيض البشرة وهو شىء مثير جدا . أما الموريسكى فله مسحة مقتمة وفضلا عن ذلك يرتدى عمامة على راسه وملفوف بقميص طويل . أما المؤلف التالى :

Moreno Navarro, Isidoro, « Los cuadros del Mestizaje americano in la Revista espanola de antropologia americana, vol. IV, pp. 201 - 217.

فقد كتب فى مقاله المذكور والمنشور سنة 1969 أن : « لفظة الموريسك ترمز الى لون البشرة الاكثر بياضا من لون بشرة الخلاسى ، غير أن اللون الغالب هو السمرة . وهذا ما يجعله اكثر شبها بموريسكيى اسبانيا

اما الدكتور نيكولا ليون فيقدم شرحا جديدا لكلمة الموريسك فى كتابه :

Las castas del México colonial o Nueva Espana, México, 1924.

ان لفظة الموريسك لها محتوى يختلف عن المحتوى الاسبانى اذا استندنا الى احد الخرائط المكسيكية . ويبدو نه اشتق من اسم شعر الحيوانات ذلك اننا نطلق لفظة موريسك على القطط ذات الثلاثة الوان : الاصفر والابيض والاسود . ولدى الموريسك نجد فرضية هذه الثلاثة الوان : الابيض ثم الاسود القاتم القاتم .

(21) لقد تعددت تقارير ديوان التحقيق ضد هؤلاء العبيد والموريسكيين ، انظر على الخصوص الارشيف التاريخى الوطنى بمدريد، الملفات 2072 و 2075 من ديوان التحقيق باشبيلية.
Archivo Historico Nacional de Madrid, leg 20 n, 2075.

(22) Recopilacion, op.cit., lib. 9, tit. 26, Leg 17, t. III, p. 312.

(23) Cedulario indiano, op.cit., t. IV, p. 381.

غير انه سنة 1540 وبتاريخ 14 افريل اهتم الامبراطور شخصيا ، هذه المرة بهذا المشكل . وقد صرح انه على علم ان مرور العبيد الى أمريكا يعد من الاسباب التى عاقت انتشار الدين المسيحى بامريكا ، ولهذا السبب اصدر امرا « لتجنب الاحكام المسبقة التى تتأتى من ذلك » بمنع اجتياز العبيد البربر الى أمريكا »

انه من المفيد ان نلاحظ كيف ان المشكل الموريسكي وكذلك مشكل العبيد البربر لا يشكلان بالنسبة للامبراطور ، الا مشكلا واحدا ، اذ كلاهما يمثل نفس الخطر : دخول الدين المحمدى الى الهند نتيجة لذلك قرر : « ان العبيد البربر ، رجالا ونساء وكل شخص اعتنق الدين المسيحى من العرب او ابنائهم ، وجب طردهم من الجزيرة او من الولاية التى يوجدون بها على ان يتم ارسالهم الى اسبانيا على اول باخرة تقلع مباشرة » (24) غير ان هذه الوثيقة بقيت حبرا على ورق ، اذ بتاريخ 14 اوت 1543 ارسل الامير الوالى لمدينة (Volladolid) امرا اعاد فيه الطلب بالعمل على طرد كل العبيد البربر من الهند الموجودين هناك وكذلك « العرب الذين اعتنقوا الدين المسيحى مؤخرا » نظرا للاخطار التى تلحق بارض حديثة العهد بالتبشير الانجيلى » « وحتى لا يوجد اى مجال لنشر الدين المحمدى » (25)

وهذه الرسالة ايضا كسابقتها لم يكن لها تاثير مطلقا خاصة وان تذكير اوامر سنة 1550 السابقة والتى اعادت الى الاذهان النص الذى صدر سنة 1540 ، قد اعيد تذكيره الى رجال العدالة والسلط باحترامه وتطبيقه . (26)

اما فى سنة 1552 ، فقد اتخذت الادارة الاسبانية القائمة على شؤون تجارة وادارة أمريكا للتعبير عن حميتها واهتمامها بهذا المشكل ، قرارا يقضى بان العبيد من البربر ومن اصل عربى او يهودى او خلاسى يحرم عليهم اجتياز امريكا . واذا خرق احد العبيد هذا الامر ، فان الواجب يقضى بارجاعه الى اسبانيا على حساب سيده ومولاه بعد ان يسلم الى الادارة هناك، على ان مسؤولية مخالفة هذا الامر تفرض على صاحبها غرامة مالية بالف بسوس (Pesos) (27) واخيرا بتاريخ 20 ماى 1578 ارسل فيليب الثانى الى المجلس الاعلى بالمكسيك رسالة تتعلق خاصة بعبيد وموريسكى مملكة غرناطة (28) ورد الملك على رسالة سابقة كانت قد وصلته من رئيس المجلس الاعلى وحيث احاطه فيها علما بالاخطار والمضار التى يمكن ان تلحق مملكة اسبانيا الجديدة من جراء موريسكيى غرناطة اذا ما عبروا المحيط الاطلنطيقى

(24) المكتبة الوطنية بمدريد ، مخطوط . Ms 3045, fos 108 r° - 110 r°.

(25) Cedulario indiano, op.cit., t. IV, p. 382.

(26) المكتبة الوطنية بمدريد ، مخطوط . Ms 304, f°s 108 r°.
وكذلك Cedulario indiano, t. IV, p. 382.

(27) Cedulario indiano, op.cit., t. I p. 455.

(28) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 383 .

مع ملاحظة ان اجتيازهم كان مرخصا فيه من طرف الملك . ونذهب الى التفكير ان هؤلاء الموريسكيين قد اسروا اثر ثورة (Alpujarras) او هم موريسكيو الملكة بعد عملية الانقلاب، ان توزيع هؤلاء الموريسكيين الغرناطيين بقشتيلة او غيرها قد اثار عددا من المشاكل ونفترض ، انطلاقا من هذه الوثيقة ان الذين ارسلوا الى المكسيك كانوا من غرناطة . (29) لقد كان راى الملك مطابقا لراى المجلس الاعلى للمكسيك اذ انه ابتداء من الآن ، سوف لن يسلم اى اذن بهذا القبيل ، وبالاضافة الى هذا ، اتخذ قرارا بارسال كل الموريسكيين والبربر احرارا او عبيدا الى اشبيلية .

2 - ديوان التحقيق الامريكى والموريسكيون

لم يصبح ديوان التحقيق بأمريكا رسميا الا سنة 1569 . الا انه ، فى البداية ، تلقى الاساقفة ، القائمون على خلوص العقيدة ، نفوذا يسمح لهم بالحكم فى هذه القضايا وتنظيم الدعاوى بأنفسهم .

غير أنه شيئا فشيئا أصبح التيقظ والاهتمام الذى مارسه الكهنة غير كاف . وابتداء من سنة 1552 ، وجهت مباشرة الى الملك والى المجلس طلبات تطالب باقامة ديوان تحقيق بأمريكا (30) . وكما بينه جيدا مؤرخ الكنيسة بايرو (Perou) فرقاس أوقارت (Vargas Ugarte) : « من الاسباب التى كانت وراء هذه الطلبات هى وجود عدد كبير من الاجانب بامريكا فى السنوات الاولى للتفتح، خاصة منهم البرتغاليين والشرقيين وحتى الموريسكيين أيضا » (31) . وبالفعل كان هناك غزو من طرف التجار الاجانب خاصة منهم الهولنديين والفرنسيين والالمانيين والانقليزيين والذين حملوا معهم افكار الاصلاح (32) ، اما الفريق الآخر فيتألف على الخصوص من البرتغاليين الذين استمروا على ممارسة اليهودية (33) .

---

(29) لتوزيع الموريسكيين بقشتيلة انظر :
Vincent, Bernard, « L'expulsion des Morisques du royaume de Grenade et leur répartition en Castille (1570 - 1571) » in Mélanges de la Casa de Velazquez, t. VI, 1970, pp. 210 - 246.

وكذلك لنفس المؤلف :
« Combien de Morisques ont été expulsés du royaume de Grenade ? » in, Mélanges de la Casa de Velazquez, t. VII, 1971, pp. 397 - 399.

(30) على هذا الاساس ارسل الاسقف دو كيطو (De Quito) بهذا التاريخ عدة رسائل ليحصل على اقامة ديوان تحقيق بالبيرو ، راجع بهذا الخصوص :
Vargas Ugarte, Rubén, Historia de la Iglesia en el Peru, Lima, 1953, t. I, p. 379.

(31) المصدر نفسه ، ص 379 — 380 .

(32) ما زلنا نحتاج الى دراسة شاملة لمحاولات تسرب البروتستنتية بامريكا اللاتينية ، انظر بهذا الخصوص :
Jiménez Rueda, Julio, Herejias, y supersticiones en la Nueva Espana. (Los heterodoxos en México), Mexico, Imprenta Universitaria, 1946, Chap. V : « El Luteranismo y La Inquisicion ».

(33) حول موضوع ديوان التحقيق واليهود بامريكا، نملك ، على العكس، من الموضوع الاول، عددا من الدراسات انظر :

ان القائمين على ديوان التحقيق، كما سنراه بعد قليل، قد طاردوا أيضا الموريسكيين وكل الدعاة الآخرين القائمين على نشر الاسلام ، ويهدفون بذلك الى محاربة البدع لدى الفرد والعمل على المحافظة على سلامة المجموعة المسيحية من أى عدوى .

وبالاضافة الى هذا كان للمجمع الديني ، شأنه في ذلك شأن الجزيرة ، وظيفة المحافظة على نقاء الاخلاق من الادران ، خاصة اذا كان الامر يتعلق بعلاقتها بالسر المقدس ، على أن مهمة المجمع الدينى الرئيسية هى فى الحقيقة الدفاع عن العقيدة وليس الاخلاق (34) غير أنها سوف تصبح حركتها ضد الكهنة الذين يدنسون سر التوبة وضد الاوفياء الذين اخطاوا بحق الامر السابع والمتعلق بممارسة تعدد الازواج وهذه حالة متوفرة وتتمثل فى اخفاء الفرد الذى هاجر الى الهند ، أنه تزوج فى اسبانيا ليتمكن من التزوج من جديد ، وهذا كاف ليسلط هذا الاتهام ، أو التاكيد على الزنى البسيط الذى لا يعتبر اثما .

وجد المجمع الدينى فى هذه الحالات مجالا لاقامة الدعاوى ذلك أنه فى العالم الجديد ، حيث ان الحرية الاكثر انتشارا ، قد اعطت لمظاهر الرياء والنفاق واخفاء الحقيقة مرونة كبيرة وقد تحدث أيضا مرسال باتايون (Marcel Bataillon) عن « نوع من الفساد للعاهات الكنيسية والكهنوتية لامريكا الاستعمارية » (35) وسندرس اذن تماشيا مع التسلسل التاريخى اضطهاد الموريسكيين والاسلام عموما فى مختلف دواوين التحقيق الامريكية .

لم نتمكن الا من تسجيل بعض حالات للموريسكيين الذين حوكموا من طرف ديوان التحقيق والذى يخضع لنفوذ الكهنة بالبيرو فقط . ففى سنة 1560 بكوزكو (Cuzco) عندما كان منصب الاسقفية شاغرا ، كلف مجلس الكنيسة القس ان يقوم بدور حاكم المجلس الكنيسى لثلاث قضايا تتعلق بالموريسكيين (36) أولهم الخلاسى لوى سولانو (Luis Solano) ابن الموريسكى جون سولانو (Juan Solano) من دومنسيه (De Mencia) وهى امراة سوداء . وقد سلم الى السلطة المدنية لاتهامه من طرف ديوان التحقيق بهاته المدينة بانه مسلم واحد دعاة دين خاطىء .

Lewin, Boleslao, Los Judios bajo la Inquisicion en Hispanoamérica, Buenos Aires, 1960.
Proodian, Lucia, Los judios en América. Sus actividades en los Virreinatos de Nueva Castilla y Nueva Granada, en el siglo 17, Madrid, C.S.I.C., 1966.
كما نجد عدة معلومات فى الكتب التى وضعها مدينا والتى تناولت بالدرس مختلف محاكم التحقيق بامريكا بـ (ليما والشيلى والمكسيك وكارتجان والهند وريو دو لا بلاطا) .

(34) حول هذه النقطة راجع :
Bataillon, Marcel, Prologo a la Historia del Tribunal de la Inquisicion de Lima (1569 - 1820), de J.T. Medina, ed. Santiago du Chile, 1956, p. X.

(35) المصدر نفسه ،

(36) A.H.N. Inquisicion de Lima, lib. 1027, f° 11 r°.

وفي نفس هذا اليوم 30 نوفمبر 1560 كان موريسكي آخر هو الفارو كونزالاز (Alvaro Gonzalez) والياس هرندو دياز اصيل هورناشوس دوكستيلا (Hornachos de Castilla) قد حكم عليه لنفس الاسباب وسلم الى السلطة المدنية ليتم حرقه . أما لوب دو لابينا (Lope de la Péna) وهو أحد موريسكيي كواد لاخيرا (Guadalajara) فقد اتهم فقط بأنه مسلم وانقضت حياته ليحكم عليه بالسجن مدى الحياة مع حمله لباس الفضيحة طوال حياته (37) .

ان المحكمة التي الفت في الاراضي الامريكية كانت محكمة ليما سنة 1569 (في نفس الوقت الذي انشئت فيه محكمة مكسيكو) . وقد بدأت في العمل في السنة الموالية . على أن أول قضاياها التي مرت على القائم على ديوان التحقيق سير سبيلا (Cerezuela) ، منذ وصوله الى ليما ، كان مرتان روميرو من جبل طارق (Martin Romero de Gibraltar) لقد قضى ستة عشر سنة في الاسر في دول المغرب العربي وهذا في فترات ثلاث . وقد امتثل لدى ديوان التحقيق ، غير انه خلال احد مشاجراته ، كشف عن عقيدته الاسلامية: « سوف تدفع ثمن ذلك يا من اتبعت كلمة الاسلام » وأجبر على حضور القداس بزى النائب والطالب المغفرة ، حافي القدمين ومشدود بحبل برقبته (38) .

ونفس هذه الطريقة كان بيدرو سانشاس (Pedro Sanchez) قد امتثل أمام محكمة ديوان التحقيق بتهمة انه قال ، في لحظات يأس ، أنه ينكر دينه ليعتنق دين محمد (39) ومن جهة أخرى صرح احد رجال الدين ، أصيل قرطبة ببعض الاقوال حول التماثيل ، وهي أقوال لا ينكرها المسلم : « وجب أن لا نعجب بالتماثيل ، فهي عبارة عن قطعة من القماش أو اللوح قد تم سترها بشيء من الدهن » . وقد صرح من تلقاء نفسه أنه كان ببلدان المغرب العربي وخدم لدى ملك عربي وأنه كان على وشك اعتناق الدين الاسلامي . غير أنه أمام محكمة ديوان التحقيق ، قد رجع في تصريحاته مبينا أن كل ما قال هو محض اختلاق من خياله ، ولم يذهب مطلقا الى بلدان المغرب ، ومع هذا فقد حكم عليه أن يقلع عن خطيئاته وان يطرد من ولايته (40) .

ان هذه الحالات الثلاث توضح أن ديوان التحقيق لم يفتش فقط عن القضايا المتعلقة بالمسلمين بل هو وراء كل اثر اسلامي لدى الفرد المسيحي . ان محكمة ديوان التحقيق تفترض قاعدة الاشهار : على كل المخلصين وظيفة أخلاقية تتمثل في أن يشهروا بكل حالة شك تتعلق بأحد اخوانهم في الدين حول مشكل العقيدة . واذا لم يفعلوا ذلك فانهم يقعون تحت عقاب الاثم القاتل . وأثناء اقامة محكمة ليما ، وبالتحديد يوم الاحد 29 جانفي 1570 ،

(37) المصدر نفسه . f° 11 v°.
(38) A.H.N. Inquisicion de Lima, lib. 1033.
(39) J.T. Medina, op.cit., t. I, p. 178.
(40) المصدر نفسه ، ص 50 .

وخلال تأدية القداس الدينى ، قرىء نص أمر البراءة على المخلصين الذين يطلب اليهم الكشف عن دعاة البدع والمارقين عن الدين . وفى القائمة التى قدمت للخطيئات التى ارتكبت نجد مثلا هذه الفقرة : « الاشخاص الذين يميلون الى قوانين موسى القديمة أى اليهود أو مارسوا عادات دين محمد أو الاشخاص الذين اتبعوا مارتن لوثر (Martin Luther) أو اتباعه » (41)

ان ملفات ديوان التحقيق بليما والمحفوظة بمدريد قليلة الاهمية بحيث أنها لا توضح الى أى مدى استجاب المخلصون الى هذا النداء . أما الملفات المحفوظة بليما فقد أحرقت اثناء الحريق الذى أتى على المكتبة الوطنية سنة 1943 (42) . أما ديوان التحقيق بمكسيكو فقد انشىء سنة 1569 ، وكان نص أمر البراءة الذى قرىء على المخلصين اثناء اقامة الديوان يحمل ، كما هو الحال بليما ، وجوب اشهار المخلصين « لاتباع قانون موسى الميت » وكذلك « اتباع دين محمد اللعين » و « مارتن لوثر وأتباعه » . وبالاضافة الى هذا ، فقد حدد هذه المرة أن الكتب الممنوعة المتداولة فى الخفاء وتحت المعاطف وجب التصريح بها : « الاشخاص الذين كانوا يملكون أو يملكون الآن كتبا لمذهب وأفكار مارتان لوثر أو اتباعه وكذلك كتب القرآن أو دين محمد أو كتب الانجيل المحرفة » (43)

وفى نفس الوقت عاقب ديوان التحقيق كل صاحب قولة يمدح أحد هذه الاديان : من ذلك امتثال الراعى الفرنسسكان فران بيدرو (Fray Pedro) سنة 1572 أمام المحكمة بتهمة أنه ادعى في احدى مواعظه أن كل الاشخاص يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم بالتجائهم الى عقيدتهم « العربى لدينه واليهودى لدينه أيضا » (44) . غير أن المهم في هذا الصراع ضد الاسلام يتمثل في تقصي الموريسكيين. ان القضية الهامة في هذا الملف وأهميتها من عدة وجوه هي ولا شك قضية ماريا رويز (Maria Ruiz) احدى الموريسكيات المتزوجة بكريستيانو فياخو (Cristiano Viejo) . ومن دراسة قصة حياتها ، نستطيع أن نتصور مدى غليان عدد كبير من الموريسكيين الذين تقاذفتهم الاحداث من قارة الى أخرى في ظروف مأسوية في بعض الاحيان (45) .

ولدت ماريا رويز فى عائلة موريسكية بألبولو (Albolot) وهى قرية صغيرة بسيرا داس البحرس (Sierra des Alpujarras) فى ولاية غرناطة . وقريتها هذه ، كشأن أكثر القرى فى تلك الفترة ، آهلة بأغلبية موريسكية ، وفى بعض الاحيان لا يوجد بها مسيحى واحد أصيل . ونلاحظ من وقت لآخر زيارة أحد القساوسة لتلاوة القداس أو تدريس المسيحية أو من فترة لاخرى تدوم أحد رؤساء ديوان التحقيق للتأكد من أن الناس يؤدون الصلاة الربانية وانهم مؤمنون صادقون . ان تلك الزيارات كانت فى الواقع ، تغير الكثير من

(41) المصدر نفسه ، ص 25 .
(42) حسب راى باتايون (Bataillon) ومدينا ، نفس المصدر ، ص XIV.
(43) A.H.N., Inq. Mexico, fol. 546 et suts.
(44) A.H.N., Inq. Mexico, lib. 1046, f° 3 r°.
(45) المصدر نفسه : f° 213 v°

الحياة الروتينية اليومية . وفى هذه الاثناء كان الناس ينزعجون قليلا ، غير أنه فى بقية الاوقات يمكن للفرد أن يمارس بكل اطمئنان دين المجموعة بالقرية حيث يشعر المرء أنه مشدود بكل حواسه اليه .

ومنذ السن الحادية عشرة ، كانت ماريا رويز قد لقنت مبادىء الاسلام. ولم يكن ذلك قبل هذه الفترة ، خاصة وان الاقدمين كانوا يخشون ان يقع الابناء فى الفخ الذى نصبه رؤساء دواوين التحقيق ، اذا ما لقن الاطفال مبادىء الاسلام زمن حداثتهم . وقد انضمت ماريا بكل قلبها الى دين اجدادها على أن تقيم صلاتها فى المساء . وكانت تعلم مسبقا أن هذا الامر ضد دين المسيح . وأهملت فى صلاتها اللغة اللاتينية لتعوضها باللغة العربية وقد تعلمت البسملة (Adoloyma) (Halamay) والطقوس الدينية . ومع افراد القرية ، كانت تقوم بصيام رمضان وتساعد اخوانها على ذبح خروف العيد بعد أن تقرأ البسملة وتطبق جميع المناسك . ومن أعماقها كانت ماريا تستهزىء بكل الاعتقادات المسيحية وعبادة الاصنام وببكارة مريم (على الرغم من أن القرآن اقر ذلك) . وقد تعلمت أيضا كيف تخفي عقيدتها وتمارس التقى. غير ان الظروف حتمت عليها ان تغادر قريتها منذ السن الرابعة عشرة. ان سنين الطفولة والمراهقة التى قضتها فى اطار مجتمع اسلامى قد اثرت عليها تاثيرا عميقا . وبعد ذلك بقليل تزوجت من رجل ذى مكانة « من النبلاء الاشراف الاعراق » واخذها معه الى أمريكا . وحافظت على دين صغرها حتى السن السابعة والعشرين حيث استمرت ، فى الخفاء ، تمارس كل قواعده . واستمر هذا الوضع حتى بلوغها الخامسة والاربعين غير انها منذ أكثر من عشرين سنة بدأت تنسى أخطاءها السابقة . وأثناء حفل الاعتراف الجماعى ، صرحت لاحد الكهنة بارتباطها السابق بالاسلام وقد رفض الكاهن قبول توبتها قبل ان يحيلها الى ديوان التحقيق . وللحصول على التوبة ، وجب عليها ان تمثل امام المحكمة لتتهم نفسها ، وهذا ما حصل بالفعل . وقد اعتقد حكام ديوان التحقيق بصدق ندمها (الم تطلب باكية احراقها اذا كان ذلك ضروريا لتوبتها ؟) . ومن جهة أخرى ، يمكن ان يكون عدد آخر من الموريسكيين المخفيين يشبهون حالتها ، وهذا ما جعل هذه القضية لم تفش سريتها وحتى العقاب المسلط لم يعلن عنه ، وخلاف هذا ، فان اصحاب البدع المخفيين سوف لن يقدموا على كشف هويتهم » . وفى آخر الامر ، حوكمت ماريا رويز بتسليط غرامة مالية زهيدة بحيث ان ذلك لم يؤثر حتى على زوجها .

ويبدو أن أمثال هذا الزواج المختلط كان شائعا بمكسيكو ، ودعوى أخرى تمثلت فى احد أبناء المسيحيين العريقين مع موريسكية ختم على وجهها بالاحمر (دلالة على أنها من العبيد) (46) .

---

(46) المصدر نفسه ، fº 298 rº ، ملف دعوى سنة 1601 ضد نيكولا الومان (Nicolas Aleman) « اصيل مكسيكو ، يبلغ من العمر الخمسين ، وهو رجل ثرى وابن موريسكية ختم على وجهها بالنار » . وقد رفض ان يساعد ديوان التحقيق واستولى على أملاك صديق كان قد حكم عليه .

ان وثائق دواوين التحقيق بمكسيكو تعد اكثر اثراء من مجموعة الوثائق التاريخية الوطنية بمدريد ، فقد حفظت فى دار الوثائق العامة للامة المكسيكية كل مجموعات ديوان التحقيق المكسيكى ، ويمكننا أن ندرس عشرات من الدعاوى المتعلقة بالموريسكيين. وكما هو الحال فىاسبانيا، فان هذه الدعاوى قدمت الى المجمع الكنيسى لان اصحابها وقعت الوشاية بهم لاصطباغ حياتهم بعدد من مظاهر الدين الاسلامى . على أن المآخذ هى نفسها فى كل الحالات : الامتناع من شرب الخمر وأكل الخنزير ، والملاحظ أن الصحة البدنية تختلف لان المسلمين يمارسون الوضوء يوميا. وفى حالات اخرى، فقد ضبط المسلمون، على حين غفلة عندما يقيمون الصلاة أو يصومون رمضان (47) .

ويكفى ان يتفوه شخص ما بقولة مشؤومة ليفتح تحقيق حول ماضيه ففى سنة 1619 بكز كتلان (Cuzcatlan) بقوتيمالا (Guatemala) (التى كانت تخضع قانونيا لمحكمة مكسيكو) اتهم بدرو سوريانو (Pedro Soriano) انه قال : « لماذا ادافع عن الدين المسيحى ، فى حين اننى لم ادافع عن دين العرب » . (48) واذا كان عدد من مراقبي الاهالي بأمريكا قد حاولوا ان يحيطوا بحريم من العبيد الهنود ، فان ذلك سوف يفسر فى الحين من طرف ديوان التحقيق على انها علامات محتملة للولاء للدين الاسلامى ، ويمكننا ان نذكر عدة حالات للاشخاص الذين تزوجوا باكثر من واحدة ، وحيث اعتبر ذلك ديوان التحقيق انتماء لاصحابها الى الدين الاسلامى . (49) يمكن ان يكون الموريسكيون المكسيكيون قد ساهموا على ادخال عدد من الخرافات والسحر الى المكسيك ، وخاصة استعمال الفول قد اتخذ وسيلة للتنبؤ ، وحيث كانوا المختصين بها باسبانيا ، وقد اثيرت هذه المسائل فى عدد من الدعاوى (50). ومن جهة اخرى كانت هناك دعوى اخرى تتعلق «بالكسكسى» هذه الاكلة الاسبانية التى اعتبرها ديوان التحقيق فى بعض الاحيان من علامات التبعية للدين الاسلامى للاشخاص الذين يتناولونها ، ولم يكن هذا وقفا

---

(47) ان دعاوى وثائق الامة المكسيكية تدارسها درسسندورفار (Dressendörfer) وقام بدراسة فى المؤتمر الادبى الاول .
I Coloquio sobre literatura aljamiado - morisca, Oviedo, 1972.
ان دراسات المؤتمر تحت الطبع .

(48) Archivo General de la Nacion - México, t. 292, p. 43, in, Chinchilla Aguilar, Ernesto, La inquisicion en Guatemala, Ministerio de Educacion publica, Guatemala, 1953, p. 180.

(49) المصدر نفسه ، ص 179 .

(50) A.H.N., Inq. de México, lib. 1064, f° 409 r°, leg 1065, f° 11 r°.
فى البيرو اتهم فراى جوان دو بصطامنتى (Fray Juan de Bustamante) انه ساحر وقد اوقف سنة 1574 : « وقد صرح أنه يعرف « اللعب بالفول » كالموريسكيين ، وانه يستطيع فى هذه الحالة ان يختفى عن الانظار بوضع الفول تحت لسانه ، كما انه يقدر ان يلج من شقوق الباب وانه يرغب القيام بذلك ليدخل الى محكمة الديوان ليختلس وثائق اتهامه » . انظر مادينا ، نفس المصدر ، ص 110 .
ومنذ سنة 1539 ، كان الاسقف دو داكساكا (De Daxaca) قد اتهم ايزابيل (Isabel) الموريسكية التى ارادت ان تتنبا للسيدة ترابسا دو برتغال (Dona Teresa de Portugal) .
راجع : Medina, J.T., La Primitiva Inquisicion espanola (1493 - 1569). :

على المكسيك : اذ نجد نفس الاكلة ـ التي لم تكن في حد ذاتها محل اتهام ـ تضم بالاضافة الى الكسكسى الكحول ولحم الخنزير .

وقد وجب ان نتحدث عن جزر الفيليبين التي كانت تابعة لمحكمة مكسيكو ، وحيث اوفدت هذه الاخيرة ، احد رؤساء ديوان التحقيق الى مانيلا (Manille) . وفي هذه المناطق وجب الاحتراز من الاسلام . اذ ان عددا كبيرا من العرب المسلمين وصلوا من ماليزيا وبورنيو واستقروا وفرضوا انفسهم على المواطنين . على ان هناك عددا آخر من الجنود ، خاصة الاندلسيين ، قد ذكرت اسماؤهم الى محكمة ديوان التحقيق بالمكسيك من طرف رئيس الشرطة هناك ، وقد اخذ على هؤلاء انهم يرغبون في الاجتماع بالعرب وعلى الخصوص اثناء الاعياد ، وعليه فان ماركوس دو قنتارو (Marcos de Gintero) وهو جندى بلغ من العمر احدى وعشرين سنة ، واصيل منطقة هوولفا (Huelva) قد حكم عليه بمائتى جلدة وسنة سجنا في مستشفى « لاختلاطه بالهنود وتزييه بلباسهم كما انه شارك في احتفالاتهم » .

ونظرا لتعدد مثل هذه الحالة ، ارسل ديوان التحقيق بمكسيكو بتاريخ 28 افريل 1587 تعليمات الى رئيس الشرطة بمانيلا لردع خيانة الاسبانيين الذين يعاشرون العرب « ويذهبون حتى الى الزواج بالموريسكيات حسب العادات العربية ويتزيون بلباسهم ويمارسون كل تقاليدهم في الشرب والاكل والقواعد والاحتفالات » . وقد طلب الى رئيس الشرطة انزال عقاب بهؤلاء الجنود واخبارهم بانهم نظرا « لأشتباههم في دينهم » فانهم يستوجبون عقابا شديدا . وقد اضيف الى نص الامر العام الذى قرىء في الكنائس فقرة تنص على حالات الشطط مع ذكر العقاب المسلط ، ومن هذه الحالات نذكر : « الاشخاص الذين يتزوجون حسب التقاليد والعادات العربية او يترنمون باغانيهم او قيامهم بحفلات غناء استعملت فيها آلات الغناء العربي » .

وبالاضافة الى هذا ، كلف عدد من المبشرين بتمسيح العرب ، على ان يتم تعميدهم في حفلات رسمية كبيرة ، وقد عمد « احد المترجمين العرب : وقد اذن الحاكم ان تنظم على نخبه حفلة شرفية كبيرة ، وان تطلق المدافع وتقام وليمة وان يحضر المشاة النظاميون » وقد لقب بماثيودوسانص (Mathieu de Sonz) (51) ومن الطبيعى ان ديوان التحقيق سيشدد الرقابة خاصة على صدق عقيدة وايمان الداخلين حديثا في الدين المسيحى وكذلك على ابناء الزواج المختلط. ففى سنة 1648 كان اليخو دو كاسترو (Alyo de Castre) البالغ سنة اثنتين وثمانين سنة والقاطن بمانيلا هو ابن احد البرتغاليين بفليبا ديزا (Felipa Diza) « من الامة الموريسكية » (ولا شك انها موريسكية) قد اتهم باهمال ممارسة الطقوس الدينية والقداس الكنيسى ليمارس الدين

(51) Coleccion de Documentos inéditos de Ultramar II, t. III, p. 464.

الاسلامى « لقد شوهد يؤدى صلاة الجمعـــة » : كمـا اتهم بانــه ساحـر : « لقد كان يستعمل الاعشاب والتراب المجلوب من المقبرة لعملياته السحريـة بحيث يدخل الاعشاب فى ذراعه الايسر بين الجلد واللحـم دون ان يشقــه : وكان يقول ان ذلك مفيد جدا للوقاية من الجراح التى يحدثها العدو فى ميدان الحرب وايضا ان رجال العدالة لا يستطيعون القبض عليــه بل ان ذلك مـــن شانه اظهار المودة نحوه » (52)

اما محكمة كرتجان (Cartagena) بالهند فلم تعرف الا قليلا عن دعاوى الموريسكيين ، ذلك ان هاته المحكمة انشئت بعد سنة اى سنة 1610 ولـــم تبدأ اشغالها الا بعد عملية طرد الموريسكيين من اسبانيا ، وباستطاعتنـا ان نذكر حالة فرنسسكـو مينـــاز (Francisco Minez) اصيل (Murui) قد اجتاز الى بلدان المغرب اثناء عملية الطرد . وقد اسر على ظهر سفينة عندما كان يقوم بعملية غزو على السواحل الاسبانية وقد ارسل ليكون عبـدا للملـك على ظهر احدى السفن ، وقد درست حالته من طرف مراقب ديـوان التحقيــق اوقـارط صارفيا (Ugarte Saravia) الذى ارسل بدوره نسخة من التحقيق الى الديوان بمديريد . اما المجلس فقد عاتب المراقب عندما رد عليــه مخبـرا ايـاه : ان الذى يحتاج اليه الموريسكى ليس تسليط العقاب ليرجع الى حظيرة الاسلام بعد الطرد ، بل هو ايداعه فى يد احد الآباء اليسوعيين ليلقنه من جديد الدين الكاثوليكى . (53) وهناك عبد آخر للملك على ظهر احد السفن هو فرنسسكو سبوللا (Francisco Cebolla) من مرساى وهو الذى ارتد عن دينه قد عهد به الى اليسوعى فى نفس الوقت الذى عهد اليه الموريسكى .

وبالنتيجة ، ومن خلال هذا القسم من بحثنا ، نستطيع ان نتساءل عـــن الموريسكيين الذين اجتازوا الى أمريكا : ولكن من سوء الحظ ، لا نستطيـــع ابدا ان نقدم رقما لذلك لسبب بسيط ، هو ان هذه الهجرة كانت حركة سرية وبالتالى يستحيل مراقبتها ، ولهذه الاسباب ومن خلال الفهرس الذى وضعــه بارموداز بلاطــا (Bermudez Plata) للسنــوات التــالية : 1509 ــ 1559 للاشخاص الذين اجتازوا الى الهند ، لا نعثر على الموريسكييــن ، الا حالــة واحدة عرفه انه « من معتنقى المسيحية الجدد » (54)

ولنا ان نتساءل كيف استطاع هؤلاء المحرم عليهم السفر ان ينجحوا فى ذلك ، فى حين كان يطالب كل فرد عند الاقــلاع ان يستظهـر برخصـــة تامـة الشــروط ؟ توضـح لنا رسالــة من الضبــاط الملكييــن التابعيــن لكـازادو كنتراتاشيون (Casa de Contratacion) احد اسرار هذا المشكل ومفتاحــه : « بخصوص مشكل مرور الاشخاص الفاسدين الى أمريكا ، فاننا هنا اتخذنـا

---

(52) Jiménez Rueda, op.cit., p. 206.
(53) A.H.N., lib. 1052, f° 161.
(54) Bermudez Plata, Catalogo de pasajeros a Indias (1509 - 1559), t. I, n° 1496, p. 106.

اجراءات بعدم استطاعتهم المرور . ونظرا الى ان سيادتكم تسمح لهم بالاقلاع والسفر الى كل مكان ما عدا اشبيلية ، فانه من الطبيعي اننا لا نقدر على منعهم ان يستقلوا هاته السفن للسفر » . (55) وبالاضافة الى هذا كان نظام الرخص يشتمل على عدد من الخدع والحيل : من الجائز ان نعثر على عدة شهود للتصريح ان الراغب للسفر ، ليس شخصا محظورا عليه السفر » : على ان عددا من المسافرين كانوا يستعملون رخصا عهدت الى اشخاص آخرين . وفي بعض الاحيان يجبر مجلس المخالفات على اتخاذ عقوبات ضد القائمين على ممارسة اعطاء الرخص (56) .

ونفهم اذن ، في مثل هذه الظروف كم كان السفر الى الهند صعبا نتيجة المراقبة فانه ، على اية حال ، لم يكن مستحيلا ، اذ الشواهد التى ذكرناها سابقا تؤيد ما نذهب اليه : ونستطيع ، بالاضافة الى كل هذا ان نذكر شهادة فريدة من نوعها يتمثل في حكاية احد الموريسكيين كان قد اطرد سنة 1610 من « الجزيرة الخضراء » والتجا منذ ذلك الوقت الى تونس . وفي كتاب الفه بعد ذلك ، يحكى لنا كيف انه ، عندما كان باسبانيا ، قد قام بعدد من السفرات الى امريكا على بواخر حربية كانت ترافق السفن المحملة بالاموال . وخلال الاجتماعات التى كانت تعقد على ظهر هذه السفن مع المختصين بفن المدفعية ، لقن هذا الفن واصبح بتونس احد المختصين بفن الاسلحة النارية . وقد بين ان احدا لم يشك في اندلسيته (اى موريسكى) . (57)

مظاهر اخرى للمشكل الموريسكى بامريكا

تثار دوما بأمريكا قضية الموريسكيين اذا ما ذكرت قضية الهنود، ورجال الكنيسة ورجال السياسة كانوا دوما يراجعون التجربة الاسبانية مع الموريسكين . وقبل كل شيء على الصعيد التبشيرى ، لاحظ المبشرون وجود تقارب بين الهنود والموريسكيين ، على الرغم من ان اوضاعهم ، **بالنسبة لكثير من النقاط** ، تختلف كثيرا ، على ان عددا من الاخوان المسيحيين والكهنوتيين ممن وصلوا الى العالم الجديد كانوا معززين بتجربة مع الموريسكيين . وكما هو الحال باسبانيا ، رغبت الملكة فرض اللغة الاسبانية، الا ان المبشرين فضلوا حسب اختياراتهم بالنسبة لوزارتهم لغات المواطنين منها : الناهوكل (Nahualt) بالمكسيك والكيشوا (Quichua) بالبيرو ، وباسبانيا نفسها نشر رجال الدين ، لاستعمال الموريسكيين ، أوامر الدين

(55) مذكور في :
Juan Friede, « Algunas observaciones sobre la realidad de la emigracion española a América en la primera mitad del siglo 16 », in Revista de Indias, Madrid, 1952, XII, p. 469.

(56) المصدر نفسه ، ص 478 وما يليها .

(57) ترجم هذا النص عبد المجيد تركى راجع :
« Documents sur le dernier exode des Andalous vers la Tunisie », in Etudes sur les Morisques Andalous en Tunisie, de M. Epalza et R. Petit, Madrid - Tunis, 1973.

المسيحي في لغة اجداد الموريسكيين (58) من ذلك ان دون مارتان دوايالا (Martin de Ayala) كان قد نشر سنة 1566 الدين المسيحي باللغة العربية ، وفي اسبانيا الجديدة كان نائب الملك دون قاسبار دوزونيتا (Gaspar de Zunita) كونت دومونناري (de Monterray) قد تلقى هو الآخر « امرا ملكيا » طلب فيه الملك من القساوسة المكلفين بنشر التربية الدينية لدى الهنود وتعليم لغتهم ، وقد رغب الملك في « وجود عدد كبير من القساوسة ورجال الدين ممن يعرفونها » . ومما لا شك فيه ان هذه الاجراءات رديئة وسيئة وهذا ما جعل الملك يشتكي من اهمال تدريس اللغة القشتيلية لجمع الهنود . (59)

وضمن هذه التعليمات طلب الملك « عدم السماح للموريسكيين الاحرار او العبيد بقبولهم في هذه الاقطار ، اذ ذلك يتماشى مع نشر الدين المسيحي لدى الهنود » . وهذا يعكس الرغبة في انجاح تمسيح امريكا ، تلك العملية التي فشلت باسبانيا ، باستعمال نفس الوسائل والطرق : وفي حالات اخرى ، سيتخذها الساسة من بعض مراحل التاريخ الموريسكي مثالا ، لحل بعض مظاهر المشكل الهندي : ففي اثناء حرب الشيلي سنة 1607 وعند اسر عدد كبير من الهنود ، اثير مصير الموريسكيين بغرناطة الثائرين والذين تم اسرهم، وعندما استبشر المجلس الاعلى الهندي اثناء هذه الحوادث ، اجاب بان الهنود الاسرى يمكن اعتبارهم عبيدا ، اما الاطفال فيمكن ارسالهم الى الولايات حيث يسود فيها الامن على ان يسلموا الى اشخاص يحافظون عليهم ويقوم هؤلاء الاطفال على خدمتهم حتى السن العشرين وحتى يثقفوا ويلقنوا الدين المسيحي ، وهذا ما تم بالنسبة لموريسكيي غرناطة حسب نفس الوسائل والاجراءات » . (60)

وكما بينه بيار دوفيولس (Pierre Duviols) ان وضعية الهنود بالبيرو ووضعية الموريسكيين بغرناطة هي بالقياس لعدد من القضايا ، تشبه احداهما الاخرى ، ذلك ان الهنود استمروا على ايمانهم باصنافهم ولم يعتنقوا الدين المسيحي الا في الظاهر ، اما بالنسبة للسياسة ، فانهم يمثلون تهديدا لامن البلاد اذا ما تحالفوا مع القراصنة الذين انكروا ديانتهم : « ان احتمال قيام حلف بين الامم المنكرة لديانتها وحيث جلبوا من اسبانيا مع هنود الشيلي

---

(58) راجع لهذا الموضوع : R. Ricard, « Indiens et Morisques ». (Notes sur quelques procédés d'évangélisation) » in, Etudes et Documents pour l'histoire missionnaire de l'Espagne et du Portugal, Louvain, 1931, pp. 209-219.

وكذلك لنفس المؤلف :

Remarques sur l'«Arte» et le «Vocabulista» de Fray Pedro de Alcala, Idem, 1931, pp. 220-228.

(59) Konetzke, II, pp. 32-33.

(60) المصدر نفسه ، 3 ، ص 137 و ص 141 .

الثائرين دوما على السلطة الاسبانية ، فانهم لن ينفكـوا يضايقون الحكـام » . (61)

وفي اواخر القرن السادس عشـــر ، كان الخطر الهولندى ضد البيـرو يشابه الخطر التركى ضد اسبانيا ، غير ان الامل الذى يضعه الهنود انفسهم فى هؤلاء الاجانب يختلف عن الامل الذى اظهره الموريسكيون بالنسبة للاتراك الذين يعتبرونهم اخوة لهم . ففى البيرو لا يمكن ان يفكر فى حل الطرد : « لا يوجد علاج آخر سوى الاجراء الوقائي الذى حقق في البيرو الا وهو الاندماج الدينى والثقافى والذى تمثل فى اسبانيا » (62) . وفى سنة 1910 فى نفـس الوقت الذى كان فيه الموريسكيون يغادرون اسبانيـا جماعـات ، كـانت فى البيرو مغامرة اخرى تمثلت فى حملة كبيرة للقضاء على عبادة الاصنام .

ومرة اخرى ، كانت السياسة الملكية التى طبقت على الموريسكيين ، قد ذكرت على انها مثال يحتذى بالنسبة للسياسة الواجب اتباعها مع الهنـود ، وبتاريخ 4 ماى 1768 ارسل هذه المرة المجلس الهندى الى الملك تقريرا حول موضوع الاشغال الشاقة المسلطة على الهنود بمناجـم بوطوسـى (Potosi) (63) . وقد ذكر المجلس ان فيليب الثانى قد اطرد الموريسكيين دون ان ياخذ بالاعتبار « ملايين الملايين » من الاداء الذى يدفعونه ، ولا اخلاء هذه المناطق من سكناها الذين يعيشون عليها : وكان هدفه الوحيد يتمثـل فى عدم اهانـة الرب بما يمارسه الموريسكيون من عادات ضد الدين المسيحـى . وبعـد الا يجازى الاله الاشخاص الذين يعملون فى كنف العدل ، خاصة اذا كانت مملكة فيليب الثانى تعيش فى كنف الرفاهية على الرغم من هذا الطرد الجماعـى ؟» (64)

وتجاه الهنود ، وجب ان لا نشعر بمثل هذه المنافـع ، ذلـك ان الظلـم المسلط ضدهم كان كبيرا . وقد ذكر المجلس هذه الفقرات الشديدة اللهجـة التى جاءت على لسان ملشيوردو لينون (Melchor de Linan) باعتباره نائب الملك ورئيس اساقف ليما والذى كان يذهب الى الاعتقاد ان : « كل المعـادن

(61) Duviols, Pierre, « La represion del paganismo andino y la expulsion de los Moriscos » in anuario de estudios americanos, t. XXVIII, 1971, pp. 201-207.

(62) المصـــدر نفســـه ، ص 206 .

(63) Konetzke, op.cit., III 1, pp. 144 et suivantes.

ان طـرد الموريسكيـين قد ذكره الحكـام وحتى الدعـاة فى عدة مناسبات . لقد نشر ريكـار منذ سنوات خطبة جد غريبة تمدح فيليـب الثـالث للقرار الذى اتخذه والذى جعل منه علما لهذا الصراع ضد البدع ، راجع :

« Les Morisques et leur expulsion vus du Mexique », in Bulletin Hispanique, t. XXIII, 1931, pp. 252-254.

وجب مقارنة المواضيع التى اثارتها هذه الخطبة باخرى القاها بفالنس (Valence) رئيس الاساقفة جوان دو ريبيرا (Juan de Ribera) بتاريخ 27 سبتمبر 1609 ، وذلك بعد خمسة ايام فقط من نشر القانون القاضى بطـرد الموريسكيين من بلنسيـة ، انظـر كتـابـى :

La polémique antichrétienne des Morisques ou l'opposition de deux communautés, Montpellier, 1973, pp. 192-193.

(64) Konetzke, op.cit.,p. 152

المستخرجة هى ولا شك مشبعة بدماء الهنود ، وانه باستخراج الفضة التى تحتويها سوف يفيض الدم اكثر من الفضة : وعليه اذا لم نلغ الاشغال الشاقة المسلطة على الهنود ، فسينتهى بنا الامر الى القضاء على هذه الولايات وان وزر هذه الاخطاء سوف تثقل الضمير الملكى » . وبالاضافة الى هذا نلاحظ فى أمريكا نفس الاهتمام لمسالة « نقاء الدم » على الرغم من ان حالات الزواج المختلط تبدو اكثر .

وقد طالب مراقبو التحقيق بامريكا ، فى المراسلات التى قاموا بها مع بقية محاكم دواوين التحقيق باسبانيا ، ان يكونوا على علم ، باستمرار ، اذا كان الاشخاص المعنيون « مسيحيين حقيقيين ، من اصل ودم طاهر لا علاقة لهم باجناس اخرى ، وبالاخص العرب واليهود او المعتنقين مذهب لوثر او اى مذهب آخر للاشخاص الذين اعتنقوا الدين المسيحى حديثا » (65)

ونذكر هنا ان لاز كازاس (Las Casas) نفسه فى رسالة الى الامبراطور قد اثار الشك فى صحة معتقد فرنسسكو ماروكان (Marroquin) اول رئيس اساقفة قواتيمالا (Guatemala) عندما افترض ان له جذورا موريسكية ، وبالفعل كتب الى الامبراطور بتاريخ ديسمبر 1543 : « ونظرا الى ان هذا الرجل ينتمي الى نسب مشكوك فيه ، فان اقواله هى محل ارتياب » (66) ان احتمال الاصل الموريسكى اعتبر شيئا مدنسا وماخذا يتهم به الافراد بسهولة . ومن ذلك تعيين نائب الملك بالبيرو سنة 1570 ، كمسؤول عن خدمات الاشراف والمراقبة بدرو دولافقا (Pedro de la Vega) اصيل اوصانيا (Ocana) ، غير ان شهرته كموريسكى ، جعلت المسؤولين « يذكرونه بذلك فجاة » (67) . ودوما بليما سنة 1372 ، اشيع ان احد المقربين لديوان التحقيق قد تزوج بموريسكية « قد ختم على وجهها » وهو بذلك قد عرض نفسه الى مآخذ المدعى ، غير ان هذا الشخص ذكر ان هذه نميمة اذ هذا الموضوع هو على الدوام مجال خصام بينهم جميعا (68) . ومع هذا سيستمر التيقظ والاحتياط قائما خاصة اذا كان الامر يتعلق بتجديد قواعد

---

(65) A.H.N., Inq. lib. 1033, f° 152 v°.
وسيكون هذا سائر المفعول حتى أواخر القرن الثامن عشر. ففى سنة 1283، نقرا فى عريضة لدون برناردو راميراز (Don Bernardo Ramirez) : « يعتبرون ابائى واجدادهم اسبانيين ودمهم نقى من اى اختلاط باجناس العرب واليهود او الافراد الذين حكم عليهم ديوان التحقيق » .

(66) ذكر ذلك

Carmelo Saenz de Santa Maria, El licenciado don Francisco Marroquin, primer obispo de Guatemala (1499-1563), edit. Cultura hispanica, Madrid, 1964, p. 64.

وضع المؤلف ان هذا الشخص « اصيل منطقة الباسك سانتندارينا
وقد علق على راى لازكازاس : « ان حاسة الشم المتضخمة قليلا للاخ لازكازاس ، تعكس بعض الروائح المشكوك فيها والمتعلقة بنسل دون فرنسيسكو » .

(67) J.T. Medina, La Inquisicion de Lima, I, p. 23.
(68) A.H.N., Inq. Lib. 1033, f° 81 r°.

القبول في مدارس الاسقفية ، وهذا نتيجة القرارات التي اتخذها المجمع الكنيسي بترنت (Trente) وسيستمر هذا الامر نافذ المفعول ليس فقط خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر بل ايضا خلال القرنين السابع والثامن عشر . وعليه بينت دساتير المعهد الكنيسي سان فرنسسكو بمدينة قوامانقا (Guamenga) سنة 1626 . ان طلاب هذا المعهد يجب ان يكونوا « ابناء من نسل مسيحي عريق ، ولم يعلق بهم اى دنس من العرب واليهود او الاشخاص الذين اعتنقوا عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة » (69) ، وكذلك كان النظام الداخلي لمعهد شابا (Collège de Chapa) والذى اسسه احد الاساقفة سنة 1679 كان يلزم ان يكون كل رواده من ذوى السلالات ذات الدم النقى ، ممن لا تربطهم بالعرب او اليهود او الاشخاص المحكوم عليها من طرف ديوان التحقيق او الذين اعتنقوا الدين المسيحى حديثا او ابناء المختلطين ، اى علاقة » (70)

اثناء القرن الثامن عشر كله ، طولب اكابر المسؤولين والضباط الملكيون وعدد من مختلف الشخصيات بنقاء دم سلالتهم : من ذلك عندما رغب الكونت دو كازا بايونا (Casa Bayona) انشاء مدينة جديدة سنة 1732 بجزيرة كوبا ، فرض عليه ان يجند من الشعب وان يطلب من كل واحد تقريرا عن « نقاء دمهم » وحتى يثبت انهم فعلا : « اسبانيون » بدون شوائب من العرب واليهود والهنود والسود ومن الزواج المختلط ومن الاشخاص الحديثي عهد باعتناق المسيحية » (71) .

ومن جديد خلال سنة 1793 اثناء انشاء المعهد الملكي سان كارلوس (San Carlos) بيونس ايرس (Buenos Aires) فرض على الطلبة المنخرطين ان يكونوا سالمين من اى علاقة بالعرب او اليهود او السود » (72) .

لقد راينا اذن على ضوء هذه الدراسة مدى الخوف الجنوني الذى اظهره الاسبانيون من اصحاب البدع (73) . وخلال القرن السادس عشر ، كانت

(69) Konetzke, op.cit., II 2, p. 692.
نلاحظ ان المجمع الكنيسي الثالث لمكسيكو سنة 1584 قد قرر قبل ذلك « انه لا يقبل في انظمته ومعاهده الاشخاص القاليين وعلى راسهم الهنود ثم العرب أو الافراد الذين كان اباؤهم أو امهاتهم من ذوى البشرة السوداء » .
انظر :
Nicolas, Léon, op.cit., pp. 5-6.

(70) Konetzke, op.cit., II 2, p. 692.

(71) المصدر نفسه ، ص 206 .

(72) المصدر نفسه ، ص 711 .

(73) لقد كتب ريكار ما يلى : « ان المبشرين ينتمون الى بلد كان على الدوام حريصا على تطبيق الدين الصحيح ، كما كان دوما يشعر باشمئزاز تجاه الدعاة وقد انتشر ديوان التحقيق وتطور اكثر من اى مكان آخر فى اسبانيا وحيث رغب فيليب الثانى الذى اعتلى العرش خلال الفتح الفكرى لاسبانيا الجديدة ، أن يكون بطل ورمز الدين الصحيح فى العالم »
راجع :
La conquête spirituelle du Mexique, Paris, 1933
وفى ختام هذا المقال نقدم شكرنا للسيد بيركال (Birckel) وملهو (Milhou) الذين ساعدانا بكل مودة نظرا لخبراتهما فى التاريخ الامريكى .

اسبانيا تشعر ان الخطيئة حاصرتها من كل مكان وعليه وضعت شعار معارضة الاصلاح : وهى برغبتها ان تكون زعيمـة لتطبيق الدين الصحيح ، فانهـا طاردت البدع حتى فى ابسط مظاهرها . ان رجـال الديـن الذين حاربـوا اسبانيـا على ارضها ، سوف يضاعفون عشرات المـرات من نشاطهـم ، فى اماكن تبشيرهم ، حتى ولو اختلفت المخاطـر ، فانهـم سوف يستمـرون فى مواجهة جميع الجبهات . ان المواجهة الموريسكية ، كانت ولا شك ضعيفة ، غير انها حوربت بنشاط لا يقل عن بقية الواجهـات ، وقد راينـا مختلـف النصوص والاوامر القانونية لذلك مع ملاحظة انها لا تثير عدد الموريسكيين . غير ان الفكرة العامة كانت تقضى بمحاربة الوحش ذى الثلاثة اوجه : ديـن محمد وقوانين موسى القديمة ومريدى لوثر .

د . لـــوى كـارداياك

نقلـه عـن الفرنسيـة :

د. عبد الجليل التميمى

المدخل الى الفهارس

أقام المؤلف فهرسا عاما شاملا لكل شيء . غير أننا ، تسهيلا للاستفادة من هذا العمل الجامعي ، الكبير الاهمية ، وتميزا لرصيد المعلومات التي وردت فيه ، ارتأينا تفصيل الفهارس وتمييز بعضها عن بعض ، وهذا في محاولة منا لتقريب شبكة المعلومات المتوفرة للباحثين وسرعة الرجوع اليها ، وهذا لعمرى أبسط القواعد العلمية المتبعة اليوم .

ومن جهة أخرى ، حذفنا الكلمات التالية بسبب كثرة ورودها في كل صفحة تقريبا :

الاسلام ـ الدين الاسلامى ـ دين محمد ـ عقيدة محمد ـ الدين المحمدى ـ قانون محمد ـ المنهج المحمدى ـ المسيحية ـ دين المسيح ـ الدين المسيحى ـ اسبانيا ـ الاساقفة ـ الاسقف ـ الموريسكيون الخ .

اما ما يتعلق باسماء الاعلام اللاتينية ، فقد اثبتناها وفقا لأسمائها لا ألقابها ، تيسيرا للباحث سرعة الرجوع اليها ، مع حرصنا لوضع الاسم واللقب بالحرف اللاتينى بين قوسين الا ما ندر . كما أننا وضعنا حرف التاء بين قوسين : (ت) . لنشير الى أسماء الأعلام أو الأماكن الجغرافية أو الجماعات أو اية معلومات أخرى فى التعاليق .

المعرب

فهــرس الأعــلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

— ح —

— خ —

— د —

— ق —

— ك —

— ل —

(*) والصحيـح يـورانـت .

— م —

ــ ن ــ

ــ هـ ــ

ــ و ــ

ــ ى ــ

فهرس الامــم والجماعات

فهرس العقائد والديانات والمذاهب

فهرس الاحداث والثورات

فهرس العملة

فهرس الوظائف والنعوت والالقاب والحرف والصنائع

— م —

— ن —

— و —

فهرس الاماكن الجغرافية

— أ —

— ب —

— ت —

— ج —

فهـرس الكتـب

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ع ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

ـ هـ ـ

قائمة المراجع

أشرف المؤلف على اختيار هذه القائمة البيبليوغرافية من النسخة الفرنسية التى جاءت فى كتابه ، ولم نتدخل فى عملية الانتقاء . غير اننا أضفنا الى هاته ، الدراسات الثلاث التى كنا نحن قد نشرناها بعد تحرير رسالته ، والتى أشار اليها المؤلف فى تقديمه للترجمة العربية .

ومن جهة أخرى لم نعمل على ضم المراجع البيبليوغرافية التى جاءت فى دراسته : « قضية المورسكيين بأمريكا » ، اذا هاته مثبتة بالهوامش، وهذا وفاء منا لاختيارات المؤلف نفسها .

وقد رتبنا صفحاتها ابتداء من اليسار الى اليمين بحيث تبدأ بالصفحة 190 وتنتهى بالصفحة 184 .

المعرب

RIBERA Y TARRAGO (Julian), y ASIN PALACIOS (Miguel), **Manuscritos arabes y aljamiados de la Biblioteca de la Junta,** Madrid, Imprenta Ibérica, 1912.

RICARD (Robert), « Indiens et Morisques », **Etudes et documents pour l'histoire** missionnaire **de l'Espagne et du Portugal,** Louvain, 1931, pp. 209 - 219.

RICARD (Robert), « Les Morisques et leur expulsion vus du Mexique », **Bulletin Hispanique,** XXXIII, 1931, pp. 252 - 254.

RICARD (Robert), « Remarques sur l' «Arte» et le «Vocabulista» de Fray Pedro de Alcala», **Etudes et documents pour l'histoire missionnaire de l'Espagne et du Portugal,** Louvain, 1931, pp. 220 - 228.

RICARD (Robert), « Prophecy and messianism in the works of Antonio Vieira», **Etudes sur l'histoire morale et religieuse du Portugal,** Paris, Centro Cultural Portugês, 1970.

RIPOL (Juan), **Dialogo de consuelo por la expulsion de los Moriscos de Espana, compuesto y ordenado por..., Pamplona,** Nicolas de Assiayn, 1613 ; publié à la suite de Memorable expulsion de Guadalajara.

ROJAS (Juan Luis de), **Relaciones de algunos sucesos postreros de Berberia, salida de los Moriscos de Espana y entrega de Alarache,** Lisbonne, 1613.

SALYER (John C.), **« La importancia economica de los Moriscos en Espana », Anales de Economia,** abril - junio de 1949, IV, n° 34, pp. 117 - 133.

SANCHEZ PEREZ (A.), « Los Moriscos de Hornachos, corsarios de Salé », **Revista de Estudios Extremenos,** (Badajoz), XX, 1964, pp. 93 - 152.

SICROFF (Albert), **La controverse des statuts de pureté de sang en Espagne du XVe au XVIe siècles,** Paris, Didier, 1960.

TEMIMI (Abdeljelil), « Une lettre des Morisques de Grenade au Sultan Suleiman El-Kanuni en 1541 » in **R.H.M.,** n°3, pp. 100-106, Tunis, 1975.

TEMIMI (Abdeljelil), «Une lettre du Sultan Ottoman Ahmed 1er au Doge de Venise en 1614 au sujet des Morisques » in, **R.H.M.,** nos 7-8, pp. 259-261, Tunis, 1977.

TEMIMI, (Abdeljelil) « Le gouvernement Ottoman face au problème morisque » in **R.H.M.,** nos23-24, pp. 249-260, Tunis, 1981.

VERDU (Fray Blas), **Enganos y desenganos del tiempo, con un discurso de la expulsion de los Moriscos de Espana,** Barcelona, Sebastian Matheuad, 1612.

VINCENT (Bernard), « L'expulsion des Morisques du Royaume de Grenade et leur répartition en Castille (1570-1571) », **Mélanges de la Casa de Velazquez,** VI, 1970, pp. 211-247.

VINCENT (Bernard), « L'Albaicin de Grenade au XVIe siècle », **Mélanges de la Casa de Velazquez,** tome VII, 1970, pp. 187-222.

VINCENT (Bernard), « Les Morisques d'Estrémadure au XVIe siècle », **Annales de démographie historique,** Paris, 1974, pp. 431-448.

VINCENT (Bernard), « Les bandits morisques en Andalousie au XVIe siècle », **Revue d'histoire moderne et contemporaine,** t. XXI, juillet-septembre 1974, pp. 389-400.

ZAPATA (Simeon), **Expulsion de los Moriscos rebeldes de la Sierra y Muela de Cortes, hécha por Simeon Zapata, Valenciano, compuesta por Vicente Pérez de Culla.** En Valencia, Juan Bautista Marzal, 1635.

LINCOLN (Joseph), « An itinerary for Morisco refugies from sixteenth century Spain », **Geographical Review,** New-York, XXIX, 1939, pp. 483-487.

LONGAS (Pedro), **Vida religiosa de los Moriscos,** Madrid, Imprenta Ibérica, 1915.

LOUPIAS (Bernard), « La pratique secrète de l'Islam dans les évêchés de Cuenca et de Sigüenza aux XVIe et XVIIe s. », **Hesperis-Tamuda,** VI, 1965, pp. 115-131.

MARMOL CARVAJAL (Luis del), **Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del reino de Granada,** Malaga, 1600, edicion de la B.A.E., t. XXI, Madrid, 1946, pp. 123-365.

MARTINEZ RUIZ (Juan), « La indumentaria de los Moriscos », **Cuadernos de la Alhambra,** III, 1967, pp. 55-124.

MARTINEZ RUIZ (Juan), **Inventarios de bienes moriscos del reino de Granada (siglo XVI). Lingüistica y civilizacion. Madrid, C.S.I.C., Instituto Miguel de Cervantes, departamento de dialectologia y tradiciones populares,** 1971.

MAS (Albert), **Les Turcs dans la littérature espagnole du siècle d'or,** Flers, imprimerie Follope, 1967, 2 vol.

MICHEL (Francisque), **Histoire des races maudites de la France et de l'Espagne,** 2 vol., Paris, A. Franck, 1847. Spécialement t. II, chap. VIII, pp. 45-98.

MONROE (James T.), « A curious morisco appeal to the ottoman empire », **Al-Andalus,** XXXI, 1966, pp. 281-303.

OLIVER ASIN (Jaime), « Un morisco de Tunez admirador de Lope », **Al-Andalus,** I, 1933, pp. 409-456.

PANO Y RUATA (Mariano de), **Las coplas del peregrino de Puey Monçon, viaje a la Meca en el siglo XVI,** Zaragoza, Conras Hermanos, 1897.

PAREJA (Félix Maria), « Un relato morisco sobre la vida de Jesus y Maria », **Estudios Eclesiasticos,** Madrid, XXXIV, 1960, pp. 859-971.

PAREJA (Félix Maria), **Islamologie,** Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1963.

PENELLA ROMA (Juan), **Los Moriscos espanoles emigrados al Norte de Africa después de la expusion,** 3 vol., Barcelona, polycopié, 1970.

PEREZ (Joseph), **La révolution des "Communidades" de Castilla (1520-1521),** Bordeaux, Institut d'Etudes Ibériques et Ibéro-américaines de l'Université de Bordeaux, 1970.

PEREZ DE CHINCHON (Bernardo)' **Libro llamado Antialcorano,** Valencia, 1532. Il existe aussi une seconde édition, Salamanca, Juan y Andrés Renaut, 1595.

PEREZ DE HITA, **Guerras civiles de Granada,** B.A.E., t. III, Madrid, 1944, pp. 513 et ss.

PIERI (Henri), « L'accueil par des Tunisiens aux Morisques expulsés d'Espagne : un témoignage morisque », **I.B.L.A.,** XI, Tunis, 1968, pp. 63-70.

PONS Y BOIGUES (Francisco), « La Inquisicion y los Moriscos de Valencia », **El Archivo (Denia),** II, 1887-1888, pp. 251-258, y 309-314.

REGLA CAMPISTROL (Juan), **Estudios sobre los Moriscos, Valencia,** Artes graficas Soler, 1964.

RIBERA (Beato Juan de), **Catecismo para instruccion de los nuevamente convertidos de moros,** Valencia, Pedro Patricio Mey, 1599.

RIBERA (Beato Juan de), **Constituciones de la capilla del colegio y seminario de Corpus Christi,** Valencia, Pedro Patricio Mey, 1605.

RIBERA Y TARRAGO (Julian), « Supersticiones moriscas », **Disertaciones y opusculos,** II, Madrid, 1928, pp. 493-527.

HARVEY (L.P.), **The Literary culture of the Moriscos (1492 - 1609)**, Oxford, 1958. (Thèse inédite).

HARVEY (L.P.), « Un manuscrito aljamiado en la biblioteca de la Universidad de Cambridge », **Al - Andalus**, XXIII, 1958, pp. 50 - 74.

HARVEY (L.P.), The Morisco who was Muley Zaydan's spanish interpreter », **M.E.A.H.**, VIII, fasc. I, 1959, pp. 67 - 97.

HARVEY (L.P.), « A morisco manuscript in the Godolphim collection at Wadham College, Oxford », **Al - Andalus**, XXVIII, 1962, pp. 461 - 465.

HARVEY (L.P.), « Crypto - Islam in sixteenth century Spain », **Actas del primer congreso de Estudios arabes e islamicos de Cordoba (1962)**, Madrid, 1964, pp. 163 - 178.

HARVEY (L.P.), «Castilian "mancebo" as a calque of arabic 'abd, or how el Mancebo de Arevalo got his name », **Modern Philology**, Chicago, LXV, 1967, pp. 130-132.

HARVEY (L.P.), « El mancebo de Arevalo y la tradicion cultural de los Moriscos », **Actas del primer Coloquio sobre Literatura aljamiado-morisca** (1972), (à paraître).

HARVEY (L.P.), **The Moriscos and Don Quixote**, University of London King's College, 1974.

HERRERO GARCIA (Miguel), **Ideas de los Espanoles en el siglo XVII**, Madrid, Voluntad, 1928 ; 2e éd. Madrid, Gredos, 1966.

HOENERBACH (Wilhelm), **Spanish-islamische Urkunden aus der Zeit der Nasriden und Moriscos**, Bonn, Selbstverlag des Orientalischen Seminars der Universität Bonn, 1965.

JANER (Florencio), **Condicion social de los Moriscos de Espana: causa de su expulsion y consecuencias que esta produjo en el orden economico y politico.** Madrid, 1857.

KAMEN (Henry), **Histoire de l'Inquisition espagnole**, traduction française de Tanette Prigent et Hélène Delattre, Paris, Albin Michel, 1966.

KONTZI (Reinhold), « Aspectos del estudio de textos aljamiados », **Thesaurus, Boletin del Instituto Caro y Cuervo, Bogota**, XXV, 1970, pp. 3-20.

KONTZI (Reinhold), **Aljamiadotexte. Ausgabe mit einer Einleitung zur Sprache und Glossar, Band I : Einleitung zur Sprache und Glosar, Band II : Texte. Franz Steiner Verlag**, Wiesbaden, 1973.

LAPEYRE (Henri), **Géographie de l'Espagne morisque**, Paris, S.E.V.P.E.N., 1959.

LAPEYRE (Henri), « Deux interprétations de l'histoire d'Espagne, Américo Castro et Claudio Sanchez Albornoz », **Annales, Economies, Sociétés, Civilisations**, 20e année, sept. 1965, n°5, pp. 1015-1037.

LA RIGAUDIERE (E.), **Histoire des persécutions religieuses d'Espagne : Juifs, Mores et Protestants**, Paris, 1860.

LEA (Henry Charles), **The Moriscos of Spain: their conversion and expulsion, London**, 1901. Reprint: New-York, Greenwood Press, 1968.

LEA (Henry Charles), **A history of the Inquisition of Spain**, New-York, 1906-1907, 4 vol., « Pour les Morisques », t. III, pp. 323-409 spécialement. Réédition : New-York, American Scholar Publications, 1966.

LE FLEM (Jean-Paul), « Les Morisques du Nord-Ouest de l'Espagne en 1594 d'après un recensement de l'Inquisition de Valladolid », **Mélanges de la Casa de Velazquez**, I, 1965.

LINCOLN (Joseph), «Aljamiado prophecies », **Publications of the Modern Language Associacion**, LII, 1937, pp. 631-644.

GALMES DE FUENTES (Alvaro), **Historia de los amores de Paris y Viana**, edicion, estudio y materiales, Madrid, Gredos, 1970.

GARCIA ARENAL (Mercedes), **Los Moriscos**, Madrid, Editora Nacional, 1975.

GARRAD (K.), « La industria sedera granadina en el siglo XVI y en conexion con el levantamiento de las Alpujarras (1568-1571) », **M.E.A.H.**, 1960, pp 53-73, et **Bulletin Hispanique**, LVII, n°ˢ 1 et 2, pp. 63-67.

GAUTIER-DALCHE (J.), «Des mudéjares aux Morisques», **Hesperis**, XLV, 1958, pp. 271-289.

GAYANGOS (Pascual), « Language and literature of the Moriscos », **British and Foreign Review, VIII**, 1839, pp. 63-95.

GIL (Pablo), RIBERA (Julian) y SANCHEZ (Mariano), **Coleccion de textos aljamiados**, Zaragoza, Conras Hermanos, 1889.

GIL Y GIL (Pablo), «Los manuscritos aljamiados de mi coleccion », **Homenaje a Francisco Codera**, 'Zaragoza, Mariano Escar, 1904.

GONZALEZ PALENCIA (Angel), «Noticia y extractos de algunos manuscritos arabes y aljamiados de Toledo y Madrid », **Miscelanea de Estudios y textos Arabes**, Madrid, 1915, pp. 117-145.

GONZALEZ PALENCIA (Angel), **Historia de la Literatura arabigo-espanola**, Barcelona ; Labor, 1928.

GONZALEZ PALENCIA (Angel), « Huellas islamicas en el caracter espanol », **Hispanic Review**, VII, 1939, pp. 185-204.

GONZALEZ PALENCIA (Angel), « El curandero morisco del siglo XVI, Roman Rodriguez », **Leyendas e historias**, Madrid, 1942, pp. 215-284.

GONZALEZ PALENCIA (Angel), « Cervantes y los Moriscos », **Boletin de la Real Academia Espanola**, XXVII, 1948, pp. 107-122.

GUADALAJARA Y XAVIER (Fray Marcos de), **Memorable expulsion y justisimo destierro de los Moriscos de Espana**, Pamplona, Nicolas de Assiayn, 1613.

GUADALAJARA Y XAVIER (Fray Marcos de), **Prodicion y destierro de los Moriscos de Castilla hasta el valle de Ricote. Con las disensiones de los hermanos Xarifes, y presa en Berberia de la fuerça y puerto de Alarache**, Pamplona, Nicolas de Assiayn, 1614.

GUILEN ROBLES (Francisco), **Leyendas moriscas sacadas de varios manuscritos existentes en las bibliotecas nacional, real y de don P. de Gayanos**, Madrid, Imprenta de M. Tello, 1885, 3 vol.

GUILLEN ROBLES (Francisco), **Leyendas de José, hijo de Jacob, y de Alejandro Magno, sacadas de los Manuscritos moriscos de la Biblioteca Nacional de Madrid**, Zaragoza, Imprenta del Hospicio provincial, 1888.

HAEDO (Fray Diego), **Topografia e historia general de Argel**, Valladolid, 1612, publié par la Sociedad de Bibliofilos Espanoles, Madrid, 1928.

HALPHERIN DONGHI (Tulio), « Un conflicto nacional: Moriscos y Cristianos viejos en Valencia », **Cuadernos de Historia de Espana, Buenos Aires, XXIII-XXIV (1955), pp. 5-115**, et XXV-XXVI, 1957, pp. 83-250.

HALPHERIN DONGHI (Tulio), «Les Morisques du royaume de Valence au XVIe siècle», **Annales, Economies, Sociétés, Civilisations, XI**, n° 2, 1956, pp. 154-182.

HARVEY (L.P.), « Yuse Banegas : un Moro noble en Granada bajo los Reyes Catolicos », **Al - Andalus**, XXI, 1956, pp. 297 - 302.

CODERA (Francisco), «Almacen de un librero morisco descubierto en Almonacid de la Sierra», **Boletin de la Real Academia de la Historia**, V, 1884, pp. 269-276.

COLONGE (Chantal), «Reflet littéraire de la question morisque entre la guerre des Alpujarras et l'expulsion (1571-1610)», **Boletin de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona**, XXXIII, 1969, 1970, pp. 137-243.

CORRAL Y ROJAS (Antonio del), **Relacion del rebelion y expulsion de los Moriscos del reyno de Valencia**, Valladolid, Imprenta de Diego Fernandez de Cordoba y Oviedo, 1613.

DANVILA Y COLLADO (Manuel), **La expulsion de los Moriscos espanoles**, Madrid, 1889.

DOMINGUEZ ORTIZ (Antonio) et Vincent (Bernard) Occidente, 1978.

DOMINGUEZ ORTIZ (Antonio), «Notas para una sociologia de los Moriscos Espanoles », M.E.A.H., 1962, XI, fasc. I, pp. 39-54.

DOMINGUEZ ORTIZ (Antonio) « Los Moriscos granadinos antes de su definitiva expulsion », **M.E.A.H.**, XII-XIII, 1963-1964, pp. 113-128.

EPALZA (Miguel de), «Sobre un posible autor espanol del evangelio de Barnabé», **Al-Andalus**, XXVIII, 1963, pp. 479-491.

EPALZA (Miguel de), «Moriscos y Andalusies en Tunez durante el siglo XVII», **Al-Andalus**, XXXIV, fasc. 2, pp. 247-327.

EPALZA (Miguel de), « Recherches récentes sur les émigrations des «Moriscos» en Tunisie », **Cahiers de Tunisie**, XVIII, n°s 69-70, 1970, pp. 139-147.

EPALZA (Miguel de), « Notes pour une histoire des polémiques antichrétiennes dans l'occident musulman », **Arabica**, XVIII, fasc. I, 1971, pp. 99-106.

EPALZA (Miguel de), La tuhfa, autobiographia y polémica islamica contra el cristianismo, de Abd-Allâh al-Taryumân (Fray Anselmo Turmeda), Roma, Academia Nazionale dei Lincei, 1971.

EPALZA (Miguel de) et PETIT (Ramon), **Etudes sur les Moriscos andalous en Tunisie**, Madrid - Tunis, Direccion Général de Relaciones Culturales, 1973.

FERNANDEZ NIEVA (J.), « Un censo de Moriscos extremenos de la Inquisicion de Llerena (ano 1594), **Revista de Estudios Extremenos**, XXIX, 1973, pp. 151 - 185.

FONSECA (Padre Damiano de), **Del giusto seacciamento de Moreschi da Spagna, libri sei dal..., dell Ordine de Predicatori, tradoto del spagnolo en Italico da Cosino Gaci**, Roma, Bartolomeo Zanneti, 1611.

FONSECA (P. Damian de), **Justa expulsion de los Moriscos de Espana**, Roma, Iacomo Mascardo, 1612.

FONSECA (P. Damian de), **Relacion de lo que paso en la expulsion de los Moriscos del reyno de Valencia**, Roma, Iacomo Mascardo, 1612. (Il s'agit d'une édition abrégée ne comprenant que les livres IV et V de l'ouvrage cité ci - dessus. La Sociedad Valenciana de Bibliofilos l'édita en 1878, sous le titre de Relacion de la expulsion de los Moriscos del reyno de Valencia.)

FUSTER (Joan). **Poetas, Moriscos, y curas**, Madrid, editorial Ciencia Nueva, 1969.

FUSTER (Joan), **Rebeldes y Heterodoxos**, Barcelona, Ariel, 1972.

GALLEGO Y BURIN (Antonio), y GAMIR SANDOVAL (Alfonso), **Los moriscos del reino de Granada segun el sinodo de Guadix de 1554, edicion preparada por fr. Dario Cabanelas Rodriguez**, Granada, Universidad de Granada, 1968.

GALMES DE FUENTES (Alvaro), **El libro de las batallas, (narraciones caballerescas aljamiado-moriscas)**, Oviedo, Universidad de Oviedo, 1967,

CARO BAROJA (Julio), « Los Moriscos aragoneses segun un autor de comienzos del siglo XVII », **Razas, pueblos y linajes,** Madrid, Revista de Occidente, 1957, pp. 81 - 98.

CARO BAROJA (Julio), **Los Moriscos del reino de Granada,** Madrid, Instituto de Estudios politicos, 1957.

CARO BAROJA (Julio), **Les sorcières et leur monde,** Paris, Gallimard, 1972, traduit par A. Sarrailh.

CARRASCO URGOITI (Maria de la Soledad), **El moro de Granada en la literatura,** Madrid, Revista de Occidente (Clavileno), 1956.

CARRASCO URGOITI (Maria de la Soledad), **El problema morisco en Aragon al comienzo del reinado de Felipe II°,** Madrid, Castalia, 1969.

BORONAT Y BARRACHINA (Pascual), **Los Moriscos espanoles y su expulsion,** Valencia, Imprenta de Francisco Vives y Mora, 1901, 2 vol.

BORONAT Y BARRACHINA (Pascual), **El beato Juan de Ribera y el Colegio de Corpus Cristi,** Valencia, Imprenta de Francisco Vives y Mora, 1904.

BORRAS Y FELIU (Antoni), «El bandeig dels moriscs i el Collegi de Sant Sebastia de Gandia. Repercussions economiques», **Homenatge a Jaume Vicens i Vives,** vol. II, Barcelona, 1967, pp. 67-74.

BRAUDEL (Fernand), «Conflits et refus de civilisation : Espagnols et Morisques au XVIe siècle», **Annales, Economies, Sociétés, Civilisations,** II, octobre-décembre 1947, n°4, pp. 397-410.

BRAUDEL (Fernand), **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II,** Paris, Armand Colin, 1949, 2 vol.; seconde édition revue et augmentée, Armand Colin, 1966.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), « Juan de Segovia y el primer Alcoran trilingüe », Al-Andalus, XIV , 1949, pp. 149-173.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), **juan de Segovia y el problema islamico,** Madrid, Facultad de Filosofia y Letras, 1952.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), « El morisco granadino Alonso del Castillo, intérprete de Felip II° », **Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos,** Granada, VI, 1956, pp. 19-42.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), « Proyecto de alianza entre los sultanes de Marruecos y Turquia contra Felipe II° ». **M.E.A.H.,** VI, 1957, pp. 57-75.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), « Cartas del sultan de Marruecos Ahmed al-Mansûr a Felipe II° », **Al-Andalus,** XXIII, 1958, pp. 19-47.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), « Federico II de Sicilia e Ibn Sab'in de Murcia : Las Cuestiones Sicilianas »,**M.E.A.H.,** VIII,1958, pp. 29-46.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), **El Morisco granadino Alonso del Castillo,** Granada, Patronato de la Alhambra, 1965.

CHAUNU (Pierre), « Minorités et conjoncture. L'expulsion des Morisques en 1609 », **Revue Historique,** CCXXV, 1961, pp. 89-97.

CIRCOURT (Comte de), **Histoire des Maures, Mudéjares et Morisques, ou des Arabes d'Espagne sous la domination des Chrétiens,** Paris, G.A. Denter, 1845-1848, 3 vol.

CIROT (Georges), « Le « cautivo » de Cervantes et Notre Dame de Liesse », **Bulletin Hispanique,** XXXVIII, n°3, juillet-septembre 1936, pp. 378-382.

CIROT (Georges), « La maurophilie littéraire en Espagne au XVIe siècle », **Bulletin Hispanique,** 9 articles, 1er article : XL, 1938, n°2, pp. 150-157 ; 9eme article: XLVI, 1944, n°1, pp. 5-25.

BIBLIOGRAPHIE

AGUILAR (Gaspar), **Expulsion de los Moros de Espana por la S.C.R. Magestad del Rey don Phelipe Tercero, Valencia, Pedro Patricio Mey, 1610.**

ARIE (Rachel), « Acerca del traje musulman en Espana, desde la caida de Granada hasta la expulsion de los Moriscos », **Revista del Instituto de Estudios islamicos en Madrid,** vol. XIII, 1965 - 1966, pp. 103 - 117.

ARIE (Rachel), « Les études sur les Morisques en Espagne à la lumière des travaux récents », **Revue des Etudes Islamiques,** 1967, pp. 225 - 229.

ARIE (Rachel), **Miniatures hispano - musulmanes,** Leiden, E.J. Brill, 1969.

AYALA (Arzobispo Martin de), **Las instructions e ordinacions perals novament convertits del regne de Valencia : festes per les autoritats** apostolica y **real ;** M. de A., archebispe ha manat se guarden **en est** archebispat de Valencia, Valencia, Joan Mey, 1566, (publié en **appendice** au Concilium Provinciale Valentinum celebratum anno **domini MDLXV ;** exemplaire à la biblioteca Central de Barcelona).

AYALA (Arzobispo Martin de), **Doctrina cristiana en lengua araviga, y castellana,** Valencia, Joan Mey, 1566, édité en 1911 par Roque Chabas y Julian Ribera, à Valence.

AYALA (Arzobispo Martin de), **Catecismo para instruccion de los nuevamente convertidos de Moros,** Valencia, 1599.

AYMON, **Tous les synodes nationaux des Eglises Réformées de France,** La Haye, Charles Delo, 1710, 2 vol.

AZNAR CARDONA (Pedro), **Expulsion justificada de los moriscos espanoles y suma de las excellencias de nuestro rey don Felipe el Catolico Tercero deste nombre,** Huesca, Pedro Cabarte, 1612, 2 parties.

BATALLER BATALLER (Adelita), « La expulsion de los Moriscos : su repercusion en la propiedad y la poblacion en la zona de los riegos del Vernisa », **Saitabi,** Valencia, X, 1960, pp. 81 - 100.

BAUER Y LANDAUER (Ignacio), **Relaciones y manuscritos (Moriscos),** Madrid editorial ibero - africano - americana, s.d.

BLEDA (Iacobo), **Defensio fidei in causa neophytorum, sive Morischorum Regni Valentiae, totiusque Hispaniae, Valentiae, apud Ioannem Chrysostomum Garriz,** anno 1610.

BLEDA (Jaime), **Coronica de los Moros de Espana,** Valencia, Felipe Mey, 1618.

CABANELAS RODRIGUEZ (Dario), « Cartas del Morisco granadino Miguel de Luma », **M.E.A.H.,** 1965 - 1966, pp. 31 - 47 .

CABEZUDO ASTRAIN (J.), « Noticias y documentos sobre Moriscos aragoneses», **M.E.A.H.,** V, 1956, pp. 105 - 109 .

CAHEN (Claude), **El Islam, desde los origenes hasta el comienzo del imperio otomano,** Madrid, Ediciones Castilla, 1972.

CANTINEAU (Jean), « Lettre du Moufti d'Oran aux Musulmans d'Andalousie », **Journal asiatique, CCX,** janvier - mars 1927, pp. 1 - 17.

CARDAILLAC (Denise), **La polémique anti - chrétienne du ms. aljamiado** n° 4944 **de la Bibliothèque Nationale de Madrid,** 2 tomes, Montpellier, 1970.

CARDAILLAC (Louis), **Le passage des Morisques en Languedoc,** Montpellier, 1970

ciel vont des teintes les plus vives aux plus obscures· et pourtant, ces nuances, en se mêlant, finissent par créer la pureté de la couleur blanche, lumineuse. Dans notre récit, tout n'est pas beau, tout n'est pas exaltant, mais tout cela contribue avec les autres aspects à créer une vérité historique.

Toute notre gratitude la plus vive à notre traducteur-éditeur.

Louis CARDAILLAC

A Montpellier, le 1er novembre 1982.

PREFACE DE L'AUTEUR A L'EDITION ARABE

"Morisques et Chrétiens" ont vu le jour à Paris aux éditions Klincksieck en 1977. Deux ans plus tard, la maison d'édition mexicaine « Fondo de Cultura Economica » l'éditait dans sa succursale de Madrid en version espagnole. La traduction était due à une grande spécialiste des études morisques, Mercedes Garcia Arenal.

Et voilà qu'en 1982, Monsieur le Professeur Témimi traduit en arabe ce livre. Quel honneur et quelle joie pour l'auteur !

Un honneur, car la traduction est admirable et qu'ainsi, dans cette langue arabe si chère aux Morisques et dont ils avaient été dépossédés, ce tragique chapitre de l'histoire de l'Islam occidental va être connu d'un plus large public. Monsieur Témimi continue ainsi à développer au Maghreb l'intérêt que suscite l'histoire des Morisques. La revue, depuis plusieurs années déjà. accueille sur ce sujet de nombreux et excellents articles d'historiens venus de tous les horizons; lui-même y a publié des études tout à fait novatrices sur ce thème, insistant en particulier sur le rapport des Morisques avec le monde turc. Bref, Monsieur Témimi, chef de file d'une jeune et dynamique école historique tunisienne, est le pont entre d'une part le Maghreb et l'Orient et d'autre part l'Europe. Dans ce creuset qu'est la Revue d'Histoire Maghrébine. les différents points de vue se confrontent et s'enrichissent mutuellement. Nul doute que le prochain congrès qui sera organisé à Tunis en septembre 1983 sera l'apogée de toutes ces initiatives.

C'est donc ainsi pour moi une joie, une très grande joie de voir publier ce livre à Tunis, terre d'accueil par excellence pour les Morisques au moment de l'expulsion. J'attends de cette publication des perspectives importantes et je souhaite qu'elle soit le point de départ de discussions fructueuses, de recherches nouvelles qu'elle soit un catalyseur qui favorise les échanges.

Ce livre n'est qu'un témoignage sur un moment donné de l'histoire des hommes, de l'histoire de deux communautés qui ont précisément rompu le dialogue. On y percevra en même temps le cri de révolte des Morisques contre l'oppression et leur message de tolérance. Puissions-nous tous l'entendre sans le déformer, à la recherche de la vérité, préoccupation commune à tous les hommes au-delà de leurs différences. Nous savons que cette vérité est lumière, mais aussi que les couleurs de l'arc-en-

Louis Cardaillac
Professeur à l'Université de
Montpellier - France

Morisques et Chrétiens
Un Affrontement Polémique
(1492-1640)

traduit du français par

Abdeljelil Temimi
Professeur à la Faculté des Lettres
et Sciences Humaines de Tunis

Publications de la : # 9



Revue d'Histoire Maghrébine & O.P.U. El-Djazair

Tunis 1983

PUBLICATIONS DE LA REVUE D'HISTOIRE MAGHEBINE :

Volume 1 : A. Temimi, **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey** (1830-1837), 303 p. + 24 planches, Tunis, 1978.

Volume 2 : A. Temimi, **Sommaire des registres arabes et turcs d'Alger,** 116 p., Tunis, 1979.

Volume 3 : A. Temimi, **Recherches et documents d'Histoire Maghrébine** l'Algérie la Tunisie et la Tripolitaine (1816 - 1871), 208 p., Tunis, 1980.

Volume 4 : D. Meunier, **Le consulat anglais à Tétouan sous Anthony Hatfeild (1717-1728).** Etudes et édition de textes 112 p., Tunis, 1980.

Volume 5 : A. Temimi, **Un document sur les biens habous au nom de la Grande Mosquée d'Alger,** 92 p., Tunis, 1980.

Volume 6 : Ch. de La Véronne, **Sources françaises de l'Histoire du Maroc au XVIIIème siècle,** t. 1, 118 p., Tunis, 1982.

Volume 7 : A. Temimi, **Les affinités culturelles entre la Tunisie, la Libye, le Centre et l'Ouest de l'Afrique à l'époque moderne,** 80 p., Tunis, 1982.

Volume 8 : A. A. Abdurrahman, **La communauté maghrébine en Egypte à l'époque ottomane,** 208 p., t. 1, Tunis, 1982.

Volume 9 : Louis Cardaillac, **Morisques et Chrétiens,** traduit du français en arabe par A. Temimi, 196 p., Tunis, 1983.

Volume 10 : Ch. de La Véronne, **Sources françaises de l'Histoire du Maroc au XVIIIème siècle,** t. 2, 128 p., Tunis, 1983.

Volume 11 : A. Temimi, **Le Gouvernement ottoman et le problème morisque** (sous presse).

Pour toute commande s'adresser au Secrétariat de la **R H M**
9, rue Dr. Habib Thameur - (2060) **Kheireddine** — Tunisie

Louis Cardaillac
Professeur à l'Université de
Montpellier - France

Morisques et Chrétiens
Un Affrontement Polémique
(1492-1640)

traduit du français par

Abdeljelil Temimi
Professeur à la Faculté des Lettres
et Sciences Humaines de Tunis

Publications de la : #9 

Revue d'Histoire Maghrébine & O.P.U. El-Djazair

Tunis 1983